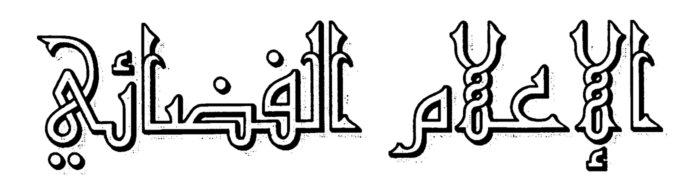
الإعلام الفضائي

والتغريب الثقافي



أ. لمياء طالة



و

التغريب الثقافي

تأليف

لمياء طالة

نبلاء ناشرون وموزعون
الأردن - عمان

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن – عمان

- هاتف : 5658252 – 5658253
- فاكس : 5658254
- العنوان : العبدلي- مقابل البنك العربي

ص. ب : 141781

Email: darosama@orange.jo

www.darosama.net

نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن – عمان- العبدلي

الطبعة الأولى

2014م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(1798/ 6/ 2013)

306 طالة، لمياء

الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي/ لمياء طالة.- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.

( ) ص .

ر.أ : (1798/ 6/ 2013)

الواصفات: /الثقافة العربية// التغريب الخارجي//الإعلام/

ISPN: 978-9957-22-557-5

الفهرس

مقدمة:

إن الحدث الأكثر أهمية على الصعيد الثقافي العالمي هو دون شك... وبالنسبة لأغلب أمم الأرض: صعود الثقافة الغربية بكل ما تنطوي عليه من قيم روحية ومادية، منظومات علمية وأسطورية ورمزية إلى مصاف الثقافة السائدة التي تشكل مصدرا للحضارة.

ولا نعني بالصعود إلى مصاف السيادة العالمية انتشار الثقافة الغربية في كل أصقاع العالم، ولا هيمنتها على كل العقول والنفوس وتحكمّها بكل ما يظهر من الإنتاج الثقافي والنشاط الروحي في كل مكان، وإنما المقصود هو الإشارة إلى ثقافة تعطي للقيم الإنسانية- ومن خلال الحضارة التي تغذيها- تجسيداتها الجديدة أو الراهنة وأطرها المادية أو العقلية فتصبح بذلك مقياسا عالميا لإنجازات بقية الثقافات.

ومن الطبيعي أن يدخل صعود الثقافة الغربية إلى هذا الموقع أنماطا فكرية وسلوكية جديدة لم تزل آثارها مستمرة حتى اليوم في كل مناحي الحياة في البلاد الأخرى التابعة، ويشكل دخول هذه الأنماط من كل الوجوه ثورة حقيقية في الرؤية والمفاهيم والمبادئ والأهداف الكبرى للجماعة البشرية... فتجد هذه الثقافات نفسها في مواجهة ثقافة مبدعة في أوّج ازدهارها وتفتحها، وبقدر ما تستسلم هذه الثقافات للثقافة السائدة وتسعى إلى تقليدها واستمداد النور والقيمة منها، تتحول أيضا إلى مناجم ومواد أولية تغذي الثقافة المهيمنة وتحولها إلى مصادر قوة ونمو جديدة... وبقدر ما تنجح ثقافة في احتلال حقل العالمية تزيح الثقافات الأخرى عن مواقعها تأثيرها حتى داخل حدودها القومية وتعرضها لأزمة عميقة تمس كل الوظائف الحيوية فيها، وقد تودي بها تماما.

ومتى ما انتشرت الحضارة المادية وعمت الثقافة المرتبطة بها أو التي تشكل مرجعها ومستودع أسرارها، نشأت مدنية جديدة، أي نمط متشابه للحياة والتفكير والإنتاج والرؤية، ولا تكون هذه المدنية بالضرورة على نفس الصورة من التكامل

والنجاح، لكنها تعبّر عن خضوع الشعوب والمجتمعات إلى مفاهيم وقيم ونماذج واحدة سواء تحققت هذه النماذج تحققا كاملا أم ناقصا.

ومما يؤكد هذا الاتجاه أن الثقافة تتحول نفسها إلى صناعة تتركز وسائلها في المراكز الكبرى التي تتجمع فيها التقنيات العليا ويتراكم فيها رأس المال، بل إن ثقافات فرعية كثيرة داخل الثقافة الغربية أصبحت مهددة بالزوال أمام صعود الثقافة الأمريكية.

أما الثقافات المحلية لبلاد الجنوب ومنها العربية فإنها لا تنفذ إلى ثقافة المركز -إذا نجحت في ذلك- إلا كاستجابات سلبية وصور مشوهة لنماذج طائفية تستخدمها بعض الجماعات الهامشية... فهي لا تدخل إلى الغرب إلا لتؤكد طابعها كثقافات هامشية، مفرغة من محتواها العقلاني أو كبقايا ثقافية وعناصر أولية وتزيينية مستوعبة في الثقافة السائدة، وهي لا تلعب أي دور في تنظيم الحياة الاجتماعية العامة وتحديد أسسها المعنوية، السياسية والإنتاجية، أي في بناء الحضارة.

وليس من الضروري أن تؤدي الهيمنة الثقافية إلى إزالة الثقافات المحلية كلية من الوجود بل يمكن أن يعني ذلك احتوائها واستتباعها، ومن المعروف تاريخيا أن كل هزيمة تتكبدها مجموعة بشرية تنعكس مباشرة على أيديولوجيتها أو اعتقاداتها، وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون عندما قال: " إن المغلوب مولع دائما بمحاكاة الغالب و الاقتداء به، لأنه يعتقد أن انتصاره راجع إلى صحة مذاهبه وعوائده ".

وهكذا تشكل الحضارة والسيطرة الغربية اليوم تحدياً مستمراً وشاملاً لكل الشعوب الأخرى: علمياً، عسكرياً، سياسياً، تقنياً، صناعياً، اجتماعياً، ثقافياً وروحياً معا، ومع استمرار هذه الغلبة وتوسع دائرتها وتعمق الشعور بضخامتها يزداد إيمان الشعوب الضعيفة بعجزها وفقر ثقافتها، ويرسخ لديها النزوع إلى الاقتداء وتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، وذلك لدى الخاصة والعامة معا ولا فرق في ذلك.

هذه الصيرورة أفضت في الأخير إلى انتشار ظاهرة التغريب وتحيَز الثقافات والمجتمعات في دول العالم الثالث إلى الغرب، والإعجاب بثقافته واعتبارها نموذجا يستحق الاقتداء به.

هذه النتيجة بمعنى التغريب ينسبها العديد من المفكرين والباحثين العرب إلى ضعف الإنتاج العربي الذي تبثه القنوات الفضائية العربية ورداءة مضمونه.

وللتأكد من صحة هذه الفرضية قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وهي على النحو:

- **الفصل الأول**: حيث ينقسم إلى ثلاثة مباحث مختلفة يدور المبحث الأول حول ماهية التغريب، عالجت هذه الماهية من خلال مطلبين: الأول خاص بمفهوم التغريب في الأدبيات العربية، والثاني متعلق بأوجه التغريب وأهدافه، أما المبحث الثاني فقد تناول في مطلبين اثنين آليات التغريب متمثلة في الغزو والاختراق الثقافيين، والمطلب الثاني حول نظريات التغريب وهما نظرية صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام الدولي الجديد لصمويل هنتغتون، و نهاية التاريخ وخاتم البشر لفرانسيس فوكوياما.

في حين يتعلق المبحث الثالث بإشكالية التغريب الأمريكي (الأمركة) ومختلف المواقف العالمية (العربية والأوروبية) من هذا التغريب الأمريكي.

- **الفصل الثاني**: يعالج في المبحث الأول ثلاث مفاهيم تعتبر بمثابة أوجه أخرى لمفهوم التغريب وهي: العولمة الثقافية، الصناعة الثقافية والثقافة الجماهيرية.

المبحث الثاني يتناول في المطلب الأول منه مكانة وسائل الإعلام في حياتنا، والمطلب الثاني: التأثيرات المختلفة لهذه الوسائل على قيمنا وسلوكياتنا وأفكارنا، والمطلب الثالث فيتناول نظرية الغرس الثقافي لجورج جربنر كدعامة نظرية للدراسة.

أما المبحث الثالث فيتناول دور وسائل الإعلام السمعية البصرية (التليفزيون، الإذاعة، والسينما)، المكتوبة (الصحافة المكتوبة والكتب) و الالكترونية (الإنترنت) في ترويج التغريب الثقافي بين أفراد المجتمع كل على طريقته.

- **الفصل الثالث**: يتعلق بدور القنوات الفضائية العربية في نشر التغريب الثقافي، حيث يتناول المبحث الأول دوافع نشأة الفضائيات العربية سواء من حيث: وجود القنوات الأجنبية بالمنطقة العربية، أو من خلال قصة عربسات، ثم يأتي المبحث الثاني الخاص بتطور هذه الفضائيات العربية في الدول العربية، وأخيرا المبحث الثالث المتعلق بالمشهد الثقافي والإعلامي في هذه الفضائيات مستدلين بشهادات بعض الخبراء والمختصين في هذا المجال.

الفصل الأول

رؤية نظرية حول ظاهرة التغريب

في هذا الفصل سنتطرق بالتحدث عن ماهية التغريب (مفهومه، أوجهه وأهدافه)، آلياته ونظرياته العالمية، ثم رصد مختلف المواقف العربية والعالمية منه.

المبحث الأول

حول ماهيّة التغريب

في بداية هذا المبحث سنتحدث من خلال مطلبين، عن مختلف التعريفات المقدمة لمفهوم التغريب من قبل المفكرين والباحثين العرب، أما في المطلب الثاني فسندرج مختلف الأوجه والأهداف التي يسعى هذا التغريب لتحقيقها في المجتمعات العربية والإسلامية.

المطلب01: مفهوم التغريب في الأدبيات العربية

لغويا:

التغريب من الناحية اللغوية مصدر بوزن (تفعيل) من صيغة فعّل، وهو مأخوذ من مادة (غ- ر- ب).

ورد في اللسان: غَرُبَ فلان بمعنى: بَعُد، مصدره الغرب. والغرب: التنحي والذهاب عن الناس .

ويُقال: غَرُب، يَغْرُب، غَرْبا، و غرّب، غرّبه، أغربه: بمعنى نحّاه، فاتضح من ذلك أنه بالتضعيف صار الفعل "غرّب" على وزن" فعّل"، وهذه الصيغة تدل على التعدية، وعلى التكثير والمبالغة، والدلالتان مجتمعتان في (غرّب)، فالتعدّية تتضح في نقل الفعل من اللزوم في استعمالهم (غَرُب فلان: بَعُد) إلى التعدّي بقوله غرّبه،

بمعنى أن المُغرِّب حمل المُغرَّب على البعد والابتعاد دون إرادته، وهذا يتوافق وما يؤدي إليه الحديث حين ورد في اللسان أن النبي أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن، وهو نفيه من بلاده[1].

أما جلال آل أحمد فيرى أن التغريب أو الاستغراب هو نزعة تفضيل الغرب على الشرق، ومنه المستغرب أو المتغّرب هو من أنصار الاستغراب بدليل أن فعل استغرب في اللغة يفيد الدهشة التي يسببها ما ليس مألوفا أو متوقعا[2].

اصطلاحا:

لقد وُضعت عدة تعريفات لمفهوم التغريب ربما من أبرزها تعريف بشاير العبد الله التي ترى أن: " **التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وفنية وثقافية يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المنفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية، فهو تيار هدفه القضاء على الإسلام ومعتقداته و التسليم لتبعية الغرب في كل توجهاته وأفكاره** [3]".

أما جلال آل أحمد فقد أطلق على التغريب مصطلح "غرب زَدَكي"، وهو مصطلح متشبع بدلالات سلبية، بل دلالات هجائية لكل ما هو غربي، ويوازيه بالعربية "وباء الغرب"، أو "الإصابة بالغرب"، أو "التسمم بالغرب"، أو"نزعة التغريب"... حيث عرّفه على أنه: " **مجموعة الأعراض التي تطرأ على حياتنا في جوانبها الثقافية، الحضارية والفكرية، من دون أن يكون لها أي جذور في التراث أو أي**

---

1 - جازية فرقاني: **مصطلح التغريب بين الماهيّة والدلالة**، http:www.awu-dam.org/esbou1000/1069/isb1069-017.htm، 2008/02/23.

2 - جلال آل أحمد: **قراءة في كتاب نزعة التغريب**، عرض مجتبي العلوي، http://www.annabaa.org/nba53/qeraa.html ، 2008/02/23.

3- بشاير العبد الله: **التغريب وتأثيره على الثقافة العربية**، www.alsakher.com/vb2/showthread.php?t=84741، 2008/02/23.

عمق في التاريخ، وبدون أن يكون دخولها تدريجيا، يسمح بالاستعداد لها، وإنما تداهمنا دفعة واحدة، لتقول لنا: أنا هدية الآلهة إليكم، أو قل إنها المهد للآلهة[1]".

سلمان العودة من جهته يعتبر التغريب: " نقل القيم الدينية والاجتماعية الخاصة، المتعلقة بالهوية الغربية واستنساخها بخيرها وشرها لبذرها في الأرض العربية والإسلامية، وإن كان ذلك مخالفا للثقافة الإسلامية والثوابت، الخصوصية الاجتماعية والهوية الذاتية، بمعنى حتى ولو خالفت النص، الحس والناس أجمعين[2]".

وهذا ما فسره رفيق حبيب حين قال:" التغريب هو محاولة تغيير الحضارة العربية الإسلامية للتحول عن قيمها الأصيلة وتقلّد أو تتبنى قيم الغرب، بمعنى محاولة هدم قيم الأمة والدعوة إلى الحداثة التي تروّج لها بعض النخب، هي دعوة لنشر النظام الغربي ونمط الحياة الغربية بين أبناء أمتنا، وبذلك الخروج عن الأصول الحضارية لنا، فالحضارة الغربية تختلف عن الحضارة العربية الإسلامية في القيم العليا الحاكمة، ولهذا تصبح الدعوة لإعادة إنتاج النظم الغربية ونمط الحياة الغربي، دعوة للتنازل عن القيم الحاكمة للحضارة العربية الإسلامية[3]".

ولعل محمد يوسف كان أشد تعبيرا في تعريفه للتغريب حيث قال:" إن التغريب –في أحد أوجهه- ليس إلا اللباس الثقافي للتصنيع، لكن تغريب العالم الثالث (والذي يتكون معظمه من الدول الإسلامية) هو عملية محو للثقافة، بمعنى أنها عملية تدمير بلا قيد ولا شرط للبنيات الاقتصادية، الاجتماعية والعقلية

---

1 - عبد الجبار الرفاعي: مفهوم التحيز والتمركز المعرفي في التفكير الديني الإيراني المعاصر، www.ahewar.org/debat/show.art.asp ?aid=106346 ، 2008/02/23.

2 - سلمان بن فهد العودة: أدواء التغريب، http://islamtoday.net/pen/show articlescontents.cfm?id=64&catid=8954، 2008/02/23.

3 -رفيق حبيب: التحديث بين التغريب والتجديد، www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=2081728issueno=9151، 2008/02/23.

التقليدية، لكي لا يقوم مقامها في حينه سوى كومة كبيرة من الخردة، مصيرها الصدأ ".

ويواصل الباحث بأن هذا الذي يعرض على سكان العالم الثالث لكي يحل محل هويتهم الثقافية الضائعة، إنما يتضمن صنع شخصية وطنية عابثة، ذات انتماء خداع إلى مجتمع عالمي (هو الغرب)...

إن ضياع الهوية الثقافية الذي ينتج عن ذلك أمر لا يقبل الجدل، وهذا يساهم بدوره في عدم استقرار الشخصية الوطنية سياسيا واقتصاديا، وما يتبقى بعد ذلك من الإبداع الوطني يكمن في حالة تبعية إزاء ثقافة تبدو لها أجنبية، وإنها لكذلك[1].

بدوره أبو بارقي لا يختلف كثيرا عمّا سبق في تعريفه للتغريب حيث يرى أنه : " **ما يقوم به الغرب من مخططات لحمل المسلمين على تغيير حياتهم الاجتماعية والسلوكية واقتفاء سيرة الغرب الكافر، من خلال إحداث التغييرات الاجتماعية، الأخلاقية والفكرية في حياة المسلمين، مما يجعلهم بعيدين عن دينهم وخاضعين في ذلك للجاهلية الغربية ومقتفين آثارها الخُلقية والاجتماعية، أي يصبح المسلم غريبا أوروبيا في سلوكه، أخلاقه، قيمه، وحياته الاجتماعية[2]**".

أما عبد الله أبو هيف فحسبه: " **معنى التغريب يفيد أمرين:**

الأول: سيادة النزعة الغربية، أو الاحتذاء بالغرب (أوروبا وأمريكا).

الثاني: الإستيلاب أو الاغتراب، أي خلق هوة بين المرء وواقعه، حيث تغلف الذات بمشاعر الغربة والوحشة، الانخلاع والانسلاخ واللا انتماء بعد ذلك ".

1- محمد حسن يوسف: التغريب في ديار الإسلام، www.saaïd.net/arabic//ar189.html، 2008/02/23.

2- أبو بارقي: من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب (تحليل ودراسة)، www.true-islam.net/montada/indexphp?showtopic=801-4.2008/02/23 ،

ويفيد المعنى الاصطلاحي –بالنسبة له- شعور المرء بأنه مبعد عن البيئة التي ينتمي إليها، فيصبح منقطعا عن نفسه، عبدا لما حوله، يتلقى تأثيره المتمثل في إنجازات الإنسان ومواصفاته ونظم حياته دون فعالية تذكر[1].

وقد قامت رغداء زيدان بجمع مجموعة من التعارف الخاصة بمفهوم التغريب التي وضعها عدد من المفكرين والباحثين في أزمنة متعاقبة فاعتبروه:

- **" الدعوة إلى الأخذ عن الغرب ومحاولة تقليده في شتى الأمور من أجل التطور والتقدم"** ، واعتبر بعضهم أن هذا المفهوم هو المفهوم الظاهر للتغريب فقط، وأوجدوا لهذا المفهوم تعريفا آخر أظهروا فيه غاية وأهداف هذا التيار في دعوته للأخذ عن الغرب.فهو:
- **" تيار يرمي إلى خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها، بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم سيّما الحضارة الإسلامية ".**

أو أنه باختصار:

- **" المذهب الذي كان يدعو إلى التجديد وهو كل طريق طارئ علينا، مما هو منقول في معظم الأحيان عن الأوروبيين[2] ".**

أما حسب قاموس Le petit Larousse فإن مصطلح " تغريب " المشتق من الفعل غرّب occidentaliser فيعني: **" أن يُعدّل شعب أو مجتمع ما بطريقة مشابهة لعادات الغرب، تغريب القيم، التقاليد... من خلال الاتصال بحضارته[3] ".**

1- عبد الله أبو هيف: **الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به،** http://www.annabaa.org/nba63/qazo.html.2008/02/23 ،

2- رغداء زيدان: **محب الدين الخطيب وعمله في مقاومة التغريب،** http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=print&sid=1997.2008/02/23 ،

.3 Philippe Merlet et autres: **Le petit Larousse**, édition Malesherbes, Italie, 2003. P709

لكن قبل إعطاء رأينا حول مفهوم التغريب، لا بد من إبداء ملاحظة مهمة حول هذا المفهوم (التغريب)، فقد يطلق عليه عدة مصطلحات بهدف تجميله وفتنة الآخرين به مثل: المدنية، التطور والتقدم، الحضارة، الحياة الجديدة، التغيير الاجتماعي، التحديث، التنوير، التجديد، العصرنة، الاتصال الثقافي، التثاقف... وهو ما يمكن تسميته بالفوضى الخطيرة في استخدام المفاهيم، فمثلا نجد أن ممدوح طه قد شرح جزءا من هذه الإشكالية من خلال التفريق بين التحديث والتغريب فحسبه:

- **التحديث**: في معناه الموضوعي يعني التجديد لكل ما يحتاج إلى تجديد لحاقا بمنتجات الحضارات الحديثة، وتكيّفا مع روح العصر وصولا إلى التقدم، بما تتطلبه المصالح الإنسانية المشروعة سواء في المعارف وليس في القيم، في المهارات وليس في التوجهات ، و باختصار في المظهر وليس في الجوهر الحضاري. أما
- **التغريب**: يعني الاتجاه الكلي نحو الغرب مبنى ومعنى، مظهرا وجوهرا، أدواتٍ وغاياتٍ، بما يشكل استلابا كاملا للإرادة وذوبانا ثقافيا وحضاريا وتبعية أو محاكاة أو تقليدا، الأمر الذي يفضي في النهاية إلى اغتيال للهوية الثقافية والحضارية الوطنية والقومية، وقد يعني أن ليس هناك تلازما دائما بين المفهومين: فالتحديث لا يعني قطع الصلة بالتاريخ لأنه غير ممكن ولا بين الماضي والمستقبل لأنه مستحيل[1].

من جهته مفهوم التثاقف أو المثاقفة هو محل خلط بينه وبين مفهوم التغريب، حيث يستعمل علماء النفس والاجتماع مفهوم المثاقفة بمعنى:" **صيرورات تكيّف الفرد مع البيئة الثقافية وتأثره التكوّني بها** ".

---

1 -ممدوح طه: التغريب بين التحديث و التغريب ، http:www.diwanalarab.com/spip.php ?article4667، 2008/02/23.

جورج بالندي: " **عملية انتشار القيم والمعايير والأحكام الاجتماعية إلى المجتمعات الأخرى مع تعرضها لعملية التبادل التي تجعلها منسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها** ".

ريدفيلد: " **يشير إلى الظواهر الناتجة عن الالتقاء المباشر والمستمر بين مجموعة أفراد ذات ثقافات مختلفة، وينجر عن هذه الظواهر تغيرات لأنماط عديدة من النماذج الثقافية القاعدية لكل مجموعة أو لإحداها فقط** "[1].

رغم أن المثاقفة تتطلب –كما تقول الآية الكريمة- "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"[2] **أي "فرصا وعلاقات ووسائل متكافئة، ورغبة في مد الجسور والحوار والتعارف والتعاون وكل ما من شأنه تقوية الإنسان".**

وحسب عبد الفتاح مراد فالتثاقف يفترض أولا احتكاكا مطوّلا بين ثقافتين مختلفتين، ثم تأثير إحدى الثقافتين في الأخرى، أو التأثير الثقافي المتبادل فيما بينهما، بحيث تعدل المسالك الثقافية والاجتماعية عند احد الفرقاء أو عند الاثنين معا. فالتثاقف على الصعيد النظري يعني التبادل الثقافي المتكافئ أو غير المتكافئ، يعني أيضا تبني أحد الأطراف النماذج الثقافية للطرف الآخر[3].

أما **المثاقفة** بالمعنى **التغريبي** فغالبا ما كان يأتي في إطار معادلة استعمارية أو استيطانية مثل: غزو فرنسا للجزائر، الحروب الصليبية، غزو القارة الأمريكية... مما يشوه من معنى التبادل الثقافي.

مثال: عندما غزا الأوروبيون القارة الأمريكية المكتشفة حديثا عام 1492، حدث تثاقف بين أهل البلد المحليين وبين القادمين من أوروبا، إلا أن هذا التثاقف كان غير متكافئ إضافة إلى أنه تم بالعنف، فالغزاة الجدد اقتبسوا بعض

1- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، شركة مزوار للطباعة والنشر، الجزائر، 2004 ص73.

2 - الآية 13 من سورة الحجرات.

3 - عبد الفتاح مراد: **موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات : انجليزي-فرنسي-عربي-شرعي**، دون دار نشر، مصر، 1999 ص69-70.

النماذج الثقافية البسيطة كإدخال البطاطا في الطبخ نقلا عن الهنود المحليين، وبالمقابل زعزعوا النظام الثقافي القائم عند السكان المحليين بشكل وحشي، وفرضوا عليهم اعتناق الدين المسيحي والتخلي عن معتقداتهم السابقة القائمة ... وهكذا فهذا التثاقف قد تم بالإكراه، القوة، والعنف هذا الأمر الذي أدى إلى ردود أفعال من السكان المحليين، تمثلت غالبا في الأصولية الحادة والعنيفة.

أما اليوم فاستخدام كلمة تثاقف يأتي مباشرة في سياق معادلة سياسية، فالثقافات لا يتم تبادلها على وجه الأرض لمجرد الإعجاب بنماذجها، بل إنها تتصارع فيما بينها علنا في كل يوم أكثر، فالنماذج الثقافية الحديثة تتزامن مع أنظمة الاستهلاك الاقتصادي التي تسعى إلى الاستيعاب أكثر مما يؤدي إلى التصادم، فالتثاقف بالمعنى التغريبي يسعى إلى:" **تعميم الإعجاب بالنماذج الثقافية الغربية المتفوقة، بغية تنشيط عجلة الاستهلاك لمنتجات هذه النماذج وتأمين الربح الاقتصادي مثل: السينما، التليفزيون...**"[1].

ومن خلال كل هذا نستنتج أن التغريب ليس عملا جغرافيا يتعلق بمنطقة (الشرق أو الغرب)، بل هو نقل نموذج ثقافي أجنبي واستنباته في بيئات مختلفة عنه، في الثقافة والقيم الدينية، الاجتماعية والأخلاقية، وإن كانت تلك البيئات المختلفة تعيش قضايا مختلفة وقيما مختلفة، فهي أشبه بالعملية القسرية بتحويل قيم إلى قيم أخرى، وهوية وخصوصية إلى هوية وخصوصية أخرى، ضاربة بالتاريخ والدين عرض الأرض، أي أن التغريب يفيد نبذ الشرق والعرب والإسلام وكل ما يمت إلى القديم بصلة من قريب أو من بعيد، من دين، تقاليد، موروثات، حضارة، لغة، وأي شيء يتعلق بهذا الماضي، واللحاق مباشرة بالمدنية الغربية، بكل حسناتها ومساوئها.

وهنا نلاحظ تناقضا غريبا يدعو للعَجب، حيث نجد أن هؤلاء الذين كانوا ينتقدون التقليد، وإتباع القديم كانوا في نفس الوقت يقلدون الغرب، فالجديد هو في حقيقة الأمر لا يعدو أن يكون قديم الأوروبيين !!!.

---

1 - عبد الفتاح مراد: **موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات : انجليزي-فرنسي-عربي-شرعي**، م.س.ذ ص 71

المطلب 02: أوجه التغريب وأهدافه

في هذا المطلب سنتطرق إلى أوجه التغريب أو بمعنى أوضح المنابع التي من خلالها تتضح صور وأشكال التغريب في مختلف المجالات والميادين، بعدها سنتحدث عن مجمل الأهداف العامة التي يسعى هذا التغريب لتحقيقها في المجتمعات الشرقية ومنها العربية والإسلامية على وجه التحديد .

أوجه التغريب (منابعه):

أولا لابد من الإشارة إلى أن المنابع هي النقاط التي ينطلق منها المشروع التغريبي، وهي نقاط حية، وفي العادة هي سلاح يصلح استعماله في الجانبين: النافع والضار، وهذه هي الفتنة؟!! فبجانبها النافع يُلبّس ويُعمّى عن الضار.

ويمكن حصر هذه الأوجه أو المنابع فيما يلي:

1- السياسة: في صورة ضغوط سياسية تمرسها القوى المهيمنة بواسطة أدواتها كمجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة ولجانها المتعددة على الدول الضعيفة- الإسلامية خصوصا- لتنفيذ خطط التغريب تحت شعارات: الإصلاح، الديمقراطية، التعددية، الليبرالية، حقوق الإنسان (المرأة بالأخص، الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية)، وفي بعض الحالات تلجأ إلى الحروب المباشرة لفرض التغريب بالقوة كما حدث في احتلال أفغانستان والعراق تحت ذريعة حرب الإرهاب[1]، فالغرب حاول فرض السمة الغربية وشكلها في التشكيك بجدية الحكم الإسلامي ووجوده، وفي جدوى الخلافة حينها بطريقة غير علمية ولا مدروسة، وتقديم النموذج الغربي كأساس في التقنين والتشريع و الحاكمية دون اعتبار للفقه أو المبادئ أو المحكمات الإسلامية[2].

---

1 -لطف الله خوجة: **منابع التغريب**،

www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=8817 .2008/02/23

2 - سلمان بن فهد العودة: **أدواء التغريب**، م.س.ذ

2- **الاقتصاد:** في هيئة تحولات اقتصادية كبرى، تهيئ لخطط التغريب، هذه التحولات تتركز في صور: التجارة الحرة التي تجيز كافة أنواع البيوع، حتى المحرمة عينها ووسيلتها، من غير نظر إلى دين أو خُلق سوى زيادة الأرباح، توسيع دائرة عمل المرأة، دخولها سوق العمل المختلط... تحديدا وقصدا وتخطيطا، إذ هي نقطة رئيسية كبرى في العمل التغريبي، و عامل جذب في الجانب الاقتصادي، وهذا العامل من أخطر المنابع، إذ أن الاقتصاد يتخلل كافة مفاصل الحياة، وصبغه بالشكل التغريبي يعني امتداد تأثيره وشموله كل الأفراد والأسر، فالتجارة –وهو نشاط عام لا يستغني عنه الأفراد والمجموعات- لا تتأتى إلا بالنظم الغربية من بنوك وتأمينات وبورصات وأسهم وأسواق... وكل ما فيها من المحرمات، الشُبه والمشتبهات[1].

3- **المجتمع:** من خلال هدم الأخلاق، اللغة، والتاريخ فأُذيع الإلحاد ونشرت الإباحية، تحت اسم حرية الفكر، بالدعوة إلى التحرر من قيود البيئة والوراثة وكل ما فيها من عقائد ونظم وقوانين، مع التشكيك في كل الآراء و الأفكار والعقائد الموروثة والمتداولة، وركز هذا العمل على زلزلة النظام الاجتماعي وتحطيم الأسرة وانتشار المخدرات، ظهور الكوكايين، دور البغاء وتجارة الرقيق الأبيض ، بالإضافة إلى تسميم الأمة العربية بحاجز ضخم أطلق عليه اسم المحاكم المختلطة، المحاكم القنصلية، الامتيازات الأجنبية تحمي المهربين، اللصوص، السفاكين ومصاصي دماء الشعوب[2].

أيضا بتغيير مفاهيم المجتمع حيال العلاقة بين الرجل والمرأة بالانتقال من التكامل، التمايز والتفاضل إلى المساواة، لينتج عن ذلك دفع المرأة إلى خارج البيت، توطينها في الأعمال الرجالية وهذه الخطوة ستؤدي حتما إلى تناقص الزيجات، تآكل الأسر والتجارب السابقة (في الغرب وفي الشرق) شاهدة، مع انتشار المحرمات

---

1 – لطف الله خوجة: **منابع التغريب**، م.س.ذ .

2- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، مكتبة الأنجلو-مصرية، مصر، 1961 ص219.

الأخلاقية وفق الصورة الحاصلة في الغرب، ولهذا وقعه الخطير حيث أن تعداد النساء يوازي تعداد الرجال فإخراج نصف المجتمع إلى الميادين يفرض عملية التغريب بقوة، وفي مدة وجيزة، إذ أن من أساسيات التغريب: التحلل الخُلقي وبالأكيد ذلك حاصل مع اجتماع المرأة والرجل في مكان واحد[1].

من جهته سلمان العودة يؤكد أن الدعوة إلى إلحاق المجتمع ونظمه وتقاليده الخاصة بالمجتمع الغربي سيؤدي إلى السعي إلى تبني النموذج الغربي في التعامل مع المرأة، وفي اللباس، والعمل والبيت بعيدا عن الأصلح لها، والأنفع بما يلاءم مجتمعها ودينها، والمهم أن العادات ليست حكما في هذا الشأن الحساس، فالعادات والتقاليد والأعراف لا تعني بالضرورة المفترض علميا، بل تعني أن ذلك واقع موجود فقط، لكن المشكلة أن تغريب المرأة أوجد مسارا خصبا وسط مجتمع يرى في حرمانها وهضمها واجبا اجتماعيا ينبغي الدفاع عنه وتبريره[2].

4- **الثقافة**: وهي ثقافة بديلة تُنظّر وترسخ التغريب، تقوم على فكرة الحرية الفكرية وإبطال كل الموانع بدعاوى الإبداع والفن، تستعمل فيها: الصحف، المجلات، الروايات، الكتب والقصص، وصورة التغريب هنا هي اختراق كافة النقاط المحرمة في الدين والأخلاق والقيم، بالتحدث حول: الذات الإلهية، المقام النبوي، الدين، التراث والسلف بكلام غير مقدس ولا معظم، وفيه كثير من الجرأة والتنقّص، وطرق الكلام والأفكار الإباحية بشكل علني مكشوف غير مستتر، وفي مقابل هذا الحطّ من الثقافة الإسلامية هنالك رفع من شأن الثقافة الغربية ورموزها[3]، هذا الوجه الثقافي الذي شارك في وضعه مجموعة من الكتاب والمثقفين والأدباء الذين يسعون إلى نقل الحضارة الغربية للمسلمين العرب: نقلها وأخذها كلها، بخيرها وشرها، حلوها ومرها، ويصرح بعضهم بأنه مؤمن بالغرب كافر بالشرق، فكأن هذه المفاهيم أرادت إحلال ثقافة محل

---

1 - لطف الله خوجة: **منابع التغريب**، م.س.ذ .

2 - سلمان بن فهد العودة: **أدواء التغريب**،م.س.ذ

3- لطف الله خوجة: **منابع التغريب**،م.س.ذ .

أخرى، ونزع قيم لحساب قيم أخرى، وجعل الغرب هو المصدر الأوحد لكل جوانب الحياة[1].

5- **الدين**: تعددت حملات كُتاب الغرب الذين قادوا معركة التغريب الثقافي على الدين وعلى الإسلام بالذات، بادعاء أنه سبب التخلف للعرب والشعوب التي اعتنقته ومن بين هذه الحملات حملة داركواز بكتابه "**مصر والمصريون**" الذي صدر عام 1893، حيث حاول فيه المؤلف أن يصور الإسلام في صورة الدين الخرافي العتيق، ويصوّر المسلمين في صور الضعاف العجزة، ونعى على المصريين ضعف الخُلق القومي، وعزا تأخر الحركة الفكرية إلى الإسلام، وقال أنه- أي الإسلام- هو السبب الأساسي في هذا التأخر وأنه منعهم من البحث في العلوم غير الدينية، وأنكر أن للعرب الأوليّن مدينة خاصة، واتهمهم بإحراق مكتبة بالإسكندرية بالإضافة إلى أنه اتهم الإسلام بتبديد حقوق المرأة وظلمها[2].

وساد الاعتقاد لدى مفكري الغرب أن الإسلام والعلم لا يتفقان مما استوجب القول استنتاجا أن الإسلام والمدنية لا يتفقان، ويعبّر أرنست رينان عن ذلك قائلا:" لكل من كان مطلعا بعض الاطلاع على أحوال زماننا يشاهد بوضوح انحطاط البلدان الإسلامية الحالي، وتقهقر الدول الخاضعة لحكم الإسلام، وانعدام معالم الفكر لدى الشعوب التي اقتبست عن هذا الدين وحدة ثقافتها وتربيتها، فجميع من يأتون من الشرق أو إفريقيا يدهشهم ضيق التفكير المحدود بصورة حتمية لدى المؤمن الحقيقي، وذلك الطوق الحديدي الذي يطوّق رأسه فيجعله مغلقا بإحكام في وجه العالم وعاجزا عن تلقي أي شيء أو الانفتاح على أي فكرة جديدة [3]".

---

1 - سلمان بن فهد العودة: **أدواء التغريب**،م.س.ذ

2- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص187.

3 -نزار الحديثي: **سياسة التغريب في الوطن العربي**، مجلة أوراق عربية، مركز الدراسات العربية، المملكة المتحدة البريطانية، 1980 ص11-12.

ولكن الغريب في الأمر أن نفس الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الدين الإسلامي تراهم يعبرون عن تخوفهم من هذا الخطر الحقيقي الكامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، في حيويته، وأنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي بل والحضارة الأوروبية، ويعبر القس سيمون عن هذا الإحساس عند الأوروبيين بقوله: "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر. وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية[1]".

أما غلادستون فيرى أنه: " مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[2]"، لذا لابد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري كما يقول لورنس براون[3].

وهذه الآن جملة من الاتهامات التي حاول هؤلاء المفكرون الغربيون إلصاقها بالدين الإسلامي والمسلمين:

- إن الإسلام يرفع حق الربوبية ويجعل الإنسان في حضيض الضعف ودرك الوهن، ونتيجة لذلك تحريض الإنسان على إغفال شؤون نفسه وبث القنوط في قلبه وتثبيط همته، فهو متأثر بالمذهب السامي، ولذلك فهو ينزل بالإنسان إلى أسفل الدرك ويرفع الإله عنه في علاء لا نهاية له، كما أنه عقبة في سبيل العلم والحضارة.
- إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فهو متعصب متطرق يبيح لأتباعه أن يتخذوا المخالفين لهم في العقيدة أسرى حرب ورقيق.
- مناف للتجديد ولم يكن صالحا إلا للزمن والمحيط الذي وُجد فيهما، وأن المسلمين لا يمكن أن يرقوا في سلم الحضارة والتمدن، إلا بعد أن يتركوا

1 -نفس المرجع السابق ص12-13.

2 -**وسائل الإعلام والغزو الفكري**، إعلامنا سلاح دمار شامل: ، http://I3lam06.jeeran.com/archive/2006/11/117396.html.2008/02/23 ،

3 -**http://www.islamdoor.com/k/377/html-** .2008/02/23 ،

دينهم وينبذوا القرآن وأوامره ظهريا لأنه يأمرهم بالخمول والتعصب، ويثّبت فيهم روح البغض للأغيار والشقاق وحب الانتقام، فهو العقبة الكؤود في سبيل رقي الأمة الإسلامية.

- إن الإسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر، بل هو عائق له بما فيه من اعتقاد في الغيبيات وخوارق العادات والإيمان التام بالقضاء والقدر.
- كما أن قوانينه وُضعت لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع ميلادي، والآن أصبحت لا تسمح بالمرونة الكافية لمواجهة المجتمع الإنساني، فهو يحرم المرأة من كل حقوقها ويعتبرها أحط من الرجل، بالإضافة على أنه يبيح الرق[1].
- اعتبار القرآن فيضا من العقل البطن مع الإشادة بعبقرية الرسول (ص)، ألمعيته، صفاء ذهنه ووصف ذلك بالإشراق الروحي تمهيدا لإزالة صفة النبوة عنه[2].

وهكذا فقد عوّل الاستعمار في غزوه الفكري وحملته التغريبية، على حشد أكبر قواه لزلزلة قواعد الدين، القضاء عليه، عزله عن المجتمع، تحطيم قواعده، إبعاده عن ميدان السياسة والاجتماع والفكر، سلبه سلطانه، وفرض قوانين أجنبية وتشريعات غربية بدلا عنه[3]. أي بمعنى آخر محاولة هدم الإسلام عقائديا، فكريا وحضاريا فـ:

عقائديا: بالتشكيك في القرآن الكريم والحديث الشريف وإرجاع الإسلام إلى أصول يهودية.

فكريا: بترسيخ الاعتقاد بأن العقلية العربية عقلية حسية، مادية، محدودة الآفاق، وبهذا فهي غير مهيأة للقيام برسالة الفكر الراقي أي الفكر الفلسفي،

1- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص193-194.

2- **http://www.islamdoor.com/k/377/html**، 2008/02/23.

3- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص 216.

فكان اعتماد الحضارة العربية على الفلسفة اليونانية اعتمادا كاملا، وبسبب عدم أصالة الفكر العربي جاءت فلسفته صورة مشبوهة للفلسفة اليونانية.

حضاريا: بترسيخ الاعتقاد بأن الإسلام لا يدعو على حرية الإنسان وانطلاقه التلقائي الحر، ولهذا جاءت حضارته وهي موسومة بسمة التحجر والجمود في أصفاد الإجماع الرجعي المتخلف[1].

كما شجعت هذه الحملات على الدين فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ويمحي الطابع المميز للشخصية الإسلامية، بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه، بمعنى محاولة الدمج بين الأفكار الغربية الإسلامية معللين ذلك بأن الفكر والمعتقدات الإسلامية بحاجة إلى الفكر الغربي لبناء حضارة تجمع بين الحضارتين، ويكون لها تأثير إيجابي على الأمة الإسلامية[2].

إلا أن الفكرة الأساسية التي بقيت مسيطرة على الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين تبقى موضحة في العبارة التي ما فتئ هانوتو(وزير خارجية فرنسا) يرددها بمناسبة وغير مناسبة: " إن تقدم المسلمين مستحيل لأن الإسلام يحول دون ذلك، وأن كل حكومة انفصلت عن الشرق وسارت على منهج أوروبا نجحت، وأن "موات" الشرقي وضعفه وتخاذله وتواكله، و"حياة" الغربي وقوته وانتصاره مصدرها اتصال الأول بالدين، وانفصال الثاني عنه، وأن الرابطة الوطنية أقوى من الرابطة الدينية[3]". ناهيك عن النظرة التي طبعت الشعوب الأوروبية المختلفة، ففي انجلترا: حضارة الرجل الأبيض الذين كانوا يعتقدون بمقولة " نحن الانجليز الذين مهما تكن نقائصنا فإننا أكثر استعدادا من أي جنس آخر بحكم التراث والمزاج والمران

1- محمد عبد الواحد حجازي: **الثقافة العربية ومستقبل الحضارة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2000 ص160.

2- **http://www.islamdoor.com/k/377/html**، 2008/02/23.

3- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص 216-217.

لقيادة الشعوب البدائية في طريق التقدم والحضارة "، وفي فرنسا "رسالة فرنسا"، وفي ألمانيا " ألمانيا فوق الجميع"[1].

وإذا أسقطنا هذه الفكرة على واقعنا الراهن نجد أن الانتماء الأمريكي- الإسرائيلي لقيم مشتركة، أقصى بشكل واضح العرب الذين يعتبرون خارجين عن ال "نحن" الغربي، وفي ذلك يقول مايكل هانت: " إن مشاعر الأبوة والازدراء التي ظهرت في مغامرة الفيتنام تدل على التأثير الثابت والمستمر لنظرة إلى العالم قائمة على الثقافة ومستغرقة في اللون (لون البشرة)، والتي تضع الأمم و الشعوب في ترتيب اجتماعي يندرج بين طرفين أحدهما الحضارة والحداثة، والآخر البربرية والجمود" ، وهذه النظرة تجعل الغرب ذا ميل نحو الإسرائيليين الذين ينظر إليهم كأوروبيين في صراع مع عرب سمر، ملتحين، مزواجين ومتعصبين، وهي نفس النظرة التي تغذي التماثل مع البيض المتحضرين في جنوب إفريقيا في مواجهة طبقة سوداء خرجت بالكاد من أصولها القبلية البدائية"[2].

وليس أدل على ذلك من مقولة المؤرخ الأمريكي "وليام ليفشتنبرغ" : " من زاوية نظر المؤرخ الأمريكي، يشكل العرب شعبا عاش خارج التاريخ... ويستطيع المرء أن يراجع أي كتاب من كتب تاريخ أمريكا، حتى الحديث منها ليخرج بانطباع مفاده أن العرب لم يكن لهم تاريخ أو أن تاريخهم لم يكن له أي شأن يذكر[3]".

وقد تعزز هذا الخطاب الغربي بخطاب الحداثيين في العالم الإسلامي مثل كتابات: ❖ "**هشام صالح**" - تلميذ محمد أركون- الذي صرّح بقوله: " إننا يجب

---

1 -نزار الحديثي: **سياسة التغريب في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 10.

2 -عبد الله هوادف: **السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل في إطار الصراع العربي الإسرائيلي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002 ص203-204.

3 -عبد الله هوادف: **السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل في إطار الصراع العربي الإسرائيلي**، م.س.ذ ص205.

أن نلحق بفولتير وتصوره الطبيعي للدين... وأن العبرة هي بأعمال الإنسان ... وليست بمعتقداته... أو حتى صلواته أو عبادته... ولابد من تأويل جديد لتراثنا يختلف عن تأويل الأصولية... بل وينقضه... تأويل يكشف عن تاريخ النصوص التأسيسية (يعني القرآن والسنة) ويُحل القراءة التاريخية محل القراءة التبجيلية لهذا التراث ".

❖ "**علي حرب**" الذي يقول عن حداثة أركون :" إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته... وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة... مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون!!!". وهذا الكلام ليس لأركون ولا لتلاميذه بل هو لـ(كانط) الذي قاله في القرن التاسع عشر، وبالتالي فهو قول بال رجعي ، والحداثيون العرب بذلك مقلدون تقليدا أعمى، يلوكون عبارات غيرهم باسم التحرير والتقدم بعيدا عن القديم.

❖ "**السيد القمني**" الذي يصف القرآن بأنه:" يجسد نصا تاريخيا لابد من وضعه... موضع مساءلة إصلاحية نقدية".

❖ "**محمد شحرور**" الذي يبتكر لغة جديدة بقوله:" وكلمة صعيد الواردة في الآية (فتيمموا صعيدا طيبا) لا تعني وجه الأرض وما هو من جنس الأرض، لأن مقدمة الآية "وإذا قمتم للصلاة فاغسلوا..."، والغسل يقتضي إزالة الوسخ عن الجسم، إذن كلمة صعيد ليست ترابا أو غيره، وإنما هو منشفة نظيفة بيضاء معطرة !!! ".

❖ "**أبو القسم حمد**" الذي يقول:" لسنا في حاجة إلى السنة في بيان عدد الركعات، ونكتفي في ذلك بالقرآن الكريم، واستدل في ذلك بقوله تعالى﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[البقرة:187]، على أن صلاة الفجر ركعتان.

واستدل بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[الانشقاق:16]، بأن الشفق- وهو وقت غروب الشمس- له ثلاثة ألوان الأحمر، البرتقالي والأصفر... وهذا يدل على أن صلاة المغرب ثلاث ركعات.

واستدل بقوله تعالى﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه:5] قائلا: والعرش له أربعة أرجل، وبالتالي فالصلوات الأخرى أي الظهر والعصر والعشاء رباعية؟!!".

وغير ذلك من شاكلة هذا الفقه الأخرق الذي يدل على باطنية وجهل مركب في إيراد الآيات على غير معانيها المعروفة لغة وعرفا، أو ما يسميه العلماء بمعهود العرب في الألفاظ ومعانيها[1].

6- اللغة: من جهتها اللغة كان لديها نصيب من عملية التغريب، فلو تتبعنا تاريخ الدول النامية منذ ابتلائها بالاستعمار إلى غاية التحرر والاستقلال لاكتشفنا أن الحضور الأجنبي (الثقافي خاصة)، لم يكن مجرد ظاهرة ثقافية هامشية يعيشها الأهالي بل كان ظاهرة تسعى عن طريق لغة المستعمر إلى أن تصبح جزءا من الثقافة الرسمية للبلاد، فمنذ أن دخلت اللغة الأجنبية مدارس ومعاهد الناشئة في كل البلدان العربية التي ابتلين بالاستعمار، أصبحت الثقافة الغربية تنمو شيئا فشيئا تحت تأثير المناخ الاجتماعي، السياسي والفكري الذي أوجده المستعمرون والذي تقبله الأهالي وتوارثوه جيلا بعد جيل[2].

وهنا لابد من التنويه إلى نقطة مهمة جدا، وهي أن الغزو اللغوي هنا يتقسم إلى قسمين:

- إحلال لغة المستعمر محل اللغة القومية، تحت شعار مواكبة التحديث من ناحية أخرى فقد أثبتت الدراسات أن الشعوب ذات اللغة المكتوبة(التراث المكتوب) أقدر على مقاومة المستعمر من الشعوب ذات اللغة الموروثة شفهيا، فمهما طال الاستعمار فإن الأولى دائما ما تصل إلى استرداد هويتها واستقلالها.

إذن هناك حرب لغوية –إذا جاز التعبير- مؤداها انتزاع المثقف في تلك الشعوب بعيدا عن لغته القومية والحديث هنا عن العرب، ويتخذ هذا الانتزاع تارة

---

1 -ليث سعود القيسي: **التحديات المعاصرة وآثارها على سلوك الشباب الدعوي**، م.س.ذ

2 -الطيب الجويلي: **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، دار المسيرة، الطبعة الأولى، لبنان، 1991 ص63.

شكل الزعم بعجز اللغة العربية عن مواكبة المعاصرة، وتارة أخرى يتم لأسباب برجماتية بمعنى أن اللغة الأخرى هي التي ستكفل للمثقف الانتماء الحضاري للعصر.

- الدول المتخلفة التي صارت النامية ثم سُميت العالم الثالث ثم تحولت إلى الجنوب، وهي كلها تحملَ دلالة الضلالة والدونية بالنسبة للغرب المسمى الآن بالشمال، الذي يحمل في باطنه دلالة التقدم، السيادة، الديمقراطية، الإبداع، الابتكار... هذه العلاقة بين الدال والمدلول على بساطتها تعد من أخطر ما يمر على المتلقي[1]، إلا أننا ما يهمنا نحن هو القسم الأول من هذا الغزو اللغوي الخاص بإحلال لغة الغرب محل اللغة الرسمية للدول الأخرى غير الغربية.

وفي هذا الصدد يقول سلامة موسى:" لنا من العرب ألفاظهم ولا أقول لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهي لغة بدوية لا تكاد تكمل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن"[2]، ويضيف في موضع آخر :"... حرمان لغتنا من كلمات الثقافة العصرية هو لذلك حرمان للأمة من المعيشة العصرية، فنحن مازلنا نعيش بكلمات الزراعة، ولم نعرف كلمة الصناعة لذلك فإن عقليتنا قديمة جامدة متبلدة تنظر إلى الماضي، حتى أننا نؤلف في ترجمة معاوية ابن أبي سفيان في الوقت الذي كان يجب أن نؤلف عن هنري فورد أو كارل ماركس...، بلاغتنا التقليدية هي بلاغة الانفعال والعاطفة في الوقت الذي نحتاج فيه إلى تأكيد المنطق والعقل[3]".

ومع الوقت تحققت رغبة سلامة موسى فأصبح "المثقف" في مصر يجيد لغة ثانية هي الإنجليزية، وفي تونس يخاطبك التونسي بالفرنسية، وهكذا نمت اللغات في كل بلد عربي وانتشرت بحكم وجود المستعمِر على الأرض في عهد ما قبل

---

1 -محمد محمود ذهبية: **الإعلام المعاصر**، دار أجنادين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، 2007 ص95-96.

2- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص176.

3- أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص177.

الاستقلال ثم، ونظرا للتيارات السياسية اعتبرت تلك اللغات الأجنبية بمثابة ميراث ثقافي تركه المستعمر إلى جانب ما تركه من معالم أخرى، ونتيجة لهذا الترابط نشأ في الأوساط المتعلمة ما يسمى بازدواجية اللغة، فهذا يجيد لغتين فهو بيلانقيست وذاك يجيد ثلاث لغات فهو تريلانقيست وهذا أرابيزان والآخر فرانسيزان، فكل هذه المصطلحات تولدت عن ظاهرة ازدواجية اللغة وتأثيرها الثقافي[1].

ويوضح محمد يوسف هذا الكلام أكثر حيث يرى أنه صحيح أن لكل منا لهجة خاصة لا تتجاوز تغطية شبكتها الحدود الجغرافية التي تنتمي إليها، لكنها في الغالب مطعمة بألفاظ أجنبية تختلف حسب طبيعة المستعمر الذي مر من بلداننا، وتشمل من المصطلحات الساقطة ما تتعفف عنه اللغة العربية، فتجدهم -أي المولعون باللغات الأجنبية- يحاولون إقحام كلمة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية حتى يبدو المتكلم وكأنه "مثقف"!! فلا يخلو الحديث من كلمات مثل "أوكيه" أو "هاي" أو "باي باي" أو "آلو" أو... وفي ذلك هجران للغتنا وتقليل من شأنها، خاصة مع وجود البدائل لكل تلك الكلمات والعبارات في ديننا وفي ثقافتنا[2].

يقول طه حنفي لقد غير التليفزيون كثيرا من أنماط حياتنا وحياة أبنائنا، وذلك عن طريق إعلاناته التي تصب في آذاننا خليطا غير متكافئ من اللغات، حيث أن اللغات الأجنبية هي الغالبة على معظم الإعلانات بحيث يشعر المرء أنه لا يعيش في ظل مجتمع لغته هي العربية وثقافته هي الثقافة الإسلامية... إنها "عقدة الخواجة". لقد صبغت اللغة الأجنبية التي يستخدمها التليفزيون الشارع العربي بصبغة أجنبية غريبة، بحيث يمكن القول أننا لم نصبح لا عربا ولا أجانب، فالشارع يموج بالعديد من اللافتات والأسماء الأجنبية التي امتدت لتشمل معظم ما يحتويه...[3].

1- الطيب الجويلي: **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، م.س.ذ ص63-64.

2 -محمد حسن يوسف: **التغريب في ديار الإسلام**، م.س.ذ.

3 -محمد طه حنفي: **أبناؤنا ولغة الكوتشي والكتشاب**، سلسلة سفير التربوية، العدد 22، دار سفير، مصر، 1997 ص 49-50.

إن امتلاك السيادة الثقافية داخليا وخارجيا يتوقف في الأساس على سيادة اللغة في وطنها، لكن الإحصاء اللغوي الذي أجرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يدعو إلى الاعتقاد بوجود تعددية لغوية لدى العرب، واللغة تتصل بأكثر الميادين الثقافية شأنا وأهمية: ففيها الخصوصية الثقافية الوطنية، الوحدة السياسية، التراث الثقافي والسيادة الثقافية، إذن اللغة ليست مجرد تعبير وتفاهم فقط وإنما بحكم تاريخيتها وبناها وتراكيبها تمثل ذاكرة الأمة تختزن فيها تراثها الثقافي، مفاهيمها، قيمها وقوام حضارتها[1]. وهنا المفارقة العجيبة فاللغة العربية هي لغة حية يجري تمويتها، في حين نجد إسرائيل تنجح في إحياء اللغة العبرية من خلال جامعاتها والتي كانت لغة ميتة[2].

وعلى مستوى آخر- من الهيمنة اللغوية- صاغ الروائي الانجليزي هربرت.ج. والز(Herbert .G. Wells) تنبؤاته متسائلا عن اللغة التي ستسود العالم وعن الثقافة التي ستهيمن بدورها وتفرض نفسها على باقي الثقافات من خلال كتابه "تنبؤات" الصادر في نهاية القرن التسع عشر (19)، اعتمد والز في تحليله على عرض معطيات استشرافية حول آفاق نهاية القرن العشرين، وبالأخص ما يتعلق بتطور أشكال الاتصال وأساليب التفكير والحياة مؤكدا على أن بعض اللغات مثل الإسبانية والبرتغالية سوف تتصارع من أجل ضمان بقائها في الواجهة أمام الاحتكام الفعلي الذي سيجمع اللغة الفرنسية والانجليزية لكسب المزيد من الانتشار على الصعيد العالمي، ونظرا لأهمية كل من هاتين اللغتين ومزاياهما العديدة فإن بعض المجتمعات الأوروبية ستقوم في مطلع الألفية الثالثة، عند تضاعف أنماط الاتصال والتنقل -حسب والز- بتبني كلتا اللغتين واسماها اللغات الجامعة (Les langues rassembleuses) الناتجة عن تطبيق الاتفاق اللغوي

---

1 -كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002 ص249.

2 -محمد حسن يوسف: **التغريب في ديار الإسلام**، م.س.ذ.

(Le compromis bilingue)، سيما مع اتساع النظام الاجتماعي الذي تتشابك مستقبلا مكوناته بفعل تقاطعها الثقافي واختلافها[1].

اللغة وعاء الفكر وهي التي تشكل هوية الفرد والمجتمع، ومن ثم يصبح لكل مجتمع هويته المستقلة وثقافته المتفردة انطلاقا من لغته التي يتحدثها والتي تختلف بطبيعة الحال عن اللغات التي تتحدثها المجتمعات الأخرى، لذا يبقى الخوف الأكبر من أن يتحقق حلم "زكي نجيب محمود" حين قال: " إني أحلم لبلادي باليوم الذي اشتهيه لها فإنما أصورها لنفسي وقد ارتدينا من الثياب ما يرتدون - أي الغرب- ، وأكلنا كما يأكلون، لنفكر كما يفكرون، وقد كتبنا من اليسار إلى اليمين كما يكتبون، وننظر إلى الدنيا بمثل ما ينظرون"[2].

أهداف التغـــريب

لقد نشأت عند ساسة الغرب ومخططيه أيام الاستعمار بعد فشل بعض الحملات العسكرية فكرة شيطانية، وهي أنه ينبغي أن تكون الجيوش الاستعمارية بعيدة عن المواجهات لأنها تثير ردود فعل عنيفة، وأنه ينبغي عليهم أن يبذلوا الأسباب لتستسلم الأمم المسلمة للثقافة والحضارة الغربية بنفسها طواعية، وبذلك نشأت فكرة التغريب وأساسها تذويب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتعتنق هذه الديانة الجديدة التغريبية، وتدخل في عجلة الاستهلاك الاقتصادي التي يروج لها الغرب[3].

---

1 -راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2003 ص76.

2 -أنور الجندي: **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، م.س.ذ ص178.

3 - بشر بن فهد البشر: **أساليب العلمانيين في تغريب المرأة** المسلمة، www.saaid.net/mktarat/almani/33.htm ، 2008/02/23.

ولكن يعتبر الهدف العام من عمليات التغريب هو السعي إلى تغيير المجتمع ثقافيا واجتماعيا وفكريا حسب النموذج الغربي، ورفع السيطرة الدينية على المجتمع، ونظرا لاستحالة الوصول إلى هذا الهدف مباشرة كان لابد من خطوات وخطط إستراتيجية تدريجية لتحقيقه لعل أهمها ما ورد في "بروتوكولات حكماء علمون" والتي نوردها في النقاط التالية:

- **إفساد المرأة المسلمة**: وسلخها من قيمها ومبادئها وإخراجها من عاداتها الإسلامية، انخلاعها عن حجابها، تركها لبيتها الأمر الذي سيؤدي إلى:
  - غياب التربية الإسلامية للأطفال.
  - تفكيك البنية التحتية للتماسك الأسري...فبإفساد المرأة سيتحلل المجتمع عن أخلاقه ومبادئه تدريجيا حتى يصل إلى النموذج الغربي الأسمى.
- **القضاء على مناهج التعليم الدينية**: من خلال حشو أذهان الطلاب بمعتقدات وأفكار ورؤى غربية تماما، وذلك من خلال:
  - المطالبة بتقليل المناهج الدينية من حيث موادها وصفحاتها أو عدد حصصها، أو عدد سنوات دراستها واتخاذ كافة التبريرات لذلك.
  - النقد المستمر لتلك المناهج، أسلوبها، صعوبتها، عدم فائدتها حتى يقل قدرها في النفوس.
  - إبراز المناهج والتخصصات العلمية الأخرى، والإشادة بها والسعي لإدخال بعض المفاهيم الموافقة للمشروع التغريبي.
- **الإشادة بالغرب**: وبتعاليمه ونظمه حضارته وكل المقومات التي يتميز بها عن المجتمع المسلم، مع الحرص على عدم الطرح الواضح الصريح في ذلك، وإنما يكون ذلك بصورة غير مباشرة.
- **الإشادة بالسلوكيات المثلى للغرب**: والتي يراها المجتمع سلوكيات شاذة، وهذه الإشادة تسهل المهمة لمن لا يجد قدوة له، مما يشجعه على الإقدام على مثل هذه السلوكيات مثل: النساء المكتشفات، الأدباء المتحللون، المفكرون الإباحيون...[1].

---

1 - بروتوكولات حكماء علمون،

http: //www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb.html.2008/02/23 ،

- **مواجهة التراث الإسلامي**: إما برفضه كلية واعتباره من مخلفات عصر الظلام والانحطاط والتخلف، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية لتوظيفه توظيفا علمانيا من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية ولغة عربية وأعرافا اجتماعية، ولم ينج من غاراتهم تلك حتى القرآن والسنة: إما بدعوى بشرية الوحي أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو أمة خاصة، أو بدعوى أنه مبادئ أخلاقية عامة أو مواعظ ورقائق روحية لا شأن لها بتنظيم الحياة ولا ببيان العلم وحقائقه.
- **اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي، استعماري، عنصري وغير حضاري**: وتفسيره تفسيرا ماديا بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء حيال هذا التاريخ وتجاهل كل ما فيه من صفحات مضيئة والخلط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني.
- **خلخلة القيم الخُلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي**: والمسيّرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة، الإيثار، الطهر، أحاسيس الجسد الواحد، العفاف وحفظ العهود واستبدال ذلك بقيم الصراع، الاستغلال، النفع، أحاسيس قانون الغاب، الافتراس، التحلل والإباحية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية والأعمال الأدبية، السينمائية والتليفزيونية، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه.
- **رفع مصطلح الحداثة**: كلافتة فلسفية اصطلاحية لشعار التوحيد، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة، هدم القيم والثوابت، نشر الانحلال والإباحية، أنسنة الإله، تلويث المقدسات وجعل ذلك إطارا فكريا للأعمال الأدبية والدراسات الاجتماعية.
- **وصم الإسلام بالأصولية، التطرف وممارسة الإرهاب الفكري**: عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية لتخويف الناس من الالتزام به والاستماع لدعاته.

- دق طبول العولمة: واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية... بل إنهم يصرخون بأن أي شيء في حياتنا يجب أن يكون محل تساؤل، دون التفريق بين المتغيرات والثوابت مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية.
- **الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية:** خاصة في الفن، الرياضة، شركات الطيران، الأزياء، العطور، الحفلات الرسمية... ولئن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خُلقية ومنطلقات عقائدية وفلسفة خاصة للحياة[1].

وهكذا يبقى هدف التغريب الأول والأخير نشر الثقافة الغربية في الوطن العربي والإسلامي بمختلف صورها وميادينها، لخلق شخصية عربية لا تفهم في واقعها شيء ولا يهمها سوى تقليد الغرب، شخصية الإنسان المنفعل، المغرّب ذي البعد الواحد -كما وصفه ماركيوز- الإنسان الذي غالبا ما يكون وقود الحضارة وموضوعها.

وفي هذا الإطار وضع إدريس هاني إطارا عاما للشخصية المنفعلة حضاريا ومن أبرز سماتها:

- شخص يرتدي آخر ما جاءت به عروض الأزياء التي يلتزم حضورها كطقس لتغذية الذوق الرفيع.
- يتناول أغلب وجباته في الماكدونالدز، ويستقي أغلب معلوماته من الCNN.
- يتابع قراءاته في النيويورك تايمز.
- يفضل النزول في الشيراتون أو الهيلتون.
- يفضل التكلم بالإنجليزية أو الفرنسية.
- أخيرا يقف من إسرائيل المتفوقة موقفا معقولا دون أي التزام ثقافي أو أيديولوجي أو ديني أو قومي.

هذه الصورة التي نجدها في شخصية المجتمعات المغلوبة على أمرها حضاريا[2].

---

1 - عوض بن محمد القرني: **بعض ملامح العلمانية الوافدة**، http: //www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb.html، 2008/02/23.

2 - علي أسعد وطفة: **في سؤال الهوية:صورة الإنسان في عصر العولمة**، www.almualem.net/maga/awla06.html.2008/04/06 ،

المبحث الثاني

آليــات التغريب ونظريــــاته

في هـذا المبحـث سـنتناول عنـصرين في مفهـوم التغريـب أولا الآليـات الـتي اعتمـد عليهـا في انتـشاره عـبر الـزمن داخـل المجتمعـات الـشرقية، متمثلـة في الغـزو والاخـتراق الثقـافيين، وأيـضا النظريـات –علـى الأقـل أشـهرها- الـتي روّجـت لـه في العصر الراهـن وسـاعدت في تغلغله وهـي نظرية صـراع الحـضارات لـصمويل هنتغتـون، ونهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما. والبداية تكون مع الآليات:

المطلب 01: آليـــات التغريـب

هذا المطلب سنتناوله من خلال فرعين هما الغزو الثقافي والاختراق الثقافي، من خلال التطرق إلى هذين المفهومين بالشرح والتحليل.

الغــزو الثقافــي

في مجمـل الكتابـات الـتي تتحـدث عـن الاقتـصاد، الـسياسة، الإعـلام والثقافـة وفي الأدبيـات الأخـرى الـتي تتنـاول الفنـون والآداب يتكـرر مـصطلح الغـزو بـوتيرة ثابتـة... وتطالعنـا باسـتمرار هـذه التحـذيرات أو التخوفـات الـتي يطلقهـا بعـض البـاحثين: الغـزو الثقافي يهدد ثوابتنا وقيمنا، يهدد هويتنا، نحن مهددون بطمس شخصيتنا الحضارية...

لماذا نحن بالذات؟ الشروح لم تتضح والباحثون لم يقـدموا مـا يـوقظ الـوعي الواحد لفهم المخاطر والتهديدات التي تحيط بأمتنا. ولكـي نـصل إلى النتـائج المرجـوة فإننا سنستلهم من تراثنا المعاني الأولية للغزو.

الغزو في أدبيات التراث:

تشير معاجم اللغة العربية إلى أن كلمة غزو تعني في جوهرها: القتل والنهب، فقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: الغزو: السير إلى قتال العدو وانتهابه.

وبلغتنا المعاصرة يعني تدمير البنية التحتية للمجتمع المغزو والقضاء على إنسانه، ويتضح أيضا أن الغزو يأتي دائما من الخارج، أي من قبل مجتمع بعيد يفترض العداوة في المجتمع الآخر فينقض عليه[1].

أما معجم اللغة الفرنسية فيعرف الغزو " Invasion" على أنه:

- ❖ تدخل مسلح لدولة معينة على دولة أخرى.
- ❖ تدخل واسع مكثف مصحوب بالعنف وتدمير المنشآت يقوم به شعب معين خارجي ضد بلد معين، من أمثلة ذلك غزوات البربر والغزوات الكبرى[2].

وإذا قلنا أن الغزو جزء من الثقافة البربرية التي يرفضها الآخرون أي غالبية البشرية، فعندما يصبح الغزو ثقافيا فإن ذلك يعني أن الثقافة هذه تصبح هي كلها الإستراتيجية ويصبح الغزو أداة لتنفيذها، وبمعنى أوضح أن نظام القيم والرموز الذي وضعته أو أوجدته هذه الثقافة المعادية يسعى عن طريق الغزو لأن يحل محل أنظمة القيم والرموز الذي وضعته الشعوب الأخرى، وذلك بالعمل على تدميرها والقضاء عليها[3].

جاء هذا المصطلح إلى واقعنا العربي المعاصر ثقافيا، إعلاميا ولغويا مع ظاهرة الاستعمار الحديث الذي استولت فيه البلدان الأوروبية على معظم الوطن العربي منذ أواخر القرن الثامن عشر (18) حتى أوائل القرن العشرين (20)، وقد مارست الدول الاستعمارية الغزو الفكري بمجموعة من الوسائل: الإعلام، التعليم،

---

1 – سلمان بن حمد العتيبي: **العولمة والدعاية**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002. ص 214

2 – نفس المرجع السابق ص215.

3 – نفس المرجع السابق ص249.

المنظمات (الشركات، النوادي والهيئات)*[1]، فالغزو الذي اجتاح الأمة الإسلامية مصاحبا الغزو العسكري ألحق هزيمة أصابت هذه الأمة في العمق وتسبب في خسائر مادية ومعنوية فادحة، فكما تقول سوزان سلامة :" الأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما فإنهم لا ينزلون به سائحين عابرين، ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبيحين عرضه وكاسرين شوكته، فإن كانوا طلاب مغانم استنفذوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات وإن كانت لهم أغراض دينية واجتماعية وضعوا الخطط الفكرية القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة وتغيير ملامحها الفكرية والدينية[2]. ومن هنا فالغزو الثقافي ليس بالجديد، أما ما هو حديث فهو تعبيره عن محاولة مجتمع ما لفرض قيمه على مجتمع آخر بالقوة حيث قد تحدد مضمون هذا المصطلح في ضوء انجازات العلوم الإنسانية، ودخل القاموس السياسي حديثا معبرا بذلك عن الوعي السياسي للشعوب المتحررة وإيمانها بدور الثقافة دعامة لبناء اجتماعي حيوي أصيل ومتجدد[3].

عرّفه جلال أمين بأنه:" اعتداء رأسمالي على الهوية الثقافية للأمة المعتدى عليها، من أجل استقلالها اقتصاديا، كما يمكن أن نصنفه بأنه غزو دين لدين أو إحلال ثقافة أمة محل ثقافة أخرى"[4].

يصفه باسم خريسان بأنه الوليد غير الشرعي للغزو العسكري إلا أنه يختلف عنه كثيرا، ذلك أن الغزو العسكري يضر بالغزاة أكثر مما يحقق أهدافهم، فهو يحرك في الشعوب المغزوة عاطفة الولاء للدين والدفاع عن ثرى الوطن،

---

* كما استخدمت أندية مثل: الروتاري، الليونز، الكيواني، الأكستسانج، المائدة المستديرة، أو منظمات كالماسونية، البهائية والقديانية.

1 – أمين سعيد عبد الغني: **الثقافة العربية و الفضائيات:رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي**، م.س.ذ ص67.

2 – سوزان سلامة: **التغريب والغزو الثقافي والفكري**

www .adabhome.com/vb/showthread.php?t=1408.. ،2008/03/17.

3 – باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، لبنان، 2001 ص 39.

4 – أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص75.

ويثير فيهم حسن العمل الجاد للاستقلال من التبعية للأعداء، أما الغزو الثقافي فهو لا يعتمد المواجهة المسلحة أو استخدام القوة، إلا أنه أفضل للغزاة فوسائل الغزو الثقافي ناعمة، خادعة ومحفوفة بالشهوات مثل الطريق إلى جهنم لذا فإن الاستجابة إليه أسرع وأكثر تأثيرا... حيث أن آثار الغزو العسكري تنتهي بانسحاب قوات الاحتلال في حين يبقى أثر الغزو الثقافي قائما في عقول وقلوب الناس أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة[1].

وكما يقول عبد الله أبو هيف فإذا كان هدف الغزو العسكري هو احتلال الأرض فإن الغزو الثقافي يهدف إلى احتلال العقل، فهو أخطر من الغزو العسكري وعلامة ذلك أن هذا الأخير يستمد قوته من آليات الإخضاع الداخلي، مما يبدو وكأنه تعمية للحال أو تجميل له فيُقبل الإخضاع على أنه شيء آخر غير الإخضاع لالتباسه بمفاهيم كثيرة تتصل بعمليات التكوين الذاتي كالنمو، الاستقلالية، الأصالة، الصلابة، السلطة، المناعة والوعي...[2] أما محمد الميلي فمن جهته يرى بأن الاصطدامات الأولى بين الغرب الاستعماري والبلدان التي فقدت استقلالها الواحدة تلو الأخرى في الماضي كانت في جوهرها اصطدامات ثقافية، صحيح أن الشكل الذي اتخذته والنتائج التي ترتبت عن ذلك جعلت الجانب السياسي العسكري فيها أوضح، لكن من البديهي أن الذي يرفع السلاح ضد محتل أجنبي إنما يرفعه في الواقع ضد مفهوم ثقافي يُراد أن يفرض عليه فرضا[3]، فمثلا الغزو الفرنسي كان ولا يزال يهدف إلى تكوين مواطن فرنسي ثقافيا وليس إثنيا أو جغرافيا، يدين بالولاء لفرنسا ونجاحها في ذلك تحقق به ما لم يحققه لها نجاحها العسكري، ففي حالة انتصارها الثقافي يصبح الشخص المغزو جنديا مجندا

---

1 - باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، م.س.ذ ص40.

2 - عبد الله أبو هيف: **الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به**، http://www.annabaa.org/nba63/qazo.html، 2008/03/17.

3 - محمد الميلي: **حق المعرفة وحق الأمل**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان، 2000 ص249-250.

لها، وفي حالة انتصارها العسكري يصبح الشخص المغزو مجندا ضدها لمقاومتها، والفرق بين الحالتين كالفرق بين من يرى أنه غير فرنسي حتى وهو يعيش داخل فرنسا، وغير الفرنسي الذي تعيش فرنسا داخله، وحتى وإن كان يعيش خارجها فهذا الأخير لا يتخلص من غزوه حيثما حل وارتحل، بينما صاحب الغزو العسكري متحرر حتى وهو داخل زنزانته وبين قيوده، فهو متحرر فكريا وثقافيا وسياسيا[1].

وهكذا فإن الغزو الثقافي كما مثّله عبد العاطي نجم فهو آلية متممة لعملية التمغرب الثقافي ومن الواضح –حسبه- أنه عملية منظمة فلا جيش أجنبي يحتل البلاد، ولا عدو منظور (مرئي) يقاتله الشعب، بل هو كما يصفه صلاح البيطار: " غزو سلبي، بلغة أجنبية عذبة، ذات مذاق حلو على لساننا، يسعى إلى التشجيع على راحة البال اليومية للاطمئنان على الغد، كسل الذهن، وأن ليس في الإمكان أبدع مما كان"[2]. وللتذكير فجبهة الغزو الثقافي هي أخطر من الجبهتين: التبشير والاستعمار، كونها أعقد الجبهات أسلوبا وأفسحها ميدانا وأخفها حركة، وسلاحها أكثر تنوعا ورجالها لا يتميزون كالعسكريين ورجال الدين، ولا يوجد لهذا الغزو مؤسساته الرسمية الخاصة كما هو الحال بالنسبة للمؤسسات العسكرية والدينية: الثكنة والكنيسة، ومع ذلك فالمؤسسات الدينية، العسكرية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية كلها في خدمته بطريقة أو بأخرى[3]، وبالتالي فقد شكل الغزو الثقافي جزءا أساسيا من مشروع استعماري قديم يرقى إلى بدايات السيطرة الأوروبية على الوطن العربي، في إطار مشروع

---

1 – الطيب بن إبراهيم: **قراءة مختصرة لكتاب: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثامن، الجزائر، 2005 ص 136.

2- طه عبد العاطي نجم: **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005 ص 163.

3- الطيب بن إبراهيم: **قراءة مختصرة لكتاب: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**، م.س.ذ ص 135.

رأسمالي للسيطرة على العالم وتوحيده على قاعدة رأسمالية احتكارية، تشكل فيها أوروبا الصناعية مركز القلب وباقي المناطق مجرد أطراف تابعة وملحقة بها[1].

يقول ابن خلدون في معنى الغزو الثقافي: "إنما تبدأ الأمم بالهزيمة من داخلها عندما تشرع في تقليد عدوّها "[2]، والناظر اليوم إلى حال الدول التي كانت قد تعرضت للغزو الثقافي في السابق نتيجة للسيطرة الثقافية يجدها تعيش في أزمة ثقافية فلا يزال منهجها منسوخا عن المنهج الغربي ولا تزال عقول مثقفيها لا تدرك إلا النمط الثقافي الغربي، لذلك نجد هذه المجتمعات منقسمة بين فئة تعيش في غربة ثقافية، وهي الفئة التي تمثل النخبة القيادية والمفكرين، وفئة أخرى تمثل الثقافة الشعبية تعيش في غربة ثقافية عن عصرها[3].

وفي الأخير لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة، هي أن الغزو الثقافي لا يتوقف حدوثه على الطرف الغازي فقط، وإنما على الطرف المتعرض للغزو أيضا، خاصة إذا كان هذا الأخير لا يملك القدرة على تجديد ثقافته.

الاختــراق الثقافـي

في البدء لابد من القول بأنه ليس هنالك فرق كبير بين الغزو الثقافي والاختراق الثقافي، فكلاهما يسعى إلى تحقيق نفس الهدف وإن كانا يختلفان في الوسيلة، ويعلل باسم خريسان ذلك بأنه إذا كان مفهوم الغزو الثقافي قد اقترن بمرحلة السيطرة الأوروبية المباشرة على العالم، فإن مفهوم الاختراق الثقافي قد اقترن بالتطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات بعيدا عن استخدام القوة العسكرية[4].

1- مسعود ضاهر: **مجابهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني: دراسة في الثقافة المقاومة**، منشورات المجلس القومي،المغرب، الطبعة الأولى، 1989 ص23.

2- سوزان سلامة: **التغريب والغزو الثقافي والفكري**، م.س.ذ

3 - باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، م.س.ذ ص40-41.

4 - باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، م.س.ذ ص41-42.

فقد ظهرت بوادر مرحلة جديدة من الاختراق الثقافي الذي يقف وراءه هذه المرة لا مدافع الاستعمار، ولا أجهزة الدعاية المقاومة "للشيوعية"، بل يقف وراءه ذلك التطور الهائل الذي عرفته وسائل الاتصال السمعية البصرية التي أصبحت تغطي جميع أرجاء العالم بواسطة البث عبر الأقمار الصناعية، تخترق جميع البيوت لتمارس الهيمنة الثقافية على بلدان العالم الثالث[1]. وبالتالي فالاختراق الثقافي هو: " حركة انتقال الأفكار والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات العربية، وما يماثلها في دول العالم الثالث، كما يمثل سياسة و إستراتيجية للتدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في ثقافتهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم، تدخلا كليا أو جزئيا بمختلف الوسائل "[2].

أما هربرت تشيللر فيعرفه على أنه : " مجموعة صيرورات يدمج من خلالها مجتمع ما في إطار النظام الدولي الجديد، والكيفية التي تجعل فئته الحاكمة تُقبل عن طريق الإبهار، الضغط، القوة أو الرشوة على تشكيل المؤسسات الاجتماعية حسبما يتماشى مع قيم وهياكل المركز المسيطر للنظام، أو يتحول إلى داعية له"[3].

وفي هذا الصدد يقول عابد الجابري لقد كانت إستراتيجية الاستعمار الأوروبي منذ العهود الأولى من القرن الماضي تقوم في كل مكان على مبدأ: " يجب إخضاع النفوس بعد... إخضاع الأبدان" إخضاع الأبدان يتم بالمدفع، أما إخضاع النفوس فسلاحه التعليم والثقافة، ولم يكن من الممكن في ذلك الوقت الدخول في عملية إخضاع النفوس دون المرور أولا بمرحلة المدفع (إخضاع الأبدان)، لم يكن الاتصال ممكنا إلا بعد احتلال الأرض شبرا شبرا ، والإمساك بالسكان قهرا

1- محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 1994 ص181-182.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، مصر، 2005 ص 87 .

3- فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، ترجمة: أحمد عظيمي، منشوراتANEP، الجزائر، 2005 ص12.

لتبليغ الرسالة إليهم ، إما في السوق أو في المدارس، نعم لقد سبق الاستشراق المدفع ومعه البعثات التبشيرية وغيرها ، ولكن مهمته لم تكن تتجاوز الاستكشاف لتمهيد الطريق للمدفع، أما إخضاع النفوس فهو يستلزم الاتصال المباشر والواسع الذي يمهد له المدفع ويحميه، أما اليوم فالاتصال من دون "مدفع" ممكن وإخضاع النفوس عن بعد من مسافة بعيدة أصبح أمرا ميسورا جدا ، بفضل التقدم الهائل في وسائل الاتصال السمعية البصرية، وإذا فلقد انقلب الوضع انقلابا : " لم يعد إخضاع الأبدان شرطا في إخضاع النفوس، بل بالعكس غدا إخضاع النفوس طريقا لإخضاع الأبدان ".

لقد عرّف القدماء من الفلاسفة البدن بأنه: " آلة تحركها النفس " وإذا فإخضاع النفس يستتبع حتما إخضاع آلتها (البدن) وينهي عابد الجابري تحليله بالقول: " تلك هي حقيقة الاختراق الثقافي في العصر الراهن، وذلك هو هدفه "[1].

عرّفه محمد حوات بأنه: " مجموعة الأنشطة الإعلامية، الثقافية والفكرية التي توجهها دولة أو جهة أو عدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، بهدف تغيير الاتجاهات وتكوين أنساق من السلوكيات والقيم والرؤى وأنماط التفكير لدى الشعوب المخترقة بما يخدم مصالح وأهداف الجهة التي تمارس عملية الاختراق "[2].

وقد حدد الجابري هذه العملية حيث قال: "... إن الاختراق الثقافي يستهدف العقل والنفس ووسيلتهما في التعامل مع العالم: الإدراك، فهو يهدف إلى السيطرة عليه، اختطافه، وتوجيهه من خلال الصورة السمعية- البصرية، ومنه إلى تسطيح الوعي، أي جعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامي إشهاري مثير للإدراك، مستفز للانفعال، حاجب للعقل، ومع السيطرة على الإدراك يتم إخضاع النفوس بمعنى: تعطيل فاعلية العقل، تكييف المنطق والقيم، توجيه

---

1 - محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص190-191.

2 - علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 87 .

الخيـال، تنميط الـذوق، قولبـة الـسلوك...والهدف تكـريس نـوع معـين مـن المعـارف والسلع والبضائع...إنه نمط الحياة الأمريكية، ولكن فقط في الجانب الاستهلاكي منه"[1].

أما محمد حوات فقد حدد الأبعاد المشكلة لمفهوم الاختراق الثقافي في العناصر التالية:

- جرّ ثقافة الشعوب والدول المستقبلة إلى تبعية ثقافة الدول المتقدمة عن طريق البث المباشر، واعتمادها على آلياته اعتمادا كليا في نشر وإنتاج القيم، المعارف، المعاني والأفكار سواء ذلك بسبب تفوّق الثقافة (المخترقة) في مقدرتها على مثل هذا الإنتاج، أو بسبب انعدام ثقة المستقبل بثقافته.
- تولّد أو سيادة الشعور بالتفوّق والاستعلاء لدى الدول الباثة (المختِرقة)، والنقص والدونية لدى الدول المستقبلة (المختَرقة).
- تشجيع وجود نمط عالمي موحد للسلوك الاستهلاكي، فتحت شعار "الجديد دائما" يتم استيراد آخر التقليعات الأمريكية والأوروبية، وفي كل يوم يُرمى القديم في المزبلة ليحل محله الجديد المُربح تجاريا للدول الغازية (المخترِقة).
- وضع العقبات أمام الجهود التي تبذلها الدول النامية لتثبيت دعائم استقلالها السياسي والثقافي ولضمان سيادتها.
- تعطيل الإرادة الوطنية للدول التابعة ثقافيا، وفقدانها السيطرة على إعادة تكوين ذاتها أو تجددها[2].

ولعل من بين وسائل الاختراق التي تمارسها هذه الدول الغازية على العالم وفي مقدمته الوطن العربي، نجد أن نسبة الأفلام الأمريكية مثلا تزيد عن 70٪ من الأفلام المعروضة في الأقطار العربية، أما برامج التسلية التليفزيونية فتزيد عن 75٪ منها أمريكية، وفي العالم أجمع توجد 10 وكالات دولية للدعاية، 09 منها

1- محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 191-192.

2 - علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 87-88 .

أمريكية، و04 وكالات للأخبار، 02 منها أمريكيتان، أما البث عبر الأقمار الصناعية فالسبق والهيمنة هو للولايات المتحدة طبعا[1].

وتشير دراسات كثيرة أهمها كتاب " الاختراق الإعلامي للوطن العربي" لمجموعة من الباحثين، أن أكثر القيم السلبية بروزا في المسلسلات الأجنبية التي تعرض على شاشات التليفزيونات العربية هي: الفردية، القسوة، العنف، التعصب، العدوانية، الخيانة، السرقة والخداع وأن تلك المسلسلات الأجنبية سيما الأمريكية منها ترويج الجوانب الانحلالية، كإقامة علاقة جنسية غير شرعية بين الجنسين، كما أنها تعكس ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية على حد سواء، وأن معظم الموضوعات التي تقدمها المسلسلات الأجنبية لا تتناسب مع خطط التنمية، ومستوى التطور الاقتصادي الاجتماعي والثقافي في الدول العربية[2].

ولقد جاء في تقرير الحلقة الدراسية الإقليمية حول تأثيرات برامج التليفزيون العام في العملية التربوية (10- 14 جوان 1982) في تونس ما يلي:

- أن معظم الأشرطة التي تقدم على شاشات التليفزيونات العربية بطريقة غير مرشدة، تجعل الإنسان في هذه المنطقة يحتك احتكاكا مباشرا مع ثقافات غير متعادلة مع الثقافة الأصلية، وغالبا ما يكون هذا الاحتكاك لصال الثقافة الدخيلة مما يؤدي إلى انسلاخ ثقافي يتجلى في الخلط الذي تعرفه أنماط السلوك الاجتماعية.
- أن معظم هذه الأشرطة تمرر رسائل وخطابات ذات تأثيرات وجدانية ومعرفية تؤثر تأثيرا لاشعوريا على المشاهدين، مما يؤدي إلى تكوين اتجاهات غير مستساغة.

1- محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 192.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 88.

- تبث معظم هذه الأشرطة في لاشعور الإنسان العربي أن الوسيلة الوحيدة للخروج من التخلف واللحاق بركب الحضارة هو نكران الماضي الحضاري باعتباره عقبة في طريق التقدم[1].

وبشكل عام لخّص الجابري أيديولوجيا الاختراق في أنها لا تقدم مشروعا للمستقبل أو تقدم نفسها كخصم بديل لآخر تسميه وتقاومه*، وإنما تعمل على اختراق الرغبة في البديل ونشدان التغيير لدى الفرد والجماعة، وهذا انطلاقا من النتائج التي توصل إليها هربرت تشيللر حول مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية في الولايات المتحدة، حيث توصل أن هذه الثقافة تقوم على خمس (05) فرضيات أو مسلمات سماها أوهاما أو أساطير[2]، حيث يرى هربرت تشيللر بأن تسطيح الوعي يتم عن طريق ترسيخ نوع من الوهم لدى الجماهير، الذي من شأنه أن يزيّف وعيهم، يعلبه ويضلل عقولهم من أجل تطويعهم وكسب تأييدهم للنظام القائم الذي لا يخدم المصالح الحقيقية للأغلبية، وذلك عن طريق تكريس الاعتقاد لديهم بخمس أساطير، وبما أن تدفق المعلومات –حسبه- هو مصدر سلطة لا نظير لها، فليس من الواقعية في شيء أن يتم التخلي عن هذه السلطة[3].

وتتمثل هذه الأوهام أو الأساطير في:

1- **وهم الفردية:** أي جعل الإنسان يعتقد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وكل ما عداه أجنبي عنه ولا يعنيه، وإنما يعمل على تمزيق وتخريب الرابطة الجماعية التي تجعل الفرد يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضوا في جماعة، في طبقة أو أمة، وبالتالي فوهم الفردية يهدف إلى إلغاء الطبقة والأمة وكل إطار اجتماعي آخر.

1- عبد الله بوجلال وآخرون: **القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري**، دار الهدى، الجزائر، (د.ت) ص17.

* وهي بذلك تختلف عن الأيديولوجيات المتصارعة كالرأسمالية والاشتراكية.

2 - محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 193.

3- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص95.

2- **وهم الخيار الشخصي:** يرتبط بالأول ويكمله، إنه يكرّس الوعي الأناني ويعمل على طمس الوعي القومي والطبقي.

3- **وهم الحياد:** مادام الفرد وحده الموجود، ومادام حرا مختارا، فهو محايد وكل الناس والأشياء إزاءه محايدون، وبالتالي إقصاء الالتزام بأية قضية جماعية، وطنية، طبقية أو أخلاقية، حيث يقتضي التضليل الإعلامي واقعا زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلا، ولذا يجب أن يؤمن الشعب بحياد مؤسساته الاجتماعية، في حين يتم اللجوء إلى هذا الحياد لوصف الأداء الوظيفي للأنشطة المحملة بقيم وأغراض محددة تقدم الدعم للنظام المؤسساتي السائد.

4- **وهم الطبيعة البشرية الثابتة:** التي لا تتغير والذي يرمي إلى صرف النظر عن المطالبة بإلغاء الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء، البيض والسود، وقبولها بوصفها أمورا طبيعية كالليل والنهار، بمعنى إعطاء النظام الاجتماعي بعدا استاتيكيا تماما، وبالتالي تكريس الاستغلال والتمييز العنصري.

5- **وهم غياب الصراع الاجتماعي:** الذي يأتي صريحا في منطوقه ومفهومه، حيث أن تكريس غياب الصراع الاجتماعي معناه- إذا قبلنا به وسلمنا له- الاستسلام إلى الجهات المستغلة من شركات ووكالات وطبقات وأقليات متسلطة، أي إلغاء الصراع الطبقي وتعطيل النضال القومي وغلق الأبواب أمام آفاق التغيير نحو الأحسن.

ومحصلة كل هذه الأوهام التي تكرسها الثقافة الإعلامية الجماهيرية الأمريكية هي ما أسماه الجابري ب " **أيديولوجيا الفردية المستسلمة**" بالنظر على ما تعمل هذه الأوهام على إقصاؤه والتخلص منه[1]، أو ما عبر عنه أديب خضور بالعقم الثقافي للمواد المنتجة بغرض التصدير إلى البلدان النامية... من خلال تخفيف وتطهير هذه المواد من أي مضمون ثقافي- حضاري أصيل، محلي وخاص، وجعلها سلعة

1 - محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 193-194.

موجهة إلى كل الأذواق، أي أنها نماذج حسب الطلب خالية من أية هوية وخصوصية، ترسيخ السطحية والنمطية[1].

ولعل الاختراق الثقافي الذي يمثل أحد المداخل المهمة لاقتحام عقول المثقفين العرب والمخاطبة الفكرية معهم ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالأسس والمرتكزات الجوهرية التاريخية للثقافة العربية، سيكون الآن وسيبقى غدا المحرك والموقد والمغذي للصراع التناحري والحرب الأهلية في المجتمع العربي... الحرب بين الأصولية والتغريب[2].

ويوضح ذلك الجابري من خلال إدراجه لمثال الصراع بين ثقافتين:

- **ثقافة علماء التراث:** تحكمها مرجعية عربية إسلامية قرووسطوية بمفاهيمها وآلياتها ورؤيتها للعالم واستشرافاتها الماوراءية.
- **ثقافة النخبة العصرية:** التي تنشد إنشادا قويا إلى المرجعية الأوروبية المطبوعة بطابع الحداثة الغربية، التي تعني أول ما تعني القطيعة مع ثقافة الماضي، أيّ ماض كان والتمسك بالعصر كلحظة حاضرة تكفي نفسها بنفسها.

وهذه- يضيف الجابري- كانت أول مظاهر الصراع في الثقافة العربية: التنافر والتنابذ بين مرجعيتين:

- **إحداهما:** قديمة تنتمي إلى الماضي، لكنها وطنية تحمل معها مصداقيتها التاريخية.
- **الثانية:** حديثة، أجنبية الأصل والمصدر، لكنها تفرض نفسها كمرجعية عالمية، كحاضر ومستقبل العالم كله[3].

وفي هذا الإطار لا بأس من التنويه عن رأي حامد خليل بخصوص هذا الصراع، فهو يرى أنه سواء بالنسبة للأنصار أو الرافضين للثقافة الغربية فقد وقعوا

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص96.

2- حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، دار مجدلاوي، الطبعة الثانية، الأردن، 2002 ص119-120.

3 – محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 218.

في خطأ منهجي قد يكون السبب في تأجيج هذه الحرب الثقافية الأهلية العقيمة الدائرة بين التيارات في الوطن العربي- فحسبه- الأنصار يدّعون أن الحداثة هي وسيلة العرب الوحيدة إلى امتلاك العصر، وبالتالي إلى تحقيق نهضتهم وهي التي تفصح عنها ثقافة الغرب التي ليس أمامنا من خيار سوى تبنيها، بينما يصر الرافضون على أن الثقافة المذكورة هي السبب في حالة الإخفاق العربي الراهنة على كافة الأصعدة، ولذا فإن السبيل الوحيد للخروج من هذه الحالة إنما –في نظره- هو العودة إلى قيم الأصول والتمرّس بها وتنفيذها حرفيا*، ويضيف أن ما يشكل العائق الأكبر في وجه تأسيس ثقافة عربية حقيقية ليست الثقافة الغربية، وإنما **بلادة** بعضنا، التي تسمح للاحتكارات الغربية بدفعنا إلى تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع وعقم بعضنا الآخر الذي يصر على أن هذه هي الثقافة الغربية(1).

ومن الواضح أن الاختراق الثقافي إذن ما هو إلا نقل الثقافة الأمريكية بكل ما تتضمنه من قيم ومفاهيم إلى مستوى الثقافة العالمية، وتعميمها على الأمم والشعوب بوصفها ثقافة وأيديولوجيا كونية، ومثل ذلك بما يعنيه من سيادة وهيمنة النموذج الأمريكي على الثقافات القومية، أو ما يصطلح على تسميته بأمركة العالم، وذلك كله تحت شعار حرية الحصول على المعلومات، حرية الرأي والتعبير، التمسك بحقوق الإنسان، الديمقراطية، الحرية وغيرها.

---

* على أن الذي فات الجميع إدراكه هو أن الحرب الدائرة بينهم إنما هي حرب وهمية، مجانية، ولا موضوع لها، ولا فلا يمكن أن تنتهي إلى ما يتجاوزها ويلغيها لأنها ليست حربا بين طبقة وأخرى خرجت من جوفها لتخلفها وتحل محلها، كما حدث في الصراع في الغرب بين البرجوازية والإقطاع وإنما هي حرب تناحرية بين مرجعيات وذهنيات صورية تعمق الهوة، تكرس التشرذم والتمزق مما يفسح المجال لبروز النعرات الإثنية والتعصب الطائفي إلى السطح... وكل هذا على حساب حاضر الثقافة الوطنية والقومية ومشروع مستقبلها.

1- حامد خليل: **الحوار والصدام في الثقافة العربية المعاصرة**، دار المدى، الطبعة الأولى، سوريا، 2001 ص 56-57.

على هذا الأساس فإن فلسفة عمل المنظومة الإعلامية- الثقافية المهيمنة تقوم من أجل ضمان بقائها بشكل دارويني، على مجموعة من المرتكزات تقوي نفوذها في مختلف الذهنيات وتمارس تأثيرها عليها، سيما منها الترفيه الذي يطغى على المواد المنتجة ويؤدي إلى بروز مجموعة من الظواهر السلبية مثل: تسطيح الوعي، النمطية، الهروبية...[1].

أو بمعنى آخر فيقصد بالاختراق الثقافي محاولات فرض النموذج الغربي (الأمريكي) في ميدان الثقافة والاتصال على دول العالم، من خلال ما تنشره وسائل الإعلام المختلفة من مواد وبرامج قد تحمل في طياتها رسائل إعلامية تتعارض مع المثل، القيم والأخلاقيات السائدة في الوطن العربي، وبما يمثل نوعا من الحرب الثقافية من خلال محاولات فرض مظاهر الاغتراب اللغوي، الفكري والثقافي، محاولات طمس معالم الشخصية الثقافية العربية الإسلامية ومحاولات إغراق المجتمع العربي بمواد مناهضة للقيم الصحيحة، العمل على تزييف التاريخ العربي الإسلامي والعمل على تغيير البناء الاجتماعي والسكاني.

المطلب 02: نظريات التغريب المعاصرة

سوف يتم تناول هذا المطلب من خلال نظريتين أمريكيتين مشهورتين ظهرتا في العصر الراهن، أحدثتا ضجة كبيرة على المستوى العالمين، وتلقتا العديد من ردود الأفعال المتباينة وهما نظرية صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي لصاحبها صمويل هنتغتون ونظرية نهاية التاريخ وخاتم البشر لفرانسيس فوكوياما، حيث سيتم التطرق بالتفصيل لهاتين النظريتين وعلاقاتهما بظاهرة التغريب موضوع هذه الدراسة.

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص96.

نظرية صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي ل" صمويل هنتغتون" S .Huntington

طرح صمويل هنتغتون "S .Huntington فكرة "صدام الحضارات" في كتاب يحمل الاسم نفسه "صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي" الصادر عام 1996، حيث تثير أطروحة هنتغتون عددا من الإشكاليات في علاقة العولمة بالهوية الثقافية كونها تنطلق من الصراع حيث يعرف حيدر إبراهيم موضوعه بالقول: " إن الثقافة والهويات الثقافية والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة "[1]، وأن صراع الحضارات –حسب هنتغتون- سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي، كذلك ستربط القضايا الجوهرية على الساحة الدولية بشكل مباشر بالاختلاف بين الحضارات، وستكون الصراعات العرقية و الإثنية داخل الحضارة الواحدة هي الصراعات السياسية المقبلة على المستوى المحلي.

وقد حدد هنتغتون رؤيته بشأن صراع الحضارات في نقطتين أساسيتين هما:

- **الأولى:** أن المصدر الأساسي والرئيسي للصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون –أساسا- أيديولوجيا أو اقتصاديا فالانقسامات الكبرى بين الشعوب و المصدر الأساسي للصراع ستكون ثقافية، ومع أن الدولة القومية ستستمر في لعب دور أساسي في الشؤون العالمية فإن الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الدول والمجتمعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة، وستهيمن الصراعات الحضارية على السياسة العالمية وستكون ساحتها الأساسية خطوط التماس بين هذه الحضارات[2].

---

1 – حيدر إبراهيم: **العولمة وجدل الهوية الثقافية**، العولمة ظاهرة العصر، م.س.ذ ص117.

2 – حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، م.س.ذ ، ص 116-117.

و هذا لمجموعة من الأسباب منها:

أ- إن الاختلافات بين الحضارات تعتبر أساسية: التاريخ، اللغة، الثقافة، العادات، أديان مختلفة، هذه الاختلافات التي خلقت عبر قرون عديدة إذا لم تؤد بعد إلى نزاعات، فإنها كانت في الماضي العامل الرئيسي للنزاع.

ب- إن العالم أصبح يثير مسألة الهويات المرتبطة بالحضارات مع ما تحمله من شحنات.

ج- إن الغرب رغم أنه في قمة قوته، فقد من جاذبيته لدى نخب الحضارات الأخرى التي بدأت تكتشف أصولها الحقيقية، كما أنه –وحسب هنتغتون- فطبيعة علاقات الحضارة الغربية مع باقي الحضارات، سواء كانت حكومات أو أفرادا اختلفت عما كانت عليه في السابق، فهي لم تعد علاقة التابع للغرب والهدف الاستعماري له، لكنها أصبحت علاقة مشاركة للغرب كمحرك ومشكّل للتاريخ.

د- إن الاختلافات الثقافية أعمق من تلك المتعلقة بالاقتصاد والسياسة، فالحضارة الغربية تعلن عن عالميتها صحيح أنها تتسع للعالم كله ولكن فقط بصفة سطحية، لأن أفكارا مثل: الشرعية، حقوق الإنسان، المساواة، الحرية، الديمقراطية واقتصاد السوق ليس لها تأثير على الثقافات الإسلامية، اليابانية، الهندية، البوذية و الكونفوشيوسية، كما أن الجهود الرامية إلى ترقية هذه المفاهيم من نتائجها إثارة رد فعل ضد إمبريالية حقوق الإنسان وإعادة تأكيد للقيم المحلية[1].

- **الثانية**: أن العالم سيصاغ استنادا إلى حركة تفاعلات الحضارات السائدة في عالم اليوم، ومن أهمها: الحضارة الغربية، الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية، وقد تتعاون الأخيرتان معا ضد الحضارة الغربية[2]، ويضرب هنتغتون

1- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص74.

2 - حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، م.س.ذ ص117.

أمثلة عن هذه الصراعات أو المواجهات في عقد التسعينيات كالتي بين الغرب والإسلام، الغرب والشرق الأسيوي، في يوغوسلافيا (بين السرب والأرثوذكس والكروات والبوسنيين المسلمين) وفي آسيا الوسطى (بين الروس والأرثوذكس والترك المسلمين أي الشيشان) [1]، حيث يورد هنتغتون سلسلة من الإحصائيات حول هذه الصراع حيث يقول: " شارك المسلمون في 26 صراعا من إجمالي 50 صراع عراقي سياسي ما بين سنتي 1993 و1994، عشرون (20) من هذه الصراعات كانت بين جماعات تنتمي لحضارات مختلفة، وعشرون بين المسلمين وغير المسلمين، باختصار كانت هناك صراعات بين مسلمين وأطراف من حضارات أخرى ثلاثة أضعاف ما كان بين كل الحضارات غير الإسلامية، كما كانت الصراعات داخل الإسلام نفسه كثيرة أكثر مما كانت داخل أي حضارة أخرى"، ويضيف: " الغرب على العكس من الإسلام لم يتورط إلا في صراعين بين حضارات مختلفة و صراعين داخل حضارات بعينها... كما أن الصراعات التي كان المسلمون طرفا فيها كانت دائما كثيرة الضحايا، الحروب الست التي يقدر القتلى فيها ب200 ألف كان ثلاث منها ما بين المسلمين وغير مسلمين (الصومال وأكراد العراق)..." لينهي كلامه ب: "ما بين ثلثي إلى ثلاثة أرباع عدد الصراعات بين الحضارات كان بين مسلمين وغير مسلمين، حدود الإسلام دموية...وكذلك الأحشاء "[2].

وقد قصد هنتغتون من هذا التحليل أن ينبه الغرب إلى أن الصراع لم ينته، بل إنه قد بدأ بالرغم من أنه لم يعد صراعا سياسيا اقتصاديا، وإنما تحول إلى صراع القيم والمبادئ والمفاهيم والثقافات بالدرجة الأولى، وقد أشار بشكل خاص إلى خطر الإسلام بثقافته وعقائده المتطرفة على الحضارة الغربية والتحدي الذي يظهره العالم الإسلامي للثقافة والسياسة الغربيتين وموقفه العدائي تجاهها[3].

1- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 75.

2 - صمويل هنتغتون: **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**، ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، الطبعة الثانية، مصر، 1998 ص416-418.

3 - كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 75.

وهكذا يصر هنتغتون على أن الإسلام نفسه وليس المتطرفون الإسلاميون فقط من يشكلون خطرا على الحضارة الغربية، وتاريخ الإسلام- يضيف- خلال 14 قرنا يؤكد بأنه خطر على كل حضارة واجهها خاصة المسيحية... ويبرز هنتغتون تشنجه الشديد وعدم موضوعيته حين يستشهد بكتاب "الإسلام والديمقراطية" للكاتبة الجزائرية فاطمة مرتيسي حيث يقول هذه كاتبة ليبرالية وقد هاجمها بعض المسلمون لأنها انتقدت بعض الممارسات الإسلامية، وتساءل: ماذا قالت عن الغرب؟ قالت أنه: مادي، انحلالي، عنجهي، عنيف... ويضيف قائلا مادام الإسلام سيبقى إسلاما وليس هنالك أدنى شك في ذلك، ومادام الغرب سيبقى غربا ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقا فإن الصراع سيظل قائما بينهما كما ظل قائما ل14 قرنا[1].

وفيما يلي جملة من الفرضيات "الخاطئة" التي تقوم عليها أطروحة هنتغتون:

- الفرضية **01**: أن النزاعات المقبلة ستحدثها عوامل ثقافية عوض العوامل الاقتصادية والأيديولوجية، حيث أن الحضارات الأساسية السبع أو الثماني ستلعب الدور الرئيسي في صياغة التشكيل العالمي بدلا من المصالح السياسية والاقتصادية للدول القومية والأمم والقوميات العرقية... والنزاعات الثقافية الأكثر خطرا هي تلك التي تقع على خطوط التقسيم بين الحضارات.

... إن الصدامات الخطيرة في المستقبل قد تأتي من تنافر الغطرسة الغربية، عدم التسامح الإسلامي وإثبات الذات الصيني.

- الفرضية **02**: أن الغرب لا نظير له، وبالرغم من ذلك فإن هنتغتون يغلق على نفسه في فكرة التفوّق حيث يقول: " من البديهي أن الغرب يختلف عن جميع الحضارات التي وجدت وذلك بالتأثير الأساسي في جميع الحضارات منذ 1500..." .

1 – محمد علي حوات: **العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، مصر، 2002 ص134.

حيث يعتبر أن الطابع الفريد والغلبة للغرب مبني على ثماني قيم خاصة مشتركة هي:

1- الإرث الكلاسيكي.
2- الدين المسيحي.
3- تعدد اللغات الأوروبية.
4- الفردانية.
5- دولة القانون.
6- التعدد الاجتماعي.
7- الكتل الواسطة.
8- الفصل بين السلطات بين الروحي والزمني.

بالإضافة إلى اعتباره بطريقة تبسيطية أن الغرب ليس إلا يهوديا- مسيحيا، و يونانيا- رومانيا[1]، ويؤكد هنتغتون في هذا المقام أن الغرب مسيطر و بشكل طاغ وسيظل رقم واحد (01) من ناحية القوة والنفوذ في القرن الواحد والعشرين، وهناك كذلك تغيرات جذرية تدريجية قوية وأساسية تحدث في موازين القوى بين الحضارات، وقوة الغرب بالنسبة لقوة الحضارات الأخرى سوف تستمر في الاضمحلال[2].

- **الفرضية 03:** أن الثقافة الإسلامية تفسر بشكل واسع فشل الديمقراطية في أغلب بلدان العالم الإسلامي"... والآفاق الديمقراطية في البلدان الإسلامية مظلمة... المقاومة الكبيرة التي لقيها الغرب في مجهوداته لفائدة الديمقراطية جاءت من الإسلام ".

وهنا يُصوّب هنتغتون سهامه إلى الإسلام معتبرا إياه العدو الجديد بسبب ثقافته المغلقة، نظرا لطموحه في أن يكون مختلفا، لميزته غير الغربية وكثافته

1- مصطفى شريف: **تحليل نقدي لكتاب"صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات،** أعمال الملتقى الدولي، الجزء الأول، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003 ص76.

2 - صمويل هنتغتون: **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي،** م.س.ذ ص 135.

السكانية، كما لو كان هذا يشكل تهديدا، وهو بذلك يدعم مقولة زميله "دانيال بيبس "D. Pipes" الأيديولوجي الأمريكي الذي يقول: " المسلمون يستطيعون أن يتقدموا ويتطوروا شرط قبولهم النموذج الغربي"[1].

وهكذا فالمواجهة القادمة للغرب ستأتي تحديدا من العالم الإسلامي، مع زحف الدول الإسلامية من المغرب إلى باكستان سيبدأ صراع من أجل نظام عالمي جديد... المشكلة المهمة بالنسبة للغرب- يقول هنتغتون- ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته...المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي الغرب: حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفوقة وإن كانت متدهورة فإنها تفرض عليه التزاما بنشر هذه الثقافة في العالم، هذه المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب...ثم يختم كلامه بقوله: لا يمكن للإسلام والمسيحية أن يتعايشا على هذا الكوكب[2].

- **الفرضية 04**: إن الإسلام ذو طابع عسكري وحربي و عنيف أي يمثل "محور الشر"...إن النمو الديموغرافي في البلدان الإسلامية يؤدي إلى لجوء عدد كبير إلى التطرف والإرهاب، التمرد والهجرة...يرى بعض الغربيين أن الغرب ليس له مشاكل مع الإسلام ولكن فقط مع المتطرفين، ولكن ألفا وأربعمائة 1400 سنة من التاريخ تظهر العكس: "...فحركية الإسلام هي مصدر عدد كبير من الحروب الحضارية الصغيرة...إن العالم الإسلامي يعادي الغرب أكثر فأكثر... والحدود الأكثر عنفا هي تلك التي تقع بين الإسلام وجيرانه... ثم يضيف إنها الحضارة الوحيدة التي هددت وجود الغرب... الإسلام هو مصدر عدم استقرار العالم ".

---

1 - مصطفى شريف: **تحليل نقدي لكتاب"صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات**، م.س.ذ ص76.

2 - صمويل هنتغتون: **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**، م.س.ذ ص 352.

- **الفرضية 05**: الإسلام عقيدة استبدادية، تخلط الدين بالسياسة، فهو يعيد كليشيهات وأفكار مسبقة، فاحشة وسطحية حول موضوعات تبدو وكأنها مشكلا بالنسبة إليه سواء على المستوى النظري أو العملي، خاصة الدين بالدولة.
- **الفرضية 06**: ترى أن الحركات الداعية إلى التجديد الديني هي حركات ضد اللائكية، ضد العالمية وضد الغرب..."لا تكون العلاقات وثيقة و حميمية بين مجموعات تنتمي إلى حضارات مختلفة... لن تتحقق آمال الشراكة، تبقى الأمور تتراوح بين الاختلافات والعنف... وإذا أراد الغرب أن يحافظ على تفوقه فعليه أن يحدّ من نشر المعرفة... وإلا فهي نهاية سيطرة الغرب على الاقتصاد العالمي"[1].

مواقف حول النظرية:

تناول كثير من العلماء نظرية صدام الحضارات لهنتغتون من حيث منطقها الفلسفي ومنهجها البحثي، فتباينت المواقف من هذه النظرية وانقسمت إلى عدة فرق حيث يرى:

الفريق الأول: إن ما طرحه هنتغتون من مفهوم "النموذج الحضاري" ساهم في إقامة إطار نظري حديث لنظرية السياسة الدولية، وفتحت نظرية هنتغتون أفقا نظريا جديدا بصدد معالجة السياسة الدولية، ومنهجه البحثي يمتاز بأهمية بالغة تتعلق بالنظام الذي يتحكم في مسار السياسة الدولية، وأنها ذات تأثير و إيحاء.

الفريق الثاني: فهو ينقدها ويعتبرها "نظرية مفارقة" فبينما يؤكد التعددية الحضارية ويرفض فرض الحضارة الغربية كحضارة كونية على دول العالم، يرفض التعددية الحضارية عندما يلتفت إلى داخل بلاده الأمريكية ويرفع راية الأحادية للحفاظ على الحضارة الأمريكية الخالصة، كما تتخلل النظرية نقائص وتغيرات إذ أهملت دور المصالح الاقتصادية في السياسة الدولية، وتبسيطها لنظرية السياسة الدولية يساعد على شرح السياسة الدولية، لكن ذلك أهمل قانون التطورية

---

1 - مصطفى شريف: **تحليل نقدي لكتاب"صدام الحضارات"، شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات**، م.س.ذ ص76.

النسبية للحضارات في الوقت نفسه ونظرية "النموذج الحضاري" عاجزة على شرح كل التاريخ البشري حتى على حرب عام 2010 العالمية الافتراضية التي تصورها هو نفسه[1].

كما يذهب البعض الآخر لوصف نظرة هنتغتون بالاستعلاء والأنانية في تقييمه لنظريته من خلال جعل الحضارة الغربية الحضارة المتفوقة على جميع الحضارات في العالم، وبالتالي وصف الهدف من أطروحات هنتغتون حول الحتمية الثقافية بأنه دعوة إلى هيمنة الغرب على العالم، وتبرير سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية باسم الغرب على السياسة العالمية.

فهذه النظرية- بالنسبة لهذا الفريق- لا تخرج عن كونها رؤية أمريكية تعمد إلى إنتاج وإعادة إنتاج مستمر لطموحات الهيمنة والسيطرة المتأصلة في الثقافة الأمريكية[2].المؤرخة والصحفية الفرنسية "صوفي بتييس" ترفض أطروحة هنتغتون وتعتبرها رجعية ولا تطرح المشاكل الحقيقية، فهي لا تركز على التناقض الثقافي أو الحضاري بين الغرب والعالم الإسلامي، فحسبها الغرب لا يريد تحمّل مسؤولية النظام العالمي الجائر الذي يقيم هوة سحيقة بين الشمال والجنوب، كما أنه –حسبها- الغرب لا يعترف بأن للآخرين الحق في بلورة القيم الحضارية والكونية، وإنما يحتكر هذا الحق لنفسه فقط[3].

من هذا الفريق من اتهم هنتغتون بأنه يعاني من الزينوفوبيا، وهو مصطلح يطلق على أولئك الذين يعانون من الرهبة الشديدة من كل ما هو أجنبي، مؤكدين

1 - ليلى تشمي مينغمين: **القراءة الصينية ل" صدام الحضارات" عند صمويل هنتغتون**، www.albadeeliraq.com/new/print.php?kind=culture&id=2736، 2008/03/09.

2 - حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، م.س.ذ ص 117.

3 - عديلة مهني بن عودة: **تصورات إعلامية ثقافية بين الغرب والمشرق العربي من الإعلام المترجم حول قضايا الأصولية، الصهيونية والسامية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة الجزائر، 2006 ص141.

أن التوجهات العنصرية تبدو واضحة من بين سطور كتابه، وينضح تعريفه للأمة الأمريكية بأنها ذات ثقافة (أنجلو- بروتستانتية)... حيث يرى أن الغرب يسود العالم لأنه انتصر على ما دونه من الأمم الأخرى... ويحاول أن يقنع الآخرين بأن منظومته القيمية والعقدية هي الأفضل وهي التي جعلت منه الحضارة السائدة[1].

الفريق الثالث: يذهب إلى اكتشاف ما وراء نظرية هنتغتون في صدام الحضارات، مما يحمله صاحب النظرية من القيم الروحية والعقدة النفسية والهدف الحقيقي، فيشيرون إلى أنها نابعة عن العقلية المركزية الغربية أو القيم الإمبريالية أو القومية الأمريكية الضيقة، أو أنها آتية من الخوف من تحدي الحضارات غير الغربية على هيمنة الغرب، وخاصة هيمنة الولايات المتحدة وأنها تهدف في حقيقتها إلى مساعدة وضع إستراتيجية غربية بعد عصر الحرب الباردة، قادرة على المحافظة على هيمنة الغرب الريادية الحاكمة في الشؤون الدولية وتفادي تدهورها[2]. وفي هذا المجال يقول السيد ياسين تعتبر نظرية هنتغتون تقنينا للاتجاه العنصري الصاعد في بعض الدوائر الغربية لطريقة التعامل مع "الآخر" المختلف ثقافيا عن ممثلي الحضارة الغربية، وهي أشبه ما تكون بدعوة لكي تنشط الدوائر الإستراتيجية الغربية في وضع أسس جديدة للمواجهات بين الدول الغربية ودول العالم الثالث تقوم أساسا على الصراع بين الثقافات وذلك باعتبار أن الثقافة الإسلامية- في هذا المنظور الغربي العنصري- تقوم على العنف والإرهاب[3].

---

1 - علي جمال الدين: **هل كان يقرأ المستقبل أم يصنع الحاضر؟ صمويل هنتغتون: ملامح العصر الجديد**، http://www.al-majalla.com/ListNews.asp?NewsID=1264&MenuID=15&&Ordering=2 ، 2008/03/09.

2- ليلى تشمي منغمين: **القراءة الصينية ل" صدام الحضارات" عند صمويل هنتغتون**، م.س.ذ

3 - السيد ياسين: **الكونية والأصولية وما بعد الحداثة: أسئلة القرن الواحد والعشرين**، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، مصر، 1996 ص 271.

عن مقولة الحداثة والتغريب:

يذهب هنتغتون إلى القول بأن تحديث وتغريب المجتمعات غير العربية، القادة السياسيون والمفكرون في تلك المجتمعات استجابوا للتأثير الغربي بواحد أو أكثر من الأساليب الثلاثة التالية: إما رفض التحديث والتغريب معا، أو تبنيهما معا، أو تبني الأول ورفض الثاني:

❖ **الرفضية:** بالنسبة للإسلام كتب "دانيال بيبس" : "وحدهم الأصوليون المتشددون هم الذين يرفضون التحديث والتغريب، ويلقون بأجهزة التليفزيون في الأنهار ويحرّمون ساعات المعصم، ويرفضون ماكينة الاحتراق الداخلي، استحالة تطبيق برامجهم يحد بشدة من الإعجاب بهم وفي حالات عديدة –مثل "ألين أزالا" في كانو وقتلة "السادات" ومهاجمي المسجد في مكة، وبعض جماعات التقوى في ماليزيا- فإن هزائمهم في المواجهات العنيفة مع السلطات أدت إلى اختفائهم تاركين أثرا قليلا ". ويشرح هنتغتون كلامه بالقول أن هذا الاختفاء وترك الأثر القليل يلخص بشكل عام مصير السياسات شديدة التطرف في نهاية القرن العشرين و التعصب – ببساطة – إذا استخدمنا اصطلاح توبيني ليس خيارا قابلا للتطبيق.

❖ **الكمالية:** يقول بيبس نفس الشيء وهو يشير إلى الإسلام : " لكي ينجو من اللامعيارية أمام المسلمين خيار واحد، حيث أن التحديث يتطلب التغريب... والإسلام لا يقدم طريقا بديلة للتحديث... العلمانية لا يمكن تجنبها، العلم الحديث والتكنولوجيا يتطلبان استيعابا للعمليات الفكرية التي تصاحبهما... ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات السياسية، ولأن المضمون يجب ألا يحاكي بأقل مما يحاكي الشكل، فلابد من الاعتراف بهيمنة الحضارة الغربية حتى يمكن التعلم منها اللغات الأوروبية والمؤسسات التعليمية الفرعية لا يمكن تجنبها، حتى وإن كانت هذه الأخيرة تشجع على التفكير الحر والعيش السهل، فقط... عندما يقبل المسلمون

بالنموذج الغربي صراحة، سيكونون في وضع يمكنهم من استخدام التقنية، ومن ثم أن يتقدموا..." [1].

ولكن في أحدث دراسة لصمويل هنتغتون- لم يُسلط عليها الضوء كما جرى مع دراسته السابقة (صدام الحضارات)- يتبين التناقض الذي تقع فيه القوة الجديدة المنفردة بزعامة العالم وتتضح الحيرة العاصفة التي تسود مجتمع النخبة في الغرب، فقد كتب هنتغتون في عدد شهري (نوفمبر/ديسمبر 1996) من مجلة "شؤون خارجية" تحت عنوان" **الغرب: متفرد وليس عالميا** " The west : unique, Not universal، يفرق فيها بين التحديث والتغريب ويقول: " إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الغربية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية والمسيحية الغربية، والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني والهياكل النيابية والحرية الفردية ".

ويضيف قائلا: " إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة حضارات العالم، وهذا الأمر يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي "[2].

وقد عرض هنتغتون بعض الدول كأمثلة ناجحة في الاقتراب من الحداثة دون التخلي عن الحضارة المحلية كليا.

---

1 - صمويل هنتغتون: **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**، م.س.ذ ص 119-122.

2 - فيصل القاسم: **الإعلام العربي بين العروبة والعولمة**، www.eljazeeratalk.net/forum/showthread.php?t=727، 2008/03/09.

والواقع يدل على أن تأثير الحضارة الغربية يكون قوة دافعة للدول غير الغربية في تحقيق الحداثة، إذ أن الغرب الذي بادر إلى تحقيق الحداثة وضع أهدافا ومعاييرا لحداثة الدول غير الغربية[1].

ففي الحقيقة أن الفرق بين التغريب والحداثة صعب، وإذا قلنا أن دولة حققت الحداثة على أساس رفضها التام للتغريب كأن نقول أن هناك إنسانا شبعان مرتويا في حالة رفضه التام لتناول أي طعام، فالكلام هنا يناقض نفسه!!!.

نظرية نهاية التاريخ وخاتم البشر لـ " فرانسيس فوكوياما" F. Fukuyama

على عكس نظرية هنتغتون، جاءت نظرية "نهاية التاريخ وخاتم البشر" ل فرانسيس فوكوياما التي تمحورت حول نهاية الصراع والاختلاف بعد الذي حققته الليبرالية الاقتصادية و السياسية والانتشار الواسع والهيمنة التي حققتها الحضارة الغربية، وسيادتها على العالم كنموذج واحد تقتدي به كل البشرية[2].

فالمسيرة النهائية للتاريخ كما يقول فوكوياما : " تتجه بالشطر الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية، التي تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية الذي اكتمل مع مبادئ الثورات الأمريكية والفرنسية التي تبقى مطلقة ولا يمكن تجاوزها أبدا حتى وإن لم تستطع بعد بعض النظم المعينة تجسيد هذه المبادئ في الواقع العيني، فالدولة المتجانسة ستنتصر بالفعل طال الزمن أو قصر، ...وبالشكل النهائي لكل نظام حكم بشري" *[3]، حيث يقول

---

1 - ليلى تشمي منغمين: **القراءة الصينية ل" صدام الحضارات" عند صمويل هنتغتون**، م.س.ذ.

2- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002 ص 53.

* وهكذا فهو يعلن بأنه بسقوط الاتحاد السوفيتي (إمبراطورية الشر كما أسماها رونالد ريغان) انتهى التاريخ، وانتهت الأيديولوجية الشمولية وانتصرت الليبرالية السياسية والرأسمالية العالمية.

3 - كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص70.

فوكوياما بصريح العبارة:"...من الآن فصاعدا هناك كلية واحدة ممكنة، فقد **انتهى التاريخ بانتصار الأيديولوجية الغربية والأمريكية تحديدا** "[1].

وقد شرح فوكوياما ذلك على اعتبار أن ما نشهده الآن ليس نهاية للحرب الباردة بوضع حد للأيديولوجية في التاريخ الإنساني وإنما نهاية للتاريخ بانتشار قيم الليبرالية الديمقراطية الغربية لمرحلة ما بعد الحرب[2].

إن نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما تقوم على ثلاث عناصر أساسية هي:

1- هو أن الديمقراطية المعاصرة قد بدأت في النمو بداية القرن التاسع عشر (19)، وانتشرت بالتدرج كبديل حضاري في مختلف أنحاء العالم للأنظمة الديكتاتورية[3]، واعتمد فوكوياما في طرحه على عنصرين اعتبرهما الأساس هما:

- العامل الاقتصادي: وأحسن مثال يضربه على ذلك معجزة الشرق الأقصى خاصة الصين، وانهيار الاقتصاد المخطط في الاتحاد السوفيتي والتحولات الكبرى في الفكر الاقتصادي في دول أمريكا اللاتينية.
- العامل الذي يسميه بالصراع من أجل الاعتراف، كمحرك للتاريخ في إنشاء الديمقراطية الليبرالية[4].

2- فكرة الصراع التاريخي المتكرر بين "السادة" و"العبيد" لا يمكن أن يجد له نهاية واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية واقتصاد السوق الحر[5] ذلك أن

---

1 - بركات محمد مراد: **العولمة وظاهرة الهيمنة**، http://alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=97&issue=448، 2008/04/06.

2 - تقرير واشنطن: **فوكوياما:بداية التاريخ و نهايته**، www.babil.info/printversion.php?mid=10006، 2008/03/09.

3 - تقرير واشنطن: **فوكوياما:بداية التاريخ و نهايته**، م.س.ذ.

4 كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص72.

5- تقرير واشنطن: **فوكوياما:بداية التاريخ و نهايته**، م.س.ذ

فوكوياما يرى وبكل ثقة أن الإنسانية قد دخلت مرحلة ما بعد التاريخ، فالخلافات الدولية على نطاق كوني كالحروب العالمية من أجل هيمنة وانتشار فكرة ذات بعد كوني وقادرة على تعبئة الإنسانية أمر غير وارد[1].

3- الاشتراكية الراديكالية أو الشيوعية لا يمكنها لأسباب عدة أن تتنافس مع الديمقراطية الحديثة, وبالتالي فإن المستقبل سيكون للرأسمالية أو الاشتراكية الديمقراطية[2]، ويُرجع فوكوياما إخفاق النظام الشمولي إلى إخفاقه في السيطرة على الفكر وليس الأزمة والضعف الذين يعاني منهما في الجانب الاقتصادي[3].

ومن جهة أخرى فيعتبر فوكوياما أن المعيار العقلاني الوحيد هو الاعتراف بقيمة الاقتصاد الحر والدولة الليبرالية، وعليه يقول بضرورة إزالة الحواجز القومية عن طريق تكوين سوق عالمي واحدة مندمجة تبعا لمتطلبات القوى الاقتصادية في العصر الحالي، ساعدت في توسيع حجمه التطورات التكنولوجية التي حدثت في مجال الاتصالات والنقل[4].

ذلك أنه وفي نهاية التاريخ ليس ثمة متنافسون أيديولوجيون للديمقراطية، وقد فرض الناس في الماضي هذه الديمقراطية الليبرالية لاعتقادهم أن الملكية والارستقراطية والثيوقراطية أو الحكومة الدينية والشمولية الشيوعية وسائر الأيديولوجيات التي سبق و أن آمنوا بها أفضل منها، أما الآن فيبدو أن ثمة اتفاقا عاما –في العالم الإسلامي- على قبول مزاعم الديمقراطية والليبرالية بأنها أكثر صور الحكم عقلانية، وهي صورة الدولة التي تحقق أقصى حد ممكن في إشباع كل من الرغبة العقلانية والاعتراف العقلاني[5].

---

1 -كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص70.

2 -تقرير واشنطن: **فوكوياما:بداية التاريخ و نهايته**، م.س.ذ

3 -كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص71.

4 - نفس المرجع السابق ص72.

5 - محمد علي حوات: **الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية**، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، مصر، 2001 ص202.

وبالتالي - يؤكد فوكوياما- أنه مع انقضاء القرن العشرين (20) يمكن الحديث مجددا عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف، حيث تتجه أغلب البشرية إلى الديمقراطية الليبرالية، فحسبه العولمة والمعلوماتية وهيمنة الحضارة الغربية على بقية العالم تكون قد حسمت الصراع بشكل نهائي، ليدخل العالم في حلة جديدة كأمر واقع وكأنما هناك إقرارا كونيا بأن عهد الصراع قد حُسم بالقوة، قوة الإقناع واختصار البدائل الحضارية والفكرية في سيادة النموذج الغربي الليبرالي وانسحاب كل مشروع منافس له من ساحة الصراع بالتلاشي أو الركون إلى المحلية الضيقة في أشكال فلكلورية ليس إلا[1].

في سياق آخر يعترف فوكوياما بأن الإسلام يمثل نظاما أيديولوجيا متسقا ومتماسكا مثل الليبرالية والاشتراكية، وهذا لامتلاكه لقانون ولمعايير أخلاقية خاصة به ولنظرية للعدالة السياسية والاجتماعية كما أنه يتمتع بجاذبية يمكن أن تكون عالمية...، فالإسلام ذو بعد كوني لأنه يتوجه لكافة البشر ولا يخص مجموعة بشرية قومية أو عرقية بعينها[2]، وهو بذلك- يستأنف فوكوياما- يشكل خطرا كبيرا على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة، وقد تلا نهاية الحرب الباردة في أوروبا على الفور تحدي العراق للغرب، وهو ما قيل (عن حق أو غير حق) أن الإسلام كان أحد عناصره[3].

ولهذا –وبعد انهيار الكتلة الشيوعية- أصبح الإسلام المتخلف قيما وحضارة العدو الحقيقي للحضارة الغربية المسيحية، وبالتالي يجب أن توجه إليه

---

1 - الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 53.

2- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص71.

3 – فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، مصر، 1993 ص 56.

الحرب من قبل الغرب[1]، ففي تصريح له لجريدة "النيوز ويك" News Week قال فوكوياما: " إن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، ولا ضد الإسلام كدين وحضارة، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية، وأن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة صغيرة من الإرهابيين في بحر الغاشية الإسلامي الذي يسبح فيه الإرهابيون، يشكل تحديا أيديولوجيا، هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية [2]".

ثم يعود فوكوياما ليضيف أنه بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية المتولدة أساسا عن الضغط الممارس من طرف القيم الغربية على المجتمعات الإسلامية، فإنه بالإمكان القول أن الإسلام ليس له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة لأن زمن التوسع الحضاري الإسلامي قد ولى[3]، ويواصل ... ورغم أن نحو بليون نسمة يدينون بدين الإسلام (أي خمس تعداد سكان العالم)، فليس بوسعهم تحدي الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري، بل إنه يبدو أن العالم الإسلامي أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال أن يحدث العكس، حيث أن مثل هذه الليبرالية قد اجتذبت إلى نفسها أنصارا عديدين وأقوياء لها من بين المسلمين على مدى القرن ونصف القرن الأخيرين، والواقع أن أحد أسباب الصحوة الأصولية الراهنة هو قوة الخطر الملموس من جانب القيم الغربية على المجتمعات الإسلامية التقليدية[4].

---

1 - سعيد فكرة: **أسس الحوار الحضاري: شروطه ومقوماته**، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، الإمارات العربية المتحدة، 2002 ص 400.

2- ليث سعود القيسي: **التحديات المعاصرة وآثارها على سلوك السباب الدعوي**، م.س.ذ

3 - كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص71.

4 - فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، م.س.ذ ص56-57.

وهكذا يرى فوكوياما أنه بعد الهزيمة التي لحقت بالأمم القوية في العالم بداية بالهزائم التي منيت بها الأنظمة والأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية، وبعد انتصار الغرب على الشرق الشيوعي في الحرب الباردة، يكون التاريخ قد وصل إلى نهايته لأنه حقق غايته المتمثلة في الحرية والمساواة، وهي الغاية التي لا تتحقق إلا في ظل الديمقراطية الليبرالية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا، وهذه الديمقراطية الليبرالية ستظل المطمح السياسي الواضح والوحيد الذي يربط مختلف المناطق والثقافات في كوكبنا هذا[1].

ويواصل فوكوياما كلامه: كان ثمة ضغوط من أجل توفير ديمقراطية أكبر في عدد من أقطار الشرق الأوسط مثل مصر والأردن عقب ثورات 1989 في أوروبا الشرقية، غير أنه في هذه المنطقة من العالم وقف الإسلام عقبة كبيرة في وجه تطبيق الديمقراطية، وأوضحت الانتخابات البلدية الجزائرية عام 1990 وإيران قبل ذلك بعشر سنوات أن قدرا أكبر من الديمقراطية قد لا يؤدي إلى قدر كبير من الليبرالية، حيث أن الديمقراطية تهيئ للأصوليين الإسلاميين فرصة الوصول إلى الحكم وهم الذين يتطلعون إلى إقامة شكل من أشكال الثيوقراطية الشعبية[2].

وخلاصة كل هذا أن فوكوياما وصل إلى أن التاريخ وليد الصراع، ويعتبر التاريخ منتهيا بالانتصار على الشيوعية الذي ترك الساحة مفتوحة أمام النموذج الحضاري الأمريكي الذي سيعم العالم، حيث وصف هذا ال "مُنّظر" المسلمين ونواتهم العرب بالعطالة الفكرية والحضارية، الأمر الذي سيحول دون تكوينهم لكتلة تاريخية فاعلة تستطيع الوقوف في وجه النموذج الرأسمالي المنتصر[3].

نقد فكرة نهاية التاريخ: ثمة عدة ملاحظات يمكن أن توجه إلى أطروحة فوكوياما في تكوينها الداخلي كمنظومة فكرية، نذكرها على شكل انتقادات

---

1 - كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص70-71 .

2 - فرانسيس فوكوياما: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، م.س.ذ ص302.

3 - محمد علي حوات: **العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل**، م.س.ذ ص171.

عبر نقاط نعتقد أنها تشكل الحلقات الضعيفة في تلك الأطروحة. ونوجز أهمها فيما يلي:

- تشكو نظرية فوكوياما من فقر واضح في التحليل الخاص بدور الاستعمار في تطور المجتمعات الإنسانية ودور الإمبريالية الرأسمالية في التمهيد لانتصار الليبرالية واتجاه بوصلة التاريخ نحو النهاية، بالإضافة إلى أنه لم يستثمر المعلومات التاريخية المتوافرة عن بعض المجتمعات ذات الخصوصية التاريخية مثل المجتمعات الإسلامية، فباستثناء إشارات شاحبة حول إيران فإن كتابه لا يتضمن سوى معطيات هزيلة من تاريخ المجتمعات الإسلامية ودورها في مستقبل الصراع العالمي وبناء المجتمع الدولي الجديد.
- إن أطروحة فوكوياما هي أطروحة إسقاطية تنطلق من انتماء واضح للنموذج الأمريكي المسيطر على العالم، فهو ينظر إلى منطق الأشياء انطلاقا من مرجعية معينة تتمثل في تحليل الأحداث والتغيرات التي عرفها المجتمع المعاصر من خلال الانتماء إلى النموذج الأمريكي المهيمن، ناهيك عن نظرته إلى النظام الدولي الجديد على أساس مادي بمعزل عن الأساس الروحي، وبهذا تكون قراءة فوكوياما للنظام الدولي الجديد قراءة موجهة، وتحليقاته في فضاء النظام الجديد تحليقات عرجاء وتخريجات إسقاطية مبنية على مواقف قبلية موجهة.
- يعتبر فوكوياما مجرد أداة يستخدمها النظام الدولي الجديد وبوق دعاية له في مرحلته التأسيسية، وبهذا تتحول نظريته من نظرية فلسفية إلى خطاب سياسي أيديولوجي يبشر بأبدية الرأسمالية في ثوبها الجديد، باعتبار أنها اتخذت على عاتقها مسؤولية الترويج لفكرة الإجماع العالمي حول مسالة الديمقراطية والالتفاف حول النظام الليبرالي كحل نهائي تنشده الإنسانية، وبذلك انتهت الحرب الباردة ومسألة الصراع الأيديولوجي لينتهي معها التاريخ.
- نقطة الضعف المعترف بها في الأطروحة هي أن التاريخ لن ينته ما دامت العلوم الطبيعية المعاصرة لم تبلغ غايتها ونهايتها بعد وأنه لا يمكن وضع حد للعلم،

وبالتالي فالتاريخ لن ينته في مجتمع لا يزال ينتج العلوم، بل إنه -باعتراف فوكوياما نفسه- تشكل اللحظة الراهنة زمنا متميزا تعرف خلاله البشرية صحوة تكنولوجية وتجديدا هائلا في شتى علوم الحياة[1].

في الأخير ما يمكن قوله هو أن نظرية فوكوياما ما هي إلا تكرار ممل لما طُرح في سوق الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية منذ أمد بعيد، من خلال سقوط هذا الباحث في شباك التحيّز حين وضع فكرته في خدمة السياسة الأمريكية الرأسمالية وصاغ أفكاره بروح انبهارية تحت نشوة انتصار النظام الدولي الجديد، أي أن قصارى القول هو أن أطروحة فوكوياما ما هي إلا إعادة لفكرة هيغل ودفاعا عن نظرة الدولة الرأسمالية، وإعلام غربي متطور يهدف إلى الترويج للنظام الدولي الجديد.

لذا وكما يقول بعضهم عن تأمل فوكوياما السياسي المتكئ على تراث فلسفي: " ما هو إلا بومة تأتي من السماء" !!.

---

1 – نقد فكرة نهاية التاريخ من بنائها الداخلي،

www.hajr.us/hajrvb/showthread.php?t=40277798، 2008/03/09.

المبحث الثالث

إشكالية التغريب الأمريكي وردود الفعل حوله.

في هذا المبحث سنتطرق إلى ظاهرة التغريب في عصرنا الراهن، والذي تحمل لواءه بشكل منفرد وبدون منازع الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال رغبتها في فرض ثقافتها على مختلف ثقافات العالم متجاهلة الخصوصيات والهويات الثقافية المحلية، بعدها سيتم التطرق إلى مختلف ردود الفعل والمواقف التي انجرت عن هذه العملية سواء العربية، الإسلامية أو الأوروبية أيضا.

المطلب 01: إشكالية التغريب الأمريكي.

يقول محمد حوات ما إن بدأت مؤشرات فشل إصلاحات غورباتشوف في الاتحاد السوفيتي تلوح في الأفق في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي حتى سارعت الإدارة الأمريكية إلى رسم الخطط ووضع الإستراتيجيات لمرحلة ما بعد الحرب الباردة، فكانت الأولوية في المخطط الأمريكي هو إخضاع شعوب العالم إلى عملية غسيل مخ مكثفة تمسح كل ما بقي عالقا من مبادئ وأيديولوجيات العهد القديم (الاشتراكية) مستخدمة في ذلك آليات الهيمنة للترويج لتعميم الحياة الفردية والحرية الإباحية وحرية التجارة والتملك في الغرب[1]. وكانت الكاتبة البريطانية (فرانسيس ستونز) قد ألفت كتابا بعنوان " المخابرات الأمريكية والحرب الثقافية الباردة "، حيث كشفت فيه أن المخابرات الأمريكية قد خططت لكي تكون هي بنفسها

1- علي محمد حوّات: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي،م.س.ذ ص45.

وزارة ثقافة العالم، وقد اعتبروا هذا المخطط هو المشروع التالي بل والأهم من مشروع "مارشال" الشهير، وبهذا المشروع تمكنت المخابرات الأمريكية من أن تجعل من نفسها وزارة ثقافة العالم فأصبحت تفرض سطوتها على الأدب، الفن، الموسيقى، السينما... وقد مارست ذلك دون أن يشعر الرأي العام بشيء[1].

فقد كان الأمريكيون إذن يخططون لهذه الهيمنة قبل إعلان بوش (الأب) النظام العالمي الجديد، وقيادة أمريكا للعالم واعتبار هذا القرن: القرن الأمريكي، فهو طموح قديم للولايات المتحدة، حيث قال الرئيس الأمريكي غروفر كليفلاند (1893): " إن دور أمريكا الخلاق هو تحضير (من الحضارة) العالم ليصبح أمة واحدة تتكلم لغة واحدة ". وعبّر عن هذا الطموح فيما بعد بالنظام العالمي الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. من جهته ما فتئ تيودور روزفلت يكرّر مقولته المحببة في كل المحافل والمناسبات الدولية وغير الدولية: " قدرنا هو أمركة العالم، فتكلموا بهدوء، عندئذ يمكنكم أن تتوغلوا بعيدا " *[2].

وعندما كان هذا النظام العالمي الجديد في المخاض جاء تصريح ريتشارد نيكسونR. Nixon الرئيس الأمريكي السابق: " على أمريكا مسؤولية قيادة العالم، وعلى العالم أن يسعد بهذه القيادة فالنموذج الأمريكي هو النموذج الأفضل[3]، بالإضافة إلى قوله: " إن الله إلى جانب أمريكا، الله يريد من أمريكا أن تقود العالم ".

---

1 -محمد عباس: **الجماعات الوظيفية**

www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb/gma3at.html، 2008/01/30.

* وهو شعار الدولار الأمريكي الذي أخذ شكله منذ نهاية القرن 19، إذ يوجد على الدولار صورة لهرم تعلوه عين إنسان ووضعت في أسفل الهرم عبارة " النظام العالمي الجديد".

2- قيس جواد العزاوي: **الإعلام العربي وقضايا الهوية والثقافة**، الإعلام العربي الأوروبي: حوار من أجل المستقبل، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، دار بلال، الطبعة الأولى، البحرين، 1998 ص 72.

3- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص21-22.

الرئيس جيفرسون Jefferson بدوره: " شعب أمريكا هو الشعب المختار عند الله"[1].

وقال بيل كلينتونClinton. B بعد أن نضج هذا النظام وأصبح حقيقة بارزة :" يجب علينا أن نتابع رسالتنا التاريخية...فإن محافظة الولايات المتحدة على صدارتها العالمية هو من أجل خير هذا العالم والدفاع عن الديمقراطية والملكية الخاصة والسوق الحرة "[2]، وكان مستشار الرئيس الأمريكي كلينتون: أنطوني لايك A. Lake قد عبّر في سبتمبر 1993 عن عصر الهيمنة الأمريكية حيث وصفه بالعالم الجديد الذي ستواصل فيه أمريكا رسالتها التاريخية لدرء الظلم والدفاع عن الحرية والعدالة في مواجهة الأعداء المتبقين في هذا المجتمع المتسامح الذي مازلنا ننذر أنفسنا من أجله، والذي بعدما نجحنا في عملية الاحتواء نعمل على توسيعه[3].

ولأن أي مشروع سياسي له أبعاده ومتطلباته ومقتضيات تمريره على الصعيد الثقافي، كما أن كل مشروع للاقتصاد السياسي يستدعي ثقافته الرديفة وإعلامه المساند، ولأن أخطر محور من محاور البناء الاجتماعي هو محور الثقافة الذي يمثل البناء الأساس للمجتمع والفرد، ولا يمكن لأي محور –مهما تكامل مع غيره- أن يعوّض البناء الفكري والعلمي في ثقافة الفرد كونه هو من يشكّل إنسانية الإنسان بكل أبعادها: الفكرية، الأخلاقية، الدينية والاجتماعية.

يعود الباحث الأمريكي دافيد روثكوف D. Rothkopfe ليضع تصورا للسياسة الأمريكية حيث يرى:" أن المصلحة العامة للولايات المتحدة أن تشجع عالما يتم فيه تجاوز حدود التصادمات التي تفصل بين الأمم عبر المصالح المشتركة، ومن المصلحة الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة أن يتحرك العالم باتجاه لغة مشتركة، فإن هذه اللغة ستكون الانجليزية، وإن العالم إذا كان سيتحرك باتجاه

1- عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004 ص208.

2- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص 22.

3 – نفس المرجع السابق ص59.

معايير مشتركة في مجالات الاتصال والآمان والنوعية فستكون هذه المعايير معايير أمريكية، وأن العالم إذا كان سيصبح مرتبطا من خلال الإذاعة والتليفزيون والموسيقى فإن البرامج ستكون أمريكية، وإذا كان يجري تطور قيم مشتركة فإنها ستكون بالتأكيد قيما يرتاح لها الأمريكيون "[1].

وقبله عبّر الرئيس نيكسون في كتابه (الانتصار دون حرب) سنة 1988 عن هذه السياسة بقوله : " إذا أرادت أمريكا أن تكون زعيمة العالم فعليها أن تنشر القيم الأمريكية "[2].

أما بريزينسكي Z. Brezenzki –مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر Carter- فيرى أن أمريكا أصبحت هي الجاذب الثقافي والعلمي الوحيد، ولا يتردد في استعارة عبارة" الثورة الثقافية" من ماوتسي تونغ ليصف الهيمنة الأمريكية حيث يقول : " الثورة الثقافية العالمية الملهمة من طرف أمريكا تعيد تحديد الاستعمالات الاجتماعية والقيم الثقافية والسلوكيات الجنسية والأذواق والتطلعات المادية للأجيال الشابة، وذلك على مستوى الكرة الأرضية تقريبا، هذه الأجيال خاصة التي تعيش في المدن تتقاسم نفس الرغبات، نفس التسليات ونفس ردود الفعل رغم التفاوت المادي المعتبر حسب البلدان والمستويات، إلا أن 2.7 مليار من البشر والذين تتراوح أعمارهم بين 10 و 34 سنة يُظهرون تشابها واضحا في اهتماماتهم بآخر الأقراص المضغوطة (CD) وانبهارهم بالأفلام والمسلسلات الأمريكية، وانجذابهم لموسيقى الروك وألعاب الفيديو وسراويل الجينز، حتى في حالة التكيف مع التقاليد المحلية فإن رسالة الثقافة الشعبية الأمريكية تبقى حاضرة "[3].

1- تيغزة زهرة: **الهيمنة العالمية الأمريكية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2003 ص 57.

2 - قيس جواد العزاوي: **الإعلام العربي وقضايا الهوية والثقافة**، م.س.ذ ص 72.

3 - فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، م.س.ذ ص54.

وقد حاول مصطفى حجازي تفسير ذلك حيث يقول أن الأيديولوجية الضمنية للثقافة الأمريكية إنما تتمثل في الترويج من خلال وسائل الإعلام إلى جملة من الأنشطة الثقافية التي تهدف إلى قولبة وتنميط الجمهور عموما والشباب خصوصا، ويهدف هذا التنميط إلى التعميم كنموذج كوني على جميع الأقطار وبدرجات متفاوتة الشدة، ولعل أبرز مثال على ذلك هو التنميط الراهن على الشباب من خلال المظهر، السلوكيات والتفصيلات: الجينز، T. Shirt ، الأحذية شبه الرياضية، قصات الشعر... أتباع موضة صارت عالمية، وتشكل سوقا تجارية لا يستهان بها: موسيقى الديسكو، نجوم الغناء والرقص، الوجبات السريعة من سلاسل ماكدونالد وغيرها، البيبسي والكولا... هذا التنميط على مستوى المظهر أصبح يشكل مكونا أساسيا من ملامح وسمات صورة الشباب التي تمارس ضغطا كبيرا على الأجيال الطالعة لإتباعها على اختلاف درجات الانخراط فيها، ذلك أنها تُقدم باعتبارها النموذج المثالي للشباب المعاصر المنفتح على الدنيا، إنها تمثل الثقافة الفرعية للشباب، يجد تميزه وهويته من خلالها، وبالتالي فليس من اليسر- حسبه- مقاومتها وعدم الانتماء إليها فكما يُقال "... إذا أنت لم تُجار التيار فلست من شباب اليوم "[1].

وتضيف إيناس علي على أن خطورة هذا الترويج الأعمى لثقافة الغرب وأنماط حياته تزداد يوما بعد يوم "...فالشباب ذو قبعة الكاوبوي Cowboy لا بد له منGirl friend ، والبنت المدللة الهاتكة لسترها لا بد لها من Boy friend "، ولعل حجم المشكلة – تضيف إيناس- يزداد عندما تعلم الإقبال الشديد لدى الشباب على هذه الأغاني الغربية التي أفردت لها بعض المحطات قنواتا خاصة تبثها على مدار الساعة... لتشغل بالهم، وتقيّد خيالاتهم في التقليد الأعمى لها، وتتبع أخبارهم التافهة وحركاتهم الشاذة[2].

---

1 – مصطفى حجازي: **حصار الثقافة بين الفضائيات والدعوة الأصولية**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب، 1998 ص 45-46.

2 – إيناس علي: **الفيديو كليب: ظاهره رقص وغناء وباطنه تغريب وإغواء**، http://www.eshraka.com/ar/modules.php?name=News&file=article&sid=1301 ، 2008/02/23.

في دراسة له تحت عنوان: " ثقافة الماك وورلد Mc World في مواجهة الديمقراطية " يرى بنجامين باربرB. Barber أن ثقافة الماك وورلد أي الثقافة العالمية الأمريكية هي الترجمة الحرفية للفيديولوجيا التي تقطع مع الثقافات القديمة، ولكنها تلجأ إلى أسلوب آخر، فالماك وورلد يتزيّن قليلا بطابع الثقافات التي يلتهمها*، ومن وجهة نظر باربر فإن قناة الموسيقى الأمريكية MTV والماكدونالد وديزني لاند هي في نهاية المطاف وقبل كل شيء أيقونات الثقافة الأمريكية، هي أحصنة طروادة التي تتسلل من الولايات المتحدة إلى ثقافة سائر الأمم، أما ريجيس دوبريه فيرى أن هذه الأيقونات الثقافية الأمريكية تنتج التماثل والتشابه في أنماط السلوك، فكل دقيقة عنف ينتجها فيلم كفيلم " الحديقة الجوراسية" Jurassic Parc ينحت مستهلكا من الشرق إلى الغرب، فالأسواق – يضيف- تحتاج إلى عملة واحدة هي الدولار، وإلى لغة واحدة هي الانجليزية، وإلى سلوك متشابه في كل مكان يجد تعبيره في سلوك أبطال الثقافة الجديدة[1].

هذه العالمية ومعها التغريب كأداة ووسيلة ومدخل أيديولوجي رغم دلالاتها الشمولية والتماثلية فهي تعمل باستمرار على تعميق الحد الفاصل بين العوالم والثقافات على الشكل الذي يكون فيه الغرب دوما هو "الغالب"، "المتفوّق"، "المركز"، "السيّد "، "المتقدم"، مقابل آخر هو دوما وأبدا "الضعيف"، "الدوني"، "البربري"، "المتوحش"، "المتخلف"، وفي النهاية "التابع" بكل أشكال وصور التبعية المطلقة، الخضوع التام، الربط والإلحاق وعلى كافة الأصعدة[2].

---

* فإذا بالإيقاعات الأمريكية اللاتينية تزيّن موسيقى "البوب" في الأحياء المكسيكية الفقيرة في لوس أنجلس، وإذا بأطباق ماكدونالد الكبيرة تقدم مع البيرة الفرنسية في باريس، أو تصنع مع لحم البقر البلغاري في أوروبا الشرقية، وإذا ب "ميكي" يتكلم الفرنسية في ديزني لاند باريس.

1- سعد محمد رحيم: **المجتمع الاستهلاكي: الأسطورة وصناعة الزائف**، www.kassioun.org/index.php?d=34&id=811، 2008/01/30.

2- عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، م.س.ذ ص 200.

أما الجانب الآخر من المعادلة وهم –الغرب الأمريكي- فلديهم رأي آخر حول هذه المسألة فنجد مثلا ديفيد روثكوف يقول: " إن الثقافة الأمريكية تختلف عن الثقافات، ابنة بيئتها في العديد من المجتمعات الأخرى لأن الثقافة الأمريكية هي مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم، وقد انصهرت عن وعي في حالات عديدة في وسط اجتماعي يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقافات "، ويضيف: "...مادام الأمريكيون يدركون هذه الحقيقة فإنهم يجب ألا يخجلوا من القيام بما هو في مصلحتهم الاقتصادية، السياسية والأمنية، وبالتالي ما هو في مصلحة العالم ككل... لذلك أنا أدعو –يواصل روثكوف- الولايات المتحدة ألا تتردد في الترويج لقيمها، وأنّ على الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التي عرفها التاريخ العالمي فإن أمتهم هي الأكثر عدلا، الأكثر تسامحا، والأكثر حرصا على إعادة تقييم الذات وتحسينها، وهي النموذج الأفضل للمستقبل "[1].

مميزات الثقافة الأمريكية:

إن أهم ما يميز الثقافة الأمريكية بالنسبة للأمريكيين هو الثقافة السياسية، أي مفهوم العامة لأنفسهم ووطنهم بالنسبة للعالم، ومن أهم سمات الثقافة السياسية الأمريكية هو البراءة الأمريكيةAmerican Innocence أو العطف الأمريكي، بالإضافة إلى مفهوم التفرد الأمريكيAmerican exceptional ، حيث يرى الأمريكيون أن أمتهم الأمريكية مقامة على عدة قيم وتجارب فريدة، مما يجعلهم يعتبرون أنفسهم مختلفين عن شتى أمم العالم القديم، وطبقا لسفير الولايات المتحدة السابق لدى الأمم المتحدة (جين كير باتريك) فإن: " التفرد الأمريكي يعكس الاعتقاد السائد بأن الولايات المتحدة الأمريكية لها مهمة أخلاقية، تنبع من هويتها ويجب أن يوجه هذا الاعتقاد السياسات الأمريكية، فطبيعتها الفردية التي كانت تستعمل لتبرير تحالفات وخلافات العالم القديم من قبل تعتبر الآن أساسا لإصلاح العالم "[2].

1 – تيغزة زهرة: **الهيمنة العالمية الأمريكية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة**، م.س.ذ ص57.

2 – نفس المرجع السابق ص56.

قال هيرمان مارفيل H. Merville في القرن 19 : " نحن الأمريكيون، إننا شعب مختار، إسرائيل زماننا، إننا نحوز عرش الحريات ".

إن ادعاء تفوق الحضارة الأمريكية تكون مقابل أو امتداد لخرافة المعجزة اليونانية وأسلافها الإغريق التي أسست للتفوق الأوروبي عامة، حيث تأتي مقولة الشعب المختار Peuple élu، وهي واحدة من المقولات الأكثر دموية في تاريخ البشرية، يقيم عليها منطق التفكير الأمريكي في رؤيته للعالم والإنسان والطبيعة وادعاءه الأحقية والأفضلية في قيادة وزعامة الشعوب والأمم نحو الخلاص والتقدم، وهذا ما تضمنته الكلمة التي تقدم بها الأب المؤسس لأمريكا "جورج واشنطن G. Washington في خطابه الافتتاحي كرئيس لأمريكا وهي المناسبة التي أعلن فيها الاستقلالية تجاه انجلترا عبارة أصبحت فيما بعد النص الموجه للسياسة الأمريكية إلى يومنا هذا: " ...ولا شعب من الشعوب أكثر من الشعب الأمريكي في درجة امتثال فكرة اليد الخفية La main invisible*، هذه اليد التي توجه قضايا الإنسانية، كل خطوة تتقدم بها في طريق الاستقلال الوطني تبرز علامة تدخل الرعاية الإلهية "، إنها اليد الخفية التي رأى فيها جورج واشنطن على رأس السياسة الأمريكية بأنها بمثابة " تدخل الرعاية الإلهية" " L'intervention providentielle ، وفي نفس الوقت القانون الأساسي للانسجام والتجانس بين المصالح والمصلحة العامة[1].

أبعاد السيطرة الأمريكية:

لقد حاول بريزينسكي في كتابه بين عصرين أمريكا والعصر التكنتروني Technétronique تفسير أبعاد السيطرة الأمريكية في ميدان الثقافة في ثلاثة جوانب:

---

* إن "اليد الخفية "عبارة قال بها آدم سميث متوجا بها نظريته الاقتصادية، مفادها أنه لو كل فرد سعى في تحصيل مصلحته الشخصية لتحققت المصلحة العامة.

1 - عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، م.س.ذ ص 207.

1- أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأولى التي خرجت من العصر الصناعي إلى العصر التكنتروني، وهو عصر التعقيد الثقافي والاجتماعي الذي يعطي للعمليات السياسية صفة الكوننة.

2- تشكل الولايات المتحدة المجتمع الأول الشامل في التاريخ، وهي المركز الرئيسي لنشر الثورة التكنترونية، إذ أنها المجتمع الذي يتصل أكثر من غيره فـ65٪ من الاتصالات العالمية تنطلق منها، كما أنها نجحت في وضع شبكة عالمية للمعلومات، الشيء الذي يمكنها من اقتراح تصاميم للسلوك والقيم العالمية.

3- أن المواجهة مع الجديد هي جزء من الخبرة اليومية في أمريكا وسواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ، فإن العالم يترقب ما هو مخبأ له بملاحظة ما يحدث في الولايات المتحدة سواء كان في الميدان العلمي أو الفن أو جنوح الأحداث[1].

وتعود سيطرة النموذج الثقافي الأمريكي إلى التحول في التكنولوجيا، حيث أصبح ميدان الثقافة أهم تطبيقاتها، أي حصول نوع من الزواج بين التكنولوجيا والثقافة حيث أصبحت عبارة عن صناعة قائمة بذاتها...هذا الارتباط غيّر من طبيعة الثقافة نفسها حيث أصبحت جماهيرية[2].

هذه الثقافة الجماهيرية التي يرى المفكر الفرنسي إدغار مورين E. Morin أنها تحمل بعدين متعاكسين:

الأول: عندما يحل الممثل محل الأفراد، يؤنسهم ويسليهم.

الثاني: عندما يدعوهم للاقتداء به باعتباره مثالهم في البحث عن السعادة.

وعندما يعجز هؤلاء عن إشباع هذه الرغبات واقعيا يحدث التصادم بين الواقع والخيال، وبهذا فالثقافة الجماهيرية –حسب مورين- تؤدي وظيفتين متعاكستين:

---

1 – إدريس بولكعيبات: **من عولمة الثقافة إلى ثقافة العولمة**، التحديات المعاصرة : العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة، مخبر علم اجتماع الاتصال، الجزائر، 2002 ص105-106.

2- نفس المرجع السابق ص106.

الأولى: تغذي حياة الناس، والثانية: تضعفهم في نفس الوقت[1].

وهكذا يندرج التغريب كما تمظهر من خلال آلياته ومراحله في العالم الثالث في سياق النزعة العالمية لنظام الغرب ومنظومته الحضارية ونموذجه الثقافي، وذلك بعد أن أسس لمركزية ذاتية وأحاط نفسه وأنويته بهالة التفوق ومزاعم النفوذ ، وضمن هذا السياق بالضبط جسّد التغريب بما هو شريك معرفي- أيديولوجي، علاقة شراكة وتكامل بين الحضارة والنظام الرأسمالي من جهة، وعلاقة فصل وقطيعة بين الحضارة ذاتها كثمرات علمية وتكنولوجية ومنجزات في التطور والرفاه، وبين الثقافة كأسلوب في الحياة وقيم وممارسات استهلاكية يومية على الخصوص من جهة أخرى.

وبين هاتين العلاقتين تتجلى حقيقة التغريب الذي لم يكن يوما تعميما عالميا لأسس الحضارة ومعارف الحداثة والتطور وثمرات العلم والتكنولوجيا وأسرار التقنية والتقدم، إنما هو مجرد إستراتيجية سيطرة ونهب مدعومة بمركزية ثقافية تحاول باستمرار التمكين لثقافة الغرب وبسط نموذجه في الحياة. فهي بالدرجة الأولى تكريس الهيمنة الفكرية المعرفية في الرؤية، والنظر قبل تكريسها في الواقع الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، وكل ذلك متضمنا في التغريب الذي سمي في متن أيديولوجية المركزية الثقافية ب "تمدين الآخر" أي تعميم النموذج الغربي على العالم، لكن ليس بالشكل الذي يحدث ويقيم مساواة حضارية شاملة، بقدر ما يستهدف خلق أفضل الشروط وتثبيت أحسن الظروف التي تجعل الشعوب الأخرى أكثر قابلية وأكثر استجابة لمتطلبات المركز الغربي على مستوى الإنتاج والاستهلاك، وحاجته لنظام عالمي تراتبي يُبقي الأطراف تابعة لا مستقلة أو متساوية مع المركز، يجد هذا المنطق مرجعه فيما أسميناه بالأصل المادي لحضارة الغرب في ذاتها، وهو الأصل الذي يجعل دوما وأبدا عالميتها مشروطة بإبقاء مسافة فاصلة بين الغرب والآخر حرصا على أن يكون هذا الأخير (الآخر) سوقا وسلعة لا أكثر[2].

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 78.

2 - عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، م.س.ذ ص 198.

ولأن المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب في زيّه، وحلته وسائر عوائده، حسب القانون الذي صاغه مفكرنا العربي "ابن خلدون" ، لذا فإن الصادرات الثقافية الأمريكية تلقى رواجا وإقبالا منقطع النظير، بين شتى المجتمعات "المغلوبة"، وليس كما يدعي بعض المروّجون لهذا النظام ودعاته الذين يجنحون إلى التهوين من ثقافة الآخر بالادعاء أن الانتشار الواسع لثقافة الغرب يرجع إلى كونها أكثر إنسانية... ولعل حضارة تكون إنسانية وعالمية بمعنى واحد فقط هو مدى استفادتها من التلاقح الإنساني ومن الدماء الجديدة التي اختلطت بها من جراء المساهمات الحضارية للأمم الأخرى وعلى رأسها أمتنا العربية [1] .

وفي الأخير لابد من التنويه عن فكرة مهمة جدا هي أن عمليات التغريب القديمة القائمة على التبشير والاستشراق و... كانت واحدة من بين الأسباب الرئيسية في رغبة الولايات المتحدة في فرض ثقافتها على البلاد الإسلامية، وربما دليل ذلك قول إدوارد ميدا برل : " إن الرأي العام الأمريكي فيما يتعلق بالشرق قد خلّفه المبشرون منذ قرن كامل، فإذا كان الرأي العام الأمريكي قد طُويت عنه بعض المعلومات أو غُذي بمعلومات خاطئة أو دُفع إلى موقف عدائي، فإن المبشرين هم الملومون في أكثر ذلك، لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية، قد حمل هؤلاء المبشرون على أن يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة، مشوهة أو ساخرة في بعض الأحيان عن المسلمين والإسلام "[2]، إلا أن هذا لا يمنع من أن التدقيق في النتائج التي أفضى إليها الغرب مارسه الغرب في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومن خلال أشكال أخرى سبقتها يكشف الطبيعة التناقضية للأهداف المراد تحقيقها، فليس شعار عالمية الغرب إلا دعوة للانزلاق نحو استبداد يُفرض على الآخر وهيمنة تشده إليه، فالنموذج الغربي لا تتوفر فيه شروط الذوبان والاندماج فيه، لأن الغرب في الواقع طوّر مقومات استبعاد هائلة لكل ما ليس غربي

1- نسيمة مخداني: **الطلبة الجامعيون بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001 ص 52.

2- نزار الحديثي: **سياسة التغريب في الوطن العربي**، م.س.ذ ص12.

كي لا يجد الآخر إلا الخضوع المستمر ضمن حالة توتر ثقافي، تشنج اجتماعي، انهيار اقتصادي وتبعية مطلقة.

المطلب02: المواقف العالمية من التغريب الأمريكي.

المواقف العربية والإسلامية.

يقول محمد صادق صبور أن هناك بوادر حضارة بدأت تظهر في حياتنا، بما تحمله من أساليب مستجدة على الحياة الأسرية والتغيرات التي حدثت في طرق العمل والحياة، وبدأ ملايين البشر في تحويل حياتهم وضبطها على الإيقاع الجديد... إيقاع الغد .

وصفها بعض الباحثين بعصر الفضاء، ويصفها آخرون بأنها عصر المعلوماتية أو عصر الالكترونيات، أو تحوّل العالم إلى قرية كونية كما تنبأ مارشال ماكلوهان ، وأسماها بريزينسكي بعصر التقنية، وعالم الاجتماع نيل بال Nil Bell بعصر ما بعد الصناعة، وألفين توفلر A. Toffler بعهد ما فوق الصناعة أو حضارة الموجة الثالثة... وغيرها الكثير من التسميات والأوصاف[1].

إلا أن هذه الحضارة الغربية الشكل و المضمون، بكل ما تحمله في طياتها لم يكن لديها نفس الصدى والوقع في نفوس وعقول الأنتلجنسيا الوطنية العربية والإسلامية، نوجزها فيما يلي :

الموقف الأول: يقول "زكي نجيب محمود" مخاطبا نفسه: إنهن أسئلة ثلاث تلقيها على نفسك لتجيب عنها جوابا لا تلثاث فيه عبارة، ولا يغمض معنى، وعندئذ يفتح أمامك طريق السير واضح المعالم، محدد الأهداف.

فأولها هو السؤال المشهور الذي واجه به هاملت نفسه الحيرانة: أبقاء تريد أم فناء؟

---

1 - محمد صادق صبور: **مستقبل الحضارة الإنسانية**، دار الأمين، الطبعة الأولى، مصر، 2001 ص 07.

فإذا كان جوابك: بل بقاء.

جاءك السؤال الثاني: أهو بقاء المعزول عن عصره أم المغموس في تياره الدافق؟

وإذا كان الجواب: بل البقاء المعتلي ظهور الموج في تيار الحياة، جاءك السؤال الثالث والأخير: لكن تيار الحياة يا صاحبي فيه المتبوع والتابع، فأيهما تريد؟

ولا أظن الجواب إلا أن يكون بأنها حياة المتبوع لا التابع ما أريد.

فإذا كان كذلك- وإنه لكذلك- فليس أمامك إلا سبيل واحدة، لا ثاني لها ولا ثالث، وهي أن تتمثل عصرك هذا بثقافته، قيمه، مسالكه، وأهدافه، بعلومه وتقنياته، بقوته وحيويته... ومن لي بصورة منها لأحتذي بها؟[1].

وهذا هو مبدأ أنصار هذا الموقف الداعي إلى الأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، سواء ما تعلق بالعلم والصناعة أو ما تعلق بالثقافة وأسلوب الحياة الاجتماعية والروحية، إنه الموقف المستسلم للحضارة الغربية والمقلد لها، المؤمن بكل قيمها ومبادئها، فلسفتها المادية، نظمها السياسية والاقتصادية[2]، حيث يطلق على روّاد هذا التيار بـ" التغريبيين Les occidentalistes " الذين يدعون إلى فتح كل القارات في العالم على الغرب الصناعي، هذا الأخير الذي يمنح أنماط وأنساق ثقافية واقتصادية قريبة من صورة الحضارة التي يريد رواد الحداثة تحقيقها ...يقول محمد دحماني: " أن هؤلاء التغريبيين يُرجعون أزمات التنمية أو سوء التنمية لهؤلاء المثاليين أو الأصوليين الذين يريدون تخليد ماض استعماري ثقيل لرغبتهم في إيجاد قيم سلفية أو أصلية حقيقية أو وهمية " [3] و يعتقد أصحاب هذا الموقف أن الثقافة الغربية هي " المصير المشترك

---

1 - حازم الببلاوي: **علم المستقبل:على أبواب عصر جديد**، دار الشروق الطبعة الثانية، مصر، 1983 ص 09.

2- أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب**، م.س.ذ

3-Mohamed Dahmani: **L'occidentalisation des pays du tiers monde : mythes et réalités**, o.p.u et économica, paris, 1989 p91-92.

الوحيد الذي يجب أن تسير إليه البشرية جمعاء "، ومن ثم يرى هؤلاء أن في البث الوافد اتصالا حضاريا، تلاحقا ثقافيا أكثر منه غزوا فكريا أو هيمنة ثقافية[1].

ولعل أهم رواد هذا التيار "طه حسين" الذي يعتبر من أبرز الشخصيات الداعية إلى التغريب، ومن أكثرها إلحاحا في الأخذ به، كما أنه من المغالين في ذلك، حيث ضمّن آراءه التغريبية في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر" الذي يزعم فيه أن الثقافة المصرية هي جزء من الثقافة الغربية الأوروبية.. وعلى المصريين أن يقتفوا سيرة الأوروبيين في كل شيء سواء كان حقا أم باطلا، نافعا أم ضارا، حيث قال: " إننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوروبا اتصالا يزداد قوة يوما بعد يوم، حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى، حقيقة وشكلا "، فإذن يتعين علينا – كما يقول- " أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، ما يُحسن منها وما يُعاب "[2]. وربما ليس هنالك ما هو أدّل من عبارة " محمد عبده" الشهيرة التي تؤكد انبهاره الشديد بالغرب وحضارته، حيث قال: " لقد وجدت هنالك مسلمين بلا إسلام، ووجدت هنا إسلاما بلا مسلمين "[3].

هذا الموقف كان له مروّجوه من الجانب الغربي، حيث أن أوروبا كانت تعتبر "المقدسة" تحضير (من الحضارة) الشعوب البدائية، بمعنى غير المغرّبة بعد، فقد برروا فكرة الاستعمار بحجة أخلاقية كانت منتشرة كثيرا في ذلك الوقت وهي أنهم يريدون " تحرير" البدائيين من دياناتهم، وبالموازاة تحسين وتطوير أنماط وشروط حياتهم!!. وقد ازداد تقليد المجتمعات الصناعية الأوروبية- آنذاك- حدة بعد حصول المجتمعات المستعمرَة على استقلالها الوطني، وفي هذا الصدد يقول François de Closets: " وعيا منها بأن البنى التقليدية لا تستطيع تحقيق

1- أيمن منصور ندا: **دراسات في الاتصال الكوني**، دار النهضة العربية، مصر، 2005 ص 117.

2 – أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب**، م.س.ذ

3 – عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، www.islamonline.net/iol-article/qadaya/art1.asp 2008/01/15.

الحداثة، حاولت الدول غير النامية إحداث ترقيعات أيديولوجية رأسمالية، صناعية، شيوعية، اشتراكية... وفي كل الحالات كانت محاولات التغيير السياسي مستوحاة من الغرب، وكأنما الأمم المتحررة من الاستعمار بقيت حبيسة نظام الاستيراد... حداثة زائفة، مفككة أدت إلى اللافعالية"[1].

وهكذا نجد أنه بالنسبة لهذا الموقف فالثقافة الغربية فرضت نفسها على الثقافة العربية من خلال طرحين أساسيين أوردهما محمد العوا فيما يلي:

الطرح 01: أن الثقافة الغربية هي الثقافة الراقية، العالية والنبيلة، وما سواها ثقافات دونية ينبغي أن تزول أو تنمحي.

الطرح 02: تزيين الثقافة والحضارة الغربيتين بشكل يشعرنا بأننا لن نتقدم إلا في ظلهما [2].

الموقف الثاني: وهو الموقف الرافض للحضارة الغربية وللتغريب، البعض يسمون أنصاره ب " المتمركزين حول الذات" أو الإثنيين Ethnocentristes أو الأصوليين، ينطلق هذا الموقف من فكرة Rudyard Kipling: " الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب، والاثنين لن يلتقيا أبدا " .

يقول جلال آل أحمد :" إن للتغريب طرفين: أحدهما الغرب، والآخر نحن المتغرّبون في الشرق... جغرافيا يمثل الغرب تخوما تشمل أوروبا بأكملها والاتحاد السوفيتي وأمريكا الشمالية، ولكنه جوهريا يتشكل من البلدان المتقدمة أو البلدان الصناعية، أو قل جميع البلدان التي بوسعها تحويل الخامات إلى منتجات معقدة بواسطة الآلة، وعرضها بعد ذلك في الأسواق العالمية... أما الطرف الثاني من المعادلة والذي سُمي اصطلاحا بالعالم الشرقي، فإنه يتشكل جغرافيا من بلدان

.1 - Mohamed Dahmani: **L'occidentalisation des pays du tiers monde : mythes et réalités**, opcit p 38

2- محمد سليم العوا وآخرون: **خصائص الثقافة العربية الإسلامية**، دار السلام، الطبعة الأولى، مصر، 2003 ص 77.

آسيا وإفريقيا ومجموعة البلدان المستهلكة للصناعات الغربية... الصناعات التي سافرت خاماتها من عندنا لترجع إلينا في شكل سلع ليس بوسعنا إلا استهلاكها"[1].

أصحاب هذا الموقف يؤكدون على ضرورة العودة إلى المصدر أو الأصل في قيم وأشكال الحياة التقليدية، ويُرجعون كل العيوب والأزمات الحالية للدول في طريق النمو إلى الأفكار والمظاهر التغريبية التي تريد نحت الفضاءات الثقافية وفق المعيار الغربي...ويضيفون أن الانفتاح المباشر على الغرب هو السبب الحقيقي وراء التأخر والانحطاط الاجتماعي للبلدان المهيمن عليها (المستعمرَة)[2]، فنجد محمد يوسف يرفض هذه الثقافة الغربية لأسباب دينية ويستشهد في ذلك بهذا الحديث حيث يقول: عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- أن النبي (ص) قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى ولو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله؟ اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ".

وقال ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث:

ضب: دويبة صغيرة... والذي يظهر أن التخصيص وقع لجحر الضب إنما لضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم –لاقتفائهم آثارهم وإتباعهم طرائقهم- لو دخلوا في مثل هذا الجحر الصغير الرديء لتبعوهم[3].

من جهته يعتبر سلمان العودة التغريب عملا مغايرا لفكرة الحوار أو الاستفادة، والعالم اليوم كله يعيش في أرض واحدة وكل الشعوب تكون في موقع التأثر والتأثير، وذلك شيء طبيعي، بل هذه سنة الشريعة ذاتها، يقول الله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير" الحجرات 13، فلم يقل لتتعاركوا وتتحاربوا أو يكره بعضكم بعضا، بل قال لتعارفوا فهذا التعارف –

---

1 - جلال آل أحمد: **قراءة في كتاب نزعة التغريب**، م.س.ذ

.2- Mohamed Dahmani: **L'occidentalisation des pays du tiers monde : mythes et réalités**, opcit p92.

3- محمد حسن يوسف: **التغريب في ديار الإسلام**، م.س.ذ .

يضيف- هو الاتفاق على القضايا المشتركة، والتعاون وتبادل الخبرات والاستفادة من الآخر[1].

أما أحمد فرديد فيعلل رفضه للحضارة الغربية، حيث يقول أن : " التغريبيين أضاعوا الله واستبدلوه بإله آخر، هو النفس المادية أو النفس الأمارة بالسوء "، كما يضيف أن للبشر ثلاثة أبعاد : الأول علمي، الثاني فلسفي والثالث معنوي، ومع أن الأول والثاني احتلا مساحة واسعة في السنن الفكرية الغربية، إلا أن الثالث ظل غائبا وباهتا بشكل فاضح، لذلك نجد فرديد يحذر من مخاطر شيوع حضارة الغرب في عالمنا، ويدّعو إلى التحرر من أشكال التغريب كافة وتجاوز كل مظاهره[2].

بديع الزمان النورسي بدوره يرفض الأسس الثقافية في الحضارة الغربية بدءا من عصر اليونان وإلى اليوم، ويحاول في رسائله كلها قطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الإسلامية المعاصرة، لأنها انطلقت من مبادئ الفلسفات الجاحدة التي أوجدت –حسبه-حالة من الفوضى والقلق الفكري والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي، مستغلة تأخر المسلمين وجهلهم بدينهم[3].

محمد الميلي يعود بنا إلى فكرة مهمة حيث يقول : " قديما قيل من مأمنه يؤتى الحذر " وها هو إنسان العالم يؤتى فعلا من الجانب الثقافي باسم الموضوعية الفكرية والعقلانية وحياد العلم...فإذا كان الغرب- يضيف الكاتب- قد سلّم بحقيقة استقلال بلدان العالم الثالث فلأنه وجد أن استمرار النمط القديم للسيطرة الاستعمارية أمر مكلف، وأن قائمة الخسارة فيه أصبحت تربو على قائمة الربح ومن هنا تكيّف مع الواقع الجديد، فسلّم به لكنه لم يستسلم له، وراح يحيك أسلحة

1- سلمان بن فهد العودة: **أدواء التغريب**، م.س.ذ .

2- عبد الجبار الرفاعي: **مفهوم التحيز والتمركز المعرفي في التفكير الديني الإيراني المعاصر**، م.س.ذ.

3- **محمد الزمان النورسي: منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية**، www.odabasham.net/show.php?sid=3402 ، 2008/01/15.

من نوع جديد...فهذا الغرب من خلال الهجمة الثقافية الطابع يريد أن يحقق أهدافا عديدة يسند بعضها البعض:

- يريد لنظامه أن يستمر.
- يريد لهيمنته أن تتواصل.
- - على الخصوص- يريد زعزعة الأسس الفكرية والثقافية للعالم، خلخلة تضامنه وإضعاف قواه.

في نفس الوقت الذي يريد فيه تحقيق الانسجام بين جميع قواه، ومحاولة استعادة شبابه من خلال تلك الكتابات التي تسعى إلى تحقيق وحدة الغرب تحت مظلة أيديولوجية يمينية الأسس ، ثقافية الشكل[1].

وهنا نجد جلال آل أحمد يقول: " والآن ها نحن والتشبه بالأجانب، وبتقاليد غريبة عنا، وبثقافة ليست لها أية جذور في أرضنا، ولا أية ثمار أو فائدة لنا، إنه تشبّه يلاحقنا في حياتنا اليومية، في مواقفنا السياسية والثقافية، ولهذا تبقى كل أمورنا بتراء ناقصة "[2].

أما رفيق حبيب فكان أكثر علمية وموضوعية في رفضه للحضارة الغربية حيث يقول: " إن الدعوة لإعادة إنتاج النظم الغربية ونمط الحياة الغربي، دعوة للتنازل عن القيم الحاكمة للحضارة العربية الإسلامية، فالنظم الغربية سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية تنبع من القيم الحاكمة للحضارة الغربية،وتحققها في الواقع العملي، كذلك فإن السلوك الإنساني الغربي ونمط الحياة الغربية هو تعبير عن القيم الحاكمة في الحضارة الغربية، فكل حضارة لها قيم حاكمة أو قيم عليا أساسية، تترجم في نظام حياتها العام بمختلف جوانبه، ولا يمكن أن نقلد هذا النظام العام، إلا من خلال تبني هذه القيم التي يعبّر عنها " ويستأنف قوله : "...الناس في كل حضارة يلتزمون بالنظام العام، وبالتالي يتحقق هذا النظام على أرض الواقع

1- محمد الميلي: **حق المعرفة وحق الأمل**، م.س.ذ ص 251.

2- جلال آل أحمد: **قراءة في كتاب نزعة التغريب**، عرض مجتبي العلوي، م.س.ذ .

لأنهم يؤمنون بالقيم التي يعبّر عنها، فالقيم الحاكمة في الحضارة عي الأساس الذي يميّزها ويحدد خصوصيتها، وهي كذلك الأساس الذي تقوم عليه ويحقق تماسكها وترابطها، و بها يتحقق الاجتماع الإنساني لشعب هذه الحضارة[1].

وكان ماركيوز قد تحدث عن تنميط الحضارة الغربية والإنسان ذو البعد الواحد، حيث بيّن أن ثمة خللا بنيويا في صميم الحضارة الغربية يتجاوز التقسيم التقليدي المتبع الذي يقسمها إلى حضارتين: واحدة اشتراكية، وأخرى رأسمالية، ناهيك عن سهام النقد الجذري التي وجهت إلى هذه الحضارة الغربية بفعل حجم جرائمها ضد شعوب آسيا وإفريقيا وحجم النهب الاستعماري[2].

ولأن العالم يزداد تشرذما كما يقول المفكر الفرنسي دوبريه، حيث أن النزاعات القومية تتفاقم...فهي كما يقول أشبه بتمويه الطابع المحلي بطابع شمولي جامح، وتغليف ثقافة معينة هي ثقافة الأشد يسرا بطابع الحضارة الكونية (الغربية)... بغض النظر عن تأثيراتها على تهميش البنى التقليدية وتغريب الإنسان فيها[3]، كان لابد من تحديد الأسس التي تقوم عليها الحضارة الغربية، فمثلا حسب النورسي، فالمدينة الغربية الحالية سلبية تقوم على خمسة أسس تدور عليها رحاها:

- **نقطة استنادها**: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هنا تنشأ الخيانة.
- **هدفها وقصدها**: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم، ومن هنا تنشأ الجناية.
- **دستورها في الحياة**: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام التنازع والتدافع ومن هنا تنشأ السفالة.

---

1 – رفيق حبيب: **التحديث بين التغريب والتجديد**، م.س.ذ .

2 – عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ.

3– أحمد مجدي حجازي: **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية: رؤية نقدية من العالم الثالث**، العولمة ظاهرة العصر، م.س.ذ ص127.

▪ **رابطتها الأساس بين الناس:** العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية التصادم المريع ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك.

▪ **خدمتها الجذابة:** تشجيع الأهواء والنوازع، تذليل العقبات أمامها، إتباع الشهوات والرغبات، وشأن الأهواء والنوازع دائما مسخ الإنسان وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخا معنويا.

ويضيف: "...إن معظم هؤلاء الغربيين لو قلبت باطنهم على ظاهرهم لرأيت في صورتهم سيرة القرد، الثعلب، الثعبان، الدب والخنزير... ولئن آثارهم لتدل عليهم"[1].

وكان الفيلسوف الانجليزي " هوبز" قد صوّر مادية الحضارة الغربية عندما وصف المجتمع القائم على محورية المادة والسوق ب" غابة المنافسة" حيث يكون "الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان"، وحيث تتحول العلاقات الاجتماعية إلى قيم مالية...، وبحكم هذه المحورية المادية وعناصر السوق التنافسية، يصبح الناس حيوانات ذات غرائز أساسية أو آلات حاسبة عاقلة[2].

ولعل من الباحثين من يلخص هذه السلبيات في النقاط التالية:

❖ الثقافة الغربية مفلسة في مجال الأخلاق والقيم.

❖ تؤسس للعلمانية، بمعنى أنها بعيدة عن ربط العلم والثقافة بقضية الإيمان.

❖ تجنح للعنف ولا تدعو للحوار والتعايش.

❖ فردية النظرة.

❖ مادية النزعة.[3]

---

1 - **محمد الزمان النورسي: منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية**، م.س.ذ.

2 – عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، م.س.ذ ص168

3 – حسن أبو هنية: **نسيج الإنسان الفاسد**، www.alghad.jo/?news=3225

وهنا ينطبق عليها قول طه عبد الرحمان حيث وصفها بأنها: " حضارة ناقصة عقلا، ظالمة قولا، متأزمة معرفة، ومتسلطة تقنية "، على اعتبار أنها كما يقول ألان تورين:

" متخمة بالوسائل والأدوات، ومعوّقة من المقاصد والغايات "[1].

وهكذا فإن خلاصة أفكار هذا التيار: عدم فتح المجال للرأي الآخر المناقض لثوابتنا ومحكماتنا التي لا تقبل الجدل أو التنازل، ودليل ذلك أن الرسول (ص) لما وجد ورقة بها سطور من توراة اليهود بين احد أصحابه، غضب غضبا شديدا وأمره بإتلافها .

بل لما جاء وفد نصارى نجران وكلّم الرسول (ص) اثنين من أحبارهما –هما العاقب والسيد- وقال لأحدهما: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما، فاسلما، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام إدعاؤكما لله ولدا وعبادتكما للصليب وأكلكما للخنزير "، وهنا لم يتنازل (ص) عن شيء من المحكمات من أجل حقوق الآخر لأن فيها فسادا للمسلمين وتلبيسا على الكافرين[2].

وفي الأخير يمكن تقسيم أصحاب هذا الموقف إلى ثلاث مجموعات وهي:

الإسلاميون: ويعطون مفهوم الهيمنة الغربية معنى التبشير ومصارعة الإسلام، ومحاولة القضاء عليه والتوسع على حسابه، فالتغريب –من هذا المنظور- هو " قوى صهيونية واستعمارية، تحاول أن تلقي إلى العالم الإسلامي فكرا زائفا وشبهات مظلمة تستهدف إفساد حضارته ومفاهيمه في مجال التربية، النفس والعقائد ".

---

1 – ثقافة الطفل والمؤثرات من حوله: www.meshkat.net/new/contents.php?catid=6&artid=6221، 2008/04/06.

2 – حياة سعيد عمر باخضر: تغريب المرأة المسلمة، www.lahaonline.com/index-live dialouge.php ?id=20، 2008/01/15.

الماركسيون: ويعطون هذا المفهوم بعدا اقتصاديا فحسبهم الاستعمار هو أعلى درجات الرأسمالية ومن ثم فإن: " من يملك الثقافة وينتجها يتحكم في الشعوب المستهلكة لها ".

القوميون: ويُفهم التغريب من منظورهم على أنه استنزاف قومي وحضاري لهذه الأمة " فالغزو ليس حياديا ولا عفويا "، إن الهدف الأساس لهذا التغريب هو إدخال المنطقة العربية ضمن التبعية الكاملة سواء للإمبريالية الغربية أو الاشتراكية الدولية[1].

الموقف الثالث: حسب رواد هذا التيار فالواقعية تفرض ضرورة التفكير في الشرط التاريخي لتفوّق الغرب، من دون أن يعني ذلك التسليم بكل ما تقوله الحضارة الغربية أو تتجه أو تطالب الآخرين تبنيه، ومن دون إهمال الانتقادات العقلانية والصحيحة التي يمكن توجيهها للحضارة الغربية، فلا يستقيم التفكير والحوار الثقافي مع الغرب إذا ما اقتصرت النظرة إليه من خلال مثالبه وعيوبه فقط، فالغرب أيضا –حسب رواد هذا التيار- هو صاحب الإصلاح الديني منذ ثورة مارتن لوثر كينغ، وهو مجدد المؤسسة الدولتية، وصاحب أكبر ثورة سياسية في التاريخ الحديث مع الثورة الفرنسية، وهو الذي نقل البشرية إلى عصر الإنتاج الصناعي ثم مجتمع المعلومات الراهن، وفي المجال الاجتماعي للغرب إصلاحات مُرضية خصوصا في مجالات حقوق الإنسان والحرية النسبية[2].

ويضيف محمد يوسف أن الغرب لم يتقدم بسبب أن شعوبه كانت تمشي تأكل في الشارع، أو لأن أولادها كانوا يأخذون بأيدي البنات، ويهيمون على وجوههم في النوادي والملاهي أو لأنهم كانوا يقحمون كلمات غريبة عنهم في أحاديثهم، وإنما كان التقدم في الغرب لأسباب انتهجوها: تشجيع البحث العلمي، التزام الأمانة والجدية في المعاملات، إعطاء كل ذي حق حقه، تشجيع الموهوبين

1- أيمن منصور ندا: **دراسات في الاتصال الكوني**، م.س.ذ ص 117-118.

2 – الجيل الغربي الجديد واللاوعي الثقافي، www.annabaa.org/nbanews/23/082.html، 2008/01/30.

وإفساح المجال لهم، التخلي عن النفاق، الاهتمام بالشباب...إلى غير ذلك من القيم التي شجعوها وعملوا بها، فكانت سببا في تقدمهم، فلما تحقق لهم ما يريدون من تقدم، أرادوا أن تكون لهم حضارة وقيم خاصة بهم، أما الحضارة الإسلامية فقد عُنيت ببناء الفرد أولا بناءا شاملا، ثم بعد ذلك انتقلت إلى العمران المادي كونها تقوم على الجانب الوجداني، والقيم ومنها الجمال والسمو، ولكل حضارة سماتها وقيمها الخاصة بها[1].

يرى محمد حوات أن الانفتاح على الثقافة الغربية في جوانبها النافعة فرض واجب على كل عربي ومسلم لأن في اقتنائها واستلهامها وتطويرها حماية للعروبة والإسلام، فالمستعمر يركز على نشر الثقافة الترفيهية والسلعية وجوانب الإبهار في نمط الحياة الغربية السلوكية التي تتنافس مع معايير الدين والقيم والأعراف والعادات التي هي من سمات هذه المجتمعات ومرتكزات أساسية لهويتها، أما ما يملكه المستعمر في ثقافته من مقومات القوة والإبداع جانبها المادي كالعلم والتكنولوجيا والصناعة، والمعنوي كالديمقراطية والحوار وحقوق الإنسان، فقد ظل محصورا على الداخل الغربي يمنع تصديره، فالثقافة العربية والإسلامية ما كان لها أن تصل إلى أوج ازدهارها لو لم تأخذ وتقتبس عن الثقافات الفارسية والإغريقية والهندية وغيرها، إذا فلا محيص الآن في عصر ثورة المعلومات ووسائل الاتصال والإعلام من تبادل الخبرات والتجارب والعلوم، وضرورة بذل الجهود في اللحاق بالعلوم التكنولوجية والعمل على الحصول عليها وتوطينها عربيا لتقوم بالدور المناط بها في خدمة التنمية والتخلص من قيود التبعية للغرب[2]، حيث يدعو هذا التيار إلى احتفاظ المسلمين بهويتهم الإسلامية وشخصيتهم المستقلة المتميزة حسب القرآن والسنة، والمحافظة على الفكر الإسلامي في منابعه الأصلية، وإعادة تماسك الجماعة الإسلامية مع الإفادة من خير ما أنجزته المدنية الغربية والعلم الغربي، مع

1 - محمد حسن يوسف: **التغريب في ديار الإسلام**، م.س.ذ .

2- محمد علي حوات: **العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل**، م.س.ذ. ص 157-158.

عدم الأخذ من الثقافة نفسها، إلا ما كان منها ما لا يتعارض مع هوية الأمة الإسلامية وشخصيتها وثقافتها الأصيلة.

فأصحاب هذا الموقف يرون ضرورة مواجهة الحضارة الغربية وتحديها بشجاعة وإيمان ومعاملة هذه الحضارة كمادة خام يستفاد منها للخير أو للشر، وهو موقف الفحص والتمحيص والنقد والاختيار...فالمسلم كما يرون عليه أن يجمع بين حسنات ما عنده وحسنات ما عند الآخرين، فالنافع والصالح يبحث عنه ويأخذ به مع المحافظة على الأصول الإسلامية[1].

بمعنى- كما يقول منصور ندا- ضرورة الأخذ عن الغرب دون السقوط في التغريب أو الاغتراب الثقافي، فلابد من معرفة الآخرين والانفتاح عليهم دون التوحد معهم أو الانصهار في ثقافتهم[2].

وخلاصة هذا التيار: " أن عقدة العقد في موقف المسلمين اليوم هي التوفيق بين المدنية الغربية والمبادئ الإسلامية "، وحسب حسين أمين فـ: "خير للعالم الإسلامي أن يأخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربها في الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم من غير قيد ولا شرط ثم يحتفظ مع ذلك بروحانيته التي يلوّن بها هذا العلم، فتجعله موجها نحو البشرية، لا لغلوّ في كسب المال، ولا لإفراط في نعيم، ولا للقوة والغلبة، ولكن للخير العام، وهذا هو المبدأ الذي يضيء للمسلمين الطريق، يبدد حيرتهم ويحل الكثير من مشاكلهم، فدينهم الإسلامي لا يمنعهم أي منع من ذلك، بل عن الإسلام حث على طلب العلم ولو في الصين، ولا شيء يمنعهم من ذلك إلا تمسكهم بتقاليدهم الموروثة وتقديسهم للعادات المألوفة، ودينهم براء من ذلك...وإنما بزت أوروبا الشرق المسلم في مضمار الحضارة لا لأنها مسيحية، وإنما لعنايتها بتطوير العلوم وإهمال المسلمين لها، وليس في الإقبال على التعليم من الغرب من بأس، ولا هو مدعاة للخجل، فإنما كان الفضل في نهضة

1- أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب**، م.س.ذ .

2- أيمن منصور ندا: **دراسات في الاتصال الكوني**، م.س.ذ ص 118.

العلوم في أوروبا راجعا إلى استفادتها من النقل عن المسلمين الذين عنوا بالحفاظ على تراث الإغريق وتطويره وتنميته "[1]، ولعل ما يستند إليه رواد هذا الموقف هو هذا المثل عن الولايات المتحدة التي كانت تقدم نفسها كمصهر أو بوتقة للثقافات (Melting pot) فقد تنازل الأمريكيون عن هذا الوصف لمجتمعهم، وباتوا أكثر واقعية في وصفه باستخدامهم عبارة (Salad pot) أي المجتمع المكوّن من مجموعات أو جماعات ذات انتماءات أو هويات مختلفة في اللون والثقافة والدين...لكنها متعايشة تشارك جميعا من الداخل رغم اختلافها في الخارج، تسهم في التصويت، اتخاذ القرارات، لكن كل واحد منها يعيش حياته الخاصة من تقاليد وعادات وأزياء وطرق مأكل ومشرب واجتماع...بمعنى أن يصبح العالم شبيها بما كان يقول لايبنتز : " جمهورية البدو، أي الجماعات والشعوب ذات الهويات المختلفة "[2].

وفي نفس السياق يرى حيدر إبراهيم أنه بخصوص تأثير الثقافة الغربية فهو لا يتعدى القشرة أو الخارج بالذات فيما يتعلق بانتشار الثقافة الاستهلاكية مثل الملابس، المأكل، المشرب، الموسيقى، الأفلام... وهو الجانب السهل في الثقافة، والذي يمكن تقليده دون جهد كبير كما أنه على مستوى الفكر نلاحظ بالموازاة انتشار قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان و...ليس بسبب قوة مصدرها الإعلامي على فرضها على عقول المتلقي، وإنما بسبب الرسالة الإنسانية المتضمنة فيها[3].

وهكذا ومن خلال كل هذه الآراء والمواقف من الحضارة الغربية وثقافتها، فإننا نخرج بنتيجة تعتبر مشكلة في حد ذاتها، هذه المشكلة شخّصها أحد المفكرين العرب المعاصرين حين قال: " من أكبر الأخطاء المميتة التي وقع فيها

---

1 - حسين أحمد أمين: **المصلحون والدعوة إلى التغريب**، http://www.acccentre.com/arab/info2.asp ?key=24 ، 2008/01/15.

2 - حيدر إبراهيم: **العولمة وجدل الهوية الثقافية**، العولمة ظاهرة العصر، م.س.ذ ص 105.

3- نفس المرجع السابق 120.

عقلنا هو أننا لم نميّز بين شيئين منفصلين تماما: الاستعمار الغربي والحضارة الغربية، نحن تصورنا الاثنين شيئا واحدا على الرغم من الفرق الهائل بينهما فخسرنا الحضارة ولم نهزم الاستعمار!!"

وبالتالي فلم يبق لنا إلا أن نفعل مثلما فعلِ مارتن لوثر كينغ عندما طالب البيض في أمريكا : " أن نعيش سويا كإخوة وإلا فسوف نموت سويا كأغبياء ".

المخاوف الأوروبية

عملية الاختراق الإعلامي والثقافي ظاهرة عالمية ينطبق عليها قول أحد المحللين السياسيين بأن "أمريكا عالم يقوم على الإعلام " لأن الإعلام بوسائله المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية يلعب دورا أكثر من غيره في أي بلد آخر، خصوصا في تشكيل الوعي والعقل وفي نقل وجهات النظر عن الشعوب الأخرى، وحسب محمد حوات فقد تزايدت أهمية الإعلام بعد أن دخل عصر الصورة وعصر ثورة الاتصالات التي كان للولايات المتحدة السبق في ظهورها وتطورها السريع، الأمر الذي جعلها تضاعف من أهمية الإعلام وتكنولوجيا المعلومات في ظل التحولات الأخيرة من آلة أيديولوجية وثقافية إلى الاندماج في تشبيكات من المصالح السياسية والاقتصادية المندمجة مع الإعلام وتكنولوجيا المعلومات، تمكنت من الترويج للحياة الأمريكية المرفهة ولنمط فردي شديد الخصوصية[1]، ومن هنا تجلى صدق "جيل نوبل" المسؤول بشبكة تليفزيون ABC الأمريكية حين قال: " إن الولايات المتحدة لها القدرة على خلق قوة ثقافية ضاربة يمكنها التغلغل في المجتمعات الضعيفة تكنولوجيا "[2].

---

1 - علي محمد حوّات: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي،م.س.ذ ص 98.

2 - عبد الله بوجلال وآخرون: القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري، م.س.ذ ص 46.

فكان الأوروبيون أول من أطلق إشارات التحذير من هيمنة الثقافة الأمريكية على غيرها من الثقافات، منها أخطار التهميش التي تتعرض له الثقافات الأوروبية من خلال الصور والرسائل الثقافية الأمريكية الرامية إلى توحيدها وهدم مقومات هويتها[1].

وفي هذا الصدد نشرت مجلة لوبوان Le point)) الفرنسية في عددها الصادر في 1985/07/23 مقالا أشارت فيه إلى أن أحد الفلاسفة الأمريكان " إمرسون" تساءل سنة 1860 عما إذا كان بالإمكان تخليص عقول الأمريكيين من العدوى الأوروبية! ، وقالت المجلة: " والآن وبعد مضي أكثر من مائة وعشرين (120) سنة ها هي العدوى الأمريكية تغزو العقول الأوروبية "[2].

وهكذا وربما لأول مرة ومنذ عصر النهضة تشعر البلدان الأوروبية بأن هويتها الثقافية وحتى القومية في خطر، وأن ما نادت به البلدان النامية منذ سنوات بات مصدر شكوى حتى من قبل البلاد الاستعمارية سابقا، ويشير ضمن هذا السياق P. Bérard إلى أن :" أوروبا وفرنسا اللتان كانتا مراكز المذابح الإثنية الاستعمارية، هما نفسهما ضحية لعدوان جديد يحمل صفة "التذبيح الإثني" "، وهذا الغزو يختصره هذا الأخير في كلمة الأمركة أو L'américanisation[3].

أما جاك تيبو J. Thibau فيقول في كتابه " فرنسا المستعمرَة La France colonisée ": " إن هذا البلد "فرنسا" هو الآن قيد الاستعمار لأن أسلوب الحياة الأمريكية (American way of life) بلغ إلى أعماق المجتمع

---

1 - راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 81.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**،م.س.ذ ص 99.

3 - عبد الله بوجلال وآخرون: **القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري**، م.س.ذ ص 104-105.

الفرنسي، وبالذات إلى عقليته، أحاسيسه وأفكاره ليصبح المواطن الفرنسي عاشقا ومقلدا لنموذج الحياة الأمريكية "[1].

وكان كارلو ريبار دي مينا Carlo Riba De Mina (الكومسير الأوروبي في الثقافة، أي وزير الثقافة في مجموعة السوق الأوروبية المشتركة) قبله وفي عام 1988 قد أصدر بيانا حول الفضاء السمعي البصري الأوروبي أثار فيه الانتباه بعبارات صريحة وصارمة إلى " خطر التهميش الذي تعاني منه وتتعرض له الثقافات الأوروبية في عالم توحده ثقافيا الصور والرسائل الأمريكية التي تذاع وتنشر عبر الوسائل السمعية البصرية المتطورة "[2].

من جهته فإن ميشال جوبير (J. Michel) يدق ناقوس الخطر مؤكدا أن أوروبا إذا استمرت في عجزها الحالي عن تحديد هويتها بنفسها فإنها في المستقبل القريب لن تكون سوى ملحقة أمريكية طالما أن الصناعات السمعية البصرية الأمريكية من إنتاج تليفزيوني ولعب ومسلسلات وفيديو وسينما تحتل المركز الأول من صادراتها وتشكل المصدر الأول لمداخيلها من العملة الصعبة*[3]، وهكذا وكما يبدو فقد تحققت مقولة وزير الثقافة البرازيلي بأنه: " أصبحت لدينا مجتمعات كاملة تعتمد على استهلاك الثقافة، ومجتمعات أخرى تعتمد على إنتاجها [4]".

---

1 - نصير بوعلي: **العولمة : الأبعاد والانعكاسات الثقافية**، التحديات المعاصرة: العولمة الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص 145.

2- محمد عابد الجابري: **المسألة الثقافية**، م.س.ذ ص 177.

* فمثلا تشكل اسبانيا سوقا مهما لترويج الأفلام الأمريكية، فقد وردت إحصاءات مثيرة حول سيطرة السينما الأمريكية على السوق الاسبانية التي عرضت خلال الأشهر الأولى لسنة 1981 (2608) فيلما أجنبيا أكثر من 75 % منها أمريكية، وجنت من بيع تذاكر الأفلام الأجنبية (11.789.981.201) بزيطا (عملة اسبانيا)، منها مبلغ (9.200.025.139) بزيطا من مجموع حصيلة عرض الأفلام الأمريكية.

3 - نصير بوعلي: **العولمة : الأبعاد والانعكاسات الثقافية**، التحديات المعاصرة: العولمة الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص 145.

4 - نفس المرجع السابق ص 143.

تبلورت فيما بعد هذه العبارة في شكل تخوّف من الصناعة الثقافية الأمريكية التي بدأت تهدد قيم "العالمية" الأوروبية وتقاليد ثقافتها، حيث ثارت ضد خطورة هذه الهيمنة الثقافية مثلما وضح ذلك فرانك والدو F. Waldo الذي رأى بأن استخدام الأوروبيين للفظ الأمركة كان موجها للدلالة على المؤشرات المتعلقة بشريعة الغاب الأمريكية المتميزة على وجه الخصوص بحب السيطرة، الإرادة الشخصية، التصنيع، الاحتكارات، دين الملكية، المادية...والتي تمثل في مجملها الخطر المحدق من الخارج بالعقل الأوروبي، فالأمركة حسب هؤلاء لا تتعدى كونها المرض القادم من أمريكا[1].

وازدادت المخاوف الأوروبية من الأمركة الثقافية والإعلامية بعدما بدأت الولايات المتحدة استخدام مصطلح " نشاط السيل الإعلامي الحر "، حيث طالب منظّروا الصحافة الأمريكية والعاملون بها بإزالة كل العقبات التي أقامتها الفئات الحاكمة في أوروبا الغربية أمام هذا السيل الدعائي، وقد صدرت كتب ومقالات تنتقد مالكي وكالات الأنباء والصحافة الأوروبية، أهمها كتاب " فلتسقط الحواجز "ل "كنت كوبر " مدير وكالة أسوشيتد برس Associated Press الذي طالب فيه بحرية العمل للمؤسسات الإعلامية الأمريكية[2].

ثم بعده جاء خطاب مدير وكالات المعلومات الأمريكية الذي قال فيه: " لا يمكن أن تنهض إستراتيجيتنا على نظام وسائل الاتصال الراهن والسبق المباشر عبر التوابع الصناعية سيكون ممكنا، وستوجد مع ذلك شبكات إلكترونية عالمية يعمل بعضها بالفعل وسوف يطرح وجودها مشكلات واقعية بصدد تدفق المعلومات عن طريق دوائر كهربائية بالغة السرعة تخترق الحدود الوطنية دون رقابة، وأن التوسع العالمي في نقل البريد إلكترونيا وشبكات المعلومات سوف تؤثر تأثيرا هائلا في السنوات المقبلة على الثقافات بدرجة أكبر من تأثير أي نظام للبث المباشر، إن ما

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 84.

2 - علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**،م.س.ذ ص 102.

يتعين على إستراتيجيتنا الأمريكية هو أن تضع في اعتبارها كل هذا "[1]، وهذا ما تبين جليا من خلال سيطرة الإعلام الأمريكي بعد الإنجاز التقني والإعلامي الذي فاجأت به العالم محطة التليفزيون الإخبارية CNN أثناء حرب الخليج الثانية باحتكارها مختلف المعلومات المتعلقة بالحرب*، وشعرت أوروبا بخيبة أمل وإحباط بعد أن تبيّن لها أنها أصبحت تابعة للولايات المتحدة ليس فقط سياسيا وعسكريا بل وإعلاميا أيضا[2].

وهكذا حدث في أوروبا نوع من الاستنفار الوطني عندما وجدت وسائل الإعلام الأوروبية نفسها تابعة ومتلقية للمعلومات من محطة CNN وغيرها... فسعت انجلترا إلى توسيع قناة SKY CHANNEL، وهي قناة إخبارية بالكامل تسعى في تغطيتها لتشمل قارة أوروبا بأكملها، كما أنشئت قناة BBCالانجليزية شبكة عالمية جديدة تحت مسمى الخدمة العالمية.

وفي فرنسا ارتفعت الأصوات منددة بالسيطرة الإعلامية الأمريكية ودعت إلى إنشاء محطة فرنسية لمواجهةCNN، وكانت الاستجابة بتطوير محطة TV5 حيث أصبحت شبكة إعلامية فرنسية تبث إرسالها عبر الأقمار الصناعية.[3]

قال الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس C. Leviss- stauss ذات يوم: "إن هيمنة الثقافة تؤدي بالبشرية إلى الثقافة الأحادية Monoculture وستكون الحياة العادية كلها شمندرBetteraves لا يقدم فيها إلا هذا الطبق"[4].

1- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 102-103.

* فقد أصبحت تصدّر المعلومات لمعظم وسائل الإعلام العالمية وفي مقدمتها الأوروبية، التي اعتمدت وسائل إعلامها على الصور والأشرطة والمشاهد التي قدمتها المحطة الأمريكية CNN لمتابعة حرب الخليج الثانية.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 103.

3- نفس المرجع السابق ص 107.

4- إدريس بولكعيبات: **من عولمة الثقافة إلى ثقافة العولمة**، التحديات المعاصرة: العولمة الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص 107.

وبالتالي فإن أزمة العقل الأوروبي التي شكلت الهاجس الأساسي في أوساط المفكرين ساعدت في اتساع دائرة النقاش حول الأمركة، إذ اقترح بول فاليري P. Valéry في كتابه " حرية العقل La liberté de l'esprit " لمواجهة هذه المعضلة، تشكيل ما أسماه برأس المال من المواد الثقافية (كتب، لوحات...) باعتبار أن هذه المواد تشكل ثروة مدخرة (مثل قطعة من الذهب أو من الأرض الصالحة للزراعة) فيجب تفعيلها كي تصبح عبارة عن رأسمال ثقافي، وإيجاد من يهتم بها ويستعملها بطريقة واعية(1).

وخوفا من هذا المآل قامت الدول الأوروبية في إطار مواجهتها لمخاطر هذه السيطرة الأمريكية بصياغة نصوص قانونية مفادها التقليص من نسبة بث البرامج الأمريكية، وتخصيص مقابل ذلك أكبر حصة من البث للمنتجات الأوروبية، وقد أعطت مناقشات الجات (GATT) لسنة 1993 البعد العلمي لهذه المسألة الثقافية، على إثر تجسد الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والمجموعة الأوروبية على الواقع، وبصفة مباشرة- من خلال المعارضة الفرنسية المتبنية لشعار "الخصوصية الثقافية"- لجملة من القواعد الخاصة بالتبادل التجاري الحر في ميدان المنتجات السمعية البصرية المقترحة من قبل أمريكا، وقد تشكلت هذه المعارضة على أساس التقاليد الفرنسية القديمة المعمول بها لحماية السينما، بالإضافة إلى تخوّف السلطات الفرنسية من تراجع مكانة ثقافتها على المستوى الأوروبي والعالمي، كما استندت هذه المعارضة من جهة أخرى على خلفية تاريخية تتمثل في الاتفاق المبرم بين كل من الولايات المتحدة وكندا من اجل تحرير التجارة بين البلدين، إذ نص أحد بنود الاتفاق على احترام مبدأ الاستثناء الثقافي L'exemption culturelle

1-راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 84-85.

القاضي بحماية الهوية الثقافية الكندية (من منتجات سينمائية، تليفزيونية...) في إطار هذا التبادل التجاري الحر*[1].

وهنا يجدر التذكير بمقولة الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا متيران: " إن أمريكا عن طريق الجات (GATT) تريد أن تحقق ما فشلت في تحقيقه الشيوعية، وهو إيجاد اتفاقية واحدة "[2].

وبالتالي فقد دعت فرنسا إلى أن يتم استثناء المنتج الثقافي من اتفاقيات الجات التجارية والتي تفتح الأسواق للمنافسة في العالم... وقد أشار رئيس الوزراء الفرنسي السابق إدوارد بلادور أنه: " لا نعمل بالجات إذا لم تحترم المطالبة الفرنسية، فالتخلي عن الأرض للأمريكان يعني تركهم يغطسون بالإنتاج الذي يخرج من الماكينة الهوليودية الهائلة، وهذا يعني دفع السينما الفرنسية إلى الانهيار كالسينما الإيطالية التي التهمها التليفزيون، وبالتالي تعريض الإنتاج الذي لا يزال مزدهرا إلى الخطر"[3]، وفي نفس الباب يؤكد رئيس الوزراء السابق ليونيل جوسبان على مسألة الاستثناء الثقافي لذا نجد شعاره الذي أطلقه في هذا الشأن: " نعم لحرية السوق، لا لثقافة السوق "[4].

وبالموازاة ترى فرنسا أن انتشار اللغة الانجليزية يشكل تهديدا لمصالحها، لذا نجدها ترفض أن تصبح هذه اللغة لغة أوروبا الموحدة كونها ستؤدي إلى إفقاد اللغة الفرنسية منزلتها العالمية لتصبح لغة جهوية أولا، ثم ستؤدي ثانيا إلى تقليص

---

* بالرغم من الاعتراف بمبدأ الخصوصية الثقافية سنة 1993 إلا أن الانتصار الفرنسي لم يدم طويلا أمام المنظمة الدولية للتجارة (OMC) التي خلفت الجات، وأمام الثورة التقنية الرقمية التي ضاعفت من إمكانيات إعادة بث الأقمار الصناعية عبر مختلف المناطق.

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 82.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 107.

3- باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، م.س.ذ ص 48-49.

4- نفس المرجع السابق ص 49.

التنوع الأوروبي وبالتالي إلى عملية إفقار للثقافة في أوروبا من خلال إحداث قطيعة مع الفضاء الخارجي للفرانكفونية ليفضي ثالثا إلى عملية أمركة أوروبا، وفي هذا الصدد أشار الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران مخاطبا ممثلي الدول الفرانكفونية بقوله : " سنصبح فقراء جدا وغير قادرين عن الدفاع عن أنفسنا لو أنكم لن تقفوا إلى جانبنا، من الذي يمكنه أن يتعامى عن التهديد الذي يواجه العالم، الذي تغزوه بالتدريج ثقافة واحدة، ثقافة أنجلو- سكسونية تتحرك تحت غطاء الليبرالية الاقتصادية "[1].

ولم يكن وزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ أقل حدة في مواجهة الهيمنة الثقافية الأمريكية، حيث شن هذا الأخير هجوما عليها من خلال مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في المكسيك عام 1982 بقوله: "...لقد علّمتنا أمريكا قدرا كبيرا من الحرية، ودعت الشعوب إلى الثورة على الطغيان، لكنها لا تملك اليوم منهجا أخلاقيا سوى الربح، فضلا على أنها تحاول أن تفرض ثقافة واحدة شاملة على العالم أجمع "[2]، حيث استخدم عبارة الإمبريالية الثقافية L'impérialisme culturelle مشيرا بها إلى تغلغل قيم الثقافة الأمريكية وتراجع الثقافة الفرنسية أمامها، وذلك باعتمادها على هذه الأخيرة (أي الثقافة الأمريكية) في إنتاج المعارف والقيم التي تحتاجها[3]*.

الأمر الذي دفع أحد وزراء الثقافة الأوروبيين إلى المناداة والمطالبة ب " حرب مقدسة" ضد هذه الإمبريالية الفكرية التي تغزو العقول، وتمتلك أنماط التفكير وأساليب الحياة، وهو ما يؤكد تمسك الدول الأوروبية بضرورة الإبقاء على تراثها، ثقافتها ومنتجاتها الثقافية داخل أسواقها وبعيدا عن السيطرة الأمريكية العولمية.

1- نفس المرجع السابق ص 49.

2- باسم علي خريسان: **العولمة والتحدي الثقافي**، م.س.ذ ص 50.

3- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 82.

* كإجراء وقائي فرضت فرنسا على القنوات الفرنسية عام 1997 أن أغلبية البرامج (60%) من التي تبثها تكون من أصل أوروبي، وذلك لمواجهة الهيمنة الثقافية الأمريكية.

ملخص الفصل الأول:

في هذا الفصل تطرقنا كما رأينا وفي ثلاثة مباحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة التغريب من خلال إدراج رؤية نظرية حول هذه الظاهرة، والبداية كانت من إعطاء مختلف التعريفات التي قدمها الباحثون لهذا المفهوم سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، لنعرّج بعدها إلى أوجه التغريب والتي حصرناها في ميادين: السياسة، الاقتصاد، المجتمع، الثقافة، الدين واللغة، أما أهدافه فقد تنوعت كما رأينا طبقا لإستراتيجية مخططة تسعى إلى تغيير المجتمعات المستهدفة ثقافيا، اجتماعيا وفكريا حسب النموذج الغربي.

أما المبحث الثاني فقد عالجنا فيه من خلال أول مطالبه آليات التغريب المختلفة حيث ميزنا فيها بين الغزو الثقافي والاختراق الثقافي، بعدها انتقلنا إلى نظريات التغريب المعاصرة وقد ركّزنا على نظريتين عالميتين مشهورتين هما نظرية صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام الدولي الجديد لصمويل هنتغتون، ونظرية نهاية التاريخ وخاتم البشر لفرانسيس فوكوياما، والمبحث الثالث فقد تناولنا فيه إشكالية التغريب ولكن مرتدية الزي الراهن وهو الزي الأمريكي موضحين أبعاد السيطرة الأمريكية ومميزات الثقافة الأمريكية، وسعي هذه الثقافة الدائم لفرض النموذج الأمريكي.

ثم عرضنا في المبحث الثالث مختلف المواقف العربية والإسلامية (بين المؤيد، الرافض والمحايد) تجاه هذا التغريب الأمريكي وأيضا المخاوف الأوروبية المتزايدة من جراء زحف نمط الحياة الأمريكي وشيوع الثقافة الأمريكية أكثر فأكثر.

الفصل الثاني

التغريب من خلال وسائل الإعلام

في هذا الفصل سنتناول مفاهيم ثقافية تصب في نفس معنى(العولمة الثقافية، الصناعة الثقافية و الثقافة الجماهيرية)، ثم نتطرق إلى وسائل الإعلام ومكانتها في حياتنا اليومية، تأثيراتها المختلفة، بعدها نتناول نظرية الغرس الثقافي كمقاربة نظرية لدراستنا بالشرح والتفصيل، ثم نعرّج إلى علاقة وسائل الإعلام بمختلف أنواعها السمعية والبصرية، المكتوبة والالكترونية بالترويج والمساهمة في نشر التغريب الثقافي وسط أفراد المجتمع.

المبحث الأول

مفاهيم لها علاقة بالتغريب

يتناول هذا المبحث ثلاثة مفاهيم أساسية تعتبر بمثابة الوجه الآخر للتغريب الثقافي هي: العولمة الثقافية، الصناعة الثقافية و الثقافة الجماهيرية، حيث سنحاول توضيح هذه العلاقة وتأثيراتها الاجتماعية، الثقافية والقيمية.

المطلب 01: العولمة الثقافية

تعتبر فكرة الثقافة أحد الأوجه الرئيسية لظاهرة العولمة بمعناها الكلي، وتعني حسب حسين علوان خلق صياغة مكوّن ثقافي عالمي وتقديمه كنموذج ثقافي، وتعميم قيمه ومعاييره على العالم أجمع[1]، بالإضافة إلى الإشارة -من خلال هذا البعد من العولمة- إلى الثقافة كسلعة عالمية تسوّق كأي سلعة تجارية أخرى، ومن ثم بروز وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ووسائل ثقافية عالمي الطابع[2].

1- حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، العولمة والهوية، م.س.ذ ص 116.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 51.

ولأن الولايات المتحدة الأمريكية انفردت كقطب مهيمن في السياسة الدولية في ظل الوضع الدولي الجديد الذي خلف انهيار الاتحاد السوفيتي، فإن العولمة الثقافية اليوم ما هي إلا هيمنة الثقافة والقيم الأمريكية، وبتعبير آخر ما هي إلا نشر القيم والمبادئ الأمريكية وفرضها كنموذج كوني[1].

يقول محمد بن مريسي الحارثي : " الثقافة الكونية التي تدعو لها العولمة لن تسمح لأي ثقافة محلية أن يكون لها دور ملموس في صياغة الثقافة الكونية ما لم تتنازل (الثقافة) المحلية عن بعض منجزاتها ومرجعياتها التي تنتمي إليها، وتتبنى مقابل ذلك قيما جديدة وهذه الحساسية الثقافية التي تنشأ بين الثقافة المحلية والثقافة الكونية ستتحوّل إلى صراع حضارات، وليس إلى تقارض أو تقارب بين الثقافات "[2].

ويشاركه في هذه الفكرة فارنيJean Paul Warnier الذي يرى أن: " العولمة الثقافية تتعلق بعملية انصهار ثقافي واسعة تسيطر عليها الصناعات الخاصة للثلاثي الغني والمهيمن الأمريكي- الأوروبي- الآسيوي تحت تشجيعات حكوماتها"[3].

وهكذا فإن العولمة الثقافية أضحت خطرا فاعلا على خصوصية ثقافات المجتمعات المتخلفة وتهدد ذاتياتها بما تطرحه من أشكال ثقافية غربية، وبما تتسم به من سطحية، هشاشة، خداع، تلاعب بالعقول، نشر للأوهام، توليد للإحساس بالخواء و الإستيلاب، مع عدم إمكانية نقدها أو تفحصها أو إخضاعها للتحليل والتدقيق[4].

1- حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، العولمة والهوية، م.س.ذ ص 116.

2- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 2004 ص 17.

3 – راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 64.

4- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**، م.س.ذ ص 50.

يقول عبد الله بلقزيز عنها –عن العولمة الثقافية- أنها ثقافة تشبه سائر مواد الاستهلاك، معلبات تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستعمال، وشركات إعلامية تتنافس لتقديم سلعها إلى المستهلك في إخراج مثير يضعه تحت وطأة إغراء لا يقاوم، فلا وقت للتفكير والتمحيص والتردد النقدي وسائر ما يمكن أن يحمي الوعي من السقوط في إغراء الخداع[1].

في هذا الصدد حدد عبد الباسط سلمان خمس نقاط تحدد مضمون ثقافة العولمة، والتي تمثل في ذات الوقت نقاط التهديد للثقافات المحلية لبقية شعوب العالم، وهذه النقاط هي:

1- أنها ثقافة تمجد الاستهلاك، هدفها الرئيسي خلق أسواق جديدة وإطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان لها.

2- أنها ثقافة تمهد للعنف، بأن تبشّر بنشر أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب حياة وكظاهرة عادية وطبيعية.

3- أنها ثقافة تمجد الأنانية والفردية.

4- أنها ثقافة مادية بحتة، لا مجال فيها للروحانيات أو العواطف ولا مساحة فيها للمشاعر الإنسانية ولا للعلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بالآخرين، بل إنها ثقافة تمجد الربح وتسحق المنافسين، إنها ثقافة تشكل عالما يجعل من الشح والبخل فضيلة.

5- أنها ثقافة تستهين بكثير من القيم الاجتماعية، إنها لا تقيم وزنا لهوية أو انتماء ولا تهتم بحقوق المواطنة ولا بفرص العمل ولا باعتبارات البيئة، وأحيانا تعد هذه المفاهيم عقبات يجب إزاحتها[2].

1- حكيمة بوبعيو: **واقع العولمة وأبعادها : دراسة في المتغيرات**، منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة، العدد الثالث، الجزائر، 2007 ص 209.

2- عبد الباسط سلمان: **عولمة القنوات الفضائية**، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، مصر، 2005 ص 33.

وهذا ما جاء في تقرير لمنتدى الشباب الذي عقد برعاية المؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الثقافية من أجل التنمية: "...إن العولمة أسفرت عن عولمة الواقع المحلي، ولكنها تنطوي على تهديد بالتنميط والتوحيد لمجتمع ذي نزعة استهلاكية صريحة يتعذر استمراره، وتهدد التنظيم الاجتماعي وطريقة حياة شعوب كثيرة، وتخلق اغترابا واستعبادا "[1].

كثير من الباحثين والمفكرين ما يربطون العولمة الثقافية بمجال آخر من العولمة هي العولمة الإعلامية باعتبارهما يصبان في نفس المنحى، فمثلا يرى هربرت تشيللر :

" إن عولمة الإعلام هي تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية(عابرة للجنسيات) التي تستخدم وسائل الإعلام كحافز للاستهلاك على النطاق العالمي "، ويؤكد تشيللر أن :" أسلوب الإعلان الغربي، ومضمون الإعلام يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات الوطنية أو القومية"[2].

من جهة أخرى يرى حسين علوان أن: " العولمة الثقافية المتمثلة في نشر وإشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي، وجعله نموذجا كونيا يتوجب تبنيه وتقليده، قد استفادت من التطور الهائل والسريع في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى "[3].

1- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 18.

2- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 53.

3- حسين علوان حسين: **العولمة والثقافة العربية**، العولمة والهوية، م.س.ذ ص 116.

حيث أن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية American popular culture من انتشار وسيطرة على أذواق الناس في العالم، فالموسيقى الأمريكية والسينما والتليفزيون من مايكل جاكسون إلى رامبو إلى دالاس أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط أو الأسلوب الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع، وبالأخص بين الشباب إضافة إلى ذلك أخذت اللغة الانجليزية وخصوصا اللهجة الأمريكية تصير لغة أمريكية، والفضل في كل هذا يعود إلى الإعلام الأمريكي الفعال[1].

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم العولمة الثقافية يقترن بما أفرزته الثورة التكنولوجية التي كانت وراء ظهور بوادر عولمة الثقافة من خلال تسهيل اتصال الثقافات المتنوعة وتحرير تبادل المعلومات، الأفكار، القيم والمعارف ككل بين المجتمعات من خلال المكتسبات التقنية والمعلوماتية المتمثلة في الشبكات العالمية للاتصال كالإنترنيت، الطرق السريعة للمعلومات، البث الفضائي المتعدد الجهات - Les chaînes pan satellitaires ، المجموعات الاتصالية المتعددة الوسائط وغيرها، الأمر الذي ساعد على تأسيس هذا المفهوم واقعيا وتبلوره معرفيا[2]. وبالتالي فالعولمة الثقافية ما هي إلا نوع من الاختراق الثقافي العنيف والمسلح بتكنولوجيا متطورة للاتصال يستهدف إنكار وإقصاء ثقافة الغير[3].

وفي الأخير يقول جلال أمين أن: " العولمة الثقافية تؤدي إلى تغيير " سلة السلع" المتاحة للاستهلاك...وتؤدي أيضا إلى تغيير أذواق المستهلكين، وباعتبار الذوق أحد المكونات الأساسية لثقافة مجتمع ما أو بالأحرى، فإن استخدام هذا اللفظ

1- Jean Pierre Warnier: **La mondialisation de la culture**, édition la découverte, Paris, 1999 p05.

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 64.

3- حكيمة بوبعيو: **واقع العولمة وأبعادها : دراسة في المتغيرات**، م.س.ذ ص 210.

"الذوق" يشير إلى المجتمع وليس لفرد أو مجموعة من الأفراد، كما أن الذوق يصبح مجرد اسم آخر لثقافة المجتمع "[1].

كما قدم الباحث السابق شرحا لهذا التغيير أو التأثير على العناصر المكونة للثقافة الوطنية من خلال أربع نقاط نلخصها فيما يلي:

- ❖ **أولا:** إن اتصال ثقافة بأخرى هو ظاهرة قديمة ترجع إلى بداية التاريخ الإنساني، وبالرغم من أن اقتباس ثقافة من أخرى كان دائما جوهر التقدم الإنساني، فإن اقتران هذا الاقتباس وهذا التأثر بالقهر والإجبار يسبب بالضرورة بعض الانخفاض في مستوى الرفاهية الإنسانية، فيصرف النظر عن القيمة الذاتية لأي عنصر من عناصر ثقافة ما، كما تسبب خسارة في التخلي عن بعض مكونات أي ثقافة خاصة وأن هذا لا يحدث عن طوع بل يحدث من خلال القهر الثقافي.
- ❖ **ثانيا:** ليس كل مكونات الثقافة الوطنية جديرة بالصيانة والبقاء، وليس كل تخل عنها غير مرغوب فيه، فمن المؤكد أن هنالك جوانب في الثقافة تعطّل بدل أن تنمّي القدرة على الاستمتاع بالحياة.
- ❖ **ثالثا:** بالرغم من أن المجتمع بأسره تقريبا قد يكون معرضا لتأثير الثقافات وأنماط الاستهلاك الأجنبية، فليس لدى كل شرائح المجتمع الرغبة والقدرة على الاستجابة لإغرائها، خاصة مع عدم توفر القدرة الشرائية الكافية لديها، فضلا عن تمسكها بتقاليدها.
- ❖ **رابعا:** من الصعب إنكار بأن العولمة الثقافية هي في الأساس عولمة الثقافة بعينها، فالناس في كل مكان تقريبا من الكرة الأرضية يخضعون الآن لمؤثرات تعمل على تغيير أذواقهم وقيمهم وأنماط سلوكهم في اتجاه الأذواق والقيم وأنماط السلوك الغربية، وعلى هذا فالعولمة الثقافية هي في الأساس عملية " تغريب"[2].

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 62.

2- السابق، ص 62-63.

هذه العملية أي " التغريب " تحمل من المضامين العديدة والتي يمكن أن تتمظهر بمظاهر مختلفة تم الكشف عنها من خلال تجاوز الحدود والخصوصيات وتهميش الثقافات الأخرى والهويات واستخدام السلوك الجديد أو الثقافة الجديدة، وقد قام عبد الباسط سلمان بتحديد هذه المظاهر في:

- تقليص دور الحكومات وتهميشه.
- تهميش دور الثقافات الأخرى أمام ثقافة العولمة (الأمركة).
- تغليب القيم المادية على الإنسانية.
- تأكيد المواطنة العالمية.
- الترويج للعنف والجريمة.
- تمجيد طريقة العيش الغربية.
- التركيز على القطبية الأمريكية.
- طمس هويات الشعوب.
- ترويج المنتجات الأمريكية.
- تأكيد الانبهار بالغرب.
- ترويج القيم الغربية بوصفها النموذج العالمي (قيم عالمية).
- إشاعة النمط الغربي في الاستهلاك على مستوى العالم.
- التوسع في الاستخدامات التكنولوجية.
- تأكيد هيمنة أصحاب رؤوس الأموال.
- إضعاف القيم السماوية.
- تمجيد الفردية والأنانية.
- التلويح بتخلف الأنظمة الحكومية في العالم.
- تمجيد الشخصيات الأمريكية.
- تأكيد الغرائز البشرية وإشاعتها.
- ترويج القوة الأمريكية المتفوقة وإشاعتها[1].

1- عبد الباسط سلمان: **عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ ص 42-43.

وطبعا ثقافة العولمة ليست الثقافة المكتوبة أو قل أن الكتابة ليست من أدواتها الوظيفية ووسائط انتشارها ، فالثابت -بالرصد والمعاينة- أن العولمة الثقافية تجري وتتوسع في مناخ من التراجع الحاد للثقافة المكتوبة على صعيد الإنتاج والتداول، لا ينتمي هذا التجافي إلى المصادفة التاريخية، بل هو يعبر عن طبيعة العولمة الثقافية ومنطق استغلالها، ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، الثقافة التي يؤرخ ميلادها لاختصار الثقافة المكتوبة، وليست ثقافة ما بعد المكتوب تلك سوى ثقافة الصورة[1].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن العولمة الثقافية تمثل احد أبعاد العولمة الاقتصادية في تضافرها مع الثورة التكنولوجية، فهي مفهوم ديناميكي لوصف محاولة تعميم النمط الثقافي الأمريكي بواسطة مجموعة من الرموز والأساطير، لتسويق منتجات الصناعة الثقافية للشركات الكبرى للاتصال والإعلام، وهو ما يمثل أحد الأبعاد الأساسية لظاهرة التغريب.

المطلب 02: الصناعة الثقافية

استعمل هذا المفهوم لأول مرة من قبل علمين من أعلام مدرسة فرانكفورت سنة 1947 هما تيودور أدورنو Theodor Adorno وماكس هوركهيمر Max Horkheimer وهو يشير إلى : " الأنشطة الصناعية التي تنتج وتسوّق الخطابات، الأصوات، الصور، الفنون وكل القدرات الأخرى والعادات التي يكسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، والتي تمتلك وبدرجات مختلفة خصائص الثقافة "[2]، أو هي كما أشار إليها الباحثان السابقان :" مصطلح يضم مجموع الأنشطة والتقنيات التي تعيد إنتاج الأعمال الثقافية طبقا لمعايير إخضاع للمنطق (rationalisation) والنمطية "[3].

1- Jean Paul Warnier: **La mondialisation de la culture**, opcit p03.

2- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص 80-81.

3- Hélène Bourdeloie : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse**, http://composite.org/v1/2001.1/articles/bourde.html. 30/01/2008.

وتعتبر صناعة الثقافة من المشكلات التي أسسها المجتمع التكنولوجي المتقدم، ولا يستند الفكر النقدي في طرحه لهذه القضية على الطرح الماركسي، هذا الطرح الذي يذهب إلى القول بأن الأفكار المسيطرة على كل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة، بل بدلا من ذلك فقد نظر إلى التكنولوجيا والوعي التكنولوجي باعتبارهما قد أنتجا ظاهرة جديدة اتخذت شكل ثقافة الجملة الموحدة والتي لا جذور لها، وهذا يعني أن المجتمع التكنولوجي قد نجح في تعميق عملية خضوع الفرد للنظام الاجتماعي ليس من خلال البيروقراطية والسلطة، وإنما من خلال القيم والثقافة والتنشئة كذلك[1].

لكن قبل التطرق إلى ما أحدثته الثورة الصناعية في المجال الثقافي، تجدر الإشارة إلى البدايات الأولى للصناعة الثقافية التي تمت حسب أرمون ماتلار A. Mattelard عقب تشكل المجموعات الصحفية التي كانت بدورها وراء ظهور الأنواع الصحفية الأولى للمنتجات الثقافية الجماهيرية[2]، فكما يقول الجابري أن من أهم خصوصيات هذا القرن ظهور بنية جديدة تسمى بالصناعات الثقافية فرضت أنماطاً جديدة للتعبير الثقافي تتجاوز في غالب الأحيان بنية السياسات الثقافية المحلية والوطنية، فبعد الحرب العالمية الثانية وبصفة تدريجية –يضيف- تبيّن لرجال السياسة والاقتصاد أن هذه الصناعات الثقافية تمحورت اتجاهاتها حول تصنيع وتقنين وتسويق وسائل الاتصال، فأصبحت المعادلة حتمية حيث تنطلق القاعدة من الصناعات الثقافية إلى تصنيع وسائل الاتصال، وأخيرا إلى المحتوى الثقافي لهذه الوسائل[3]، فحسب هوركهيمر و أدورنو فإن الوسائل الجديدة للإنتاج والاتصال الثقافي المتمثلة في الإذاعة، السينما، التليفزيون لا تقدم إلا السلع المنمطة التي تدخل

1- زولتان تار: **النظرية الاجتماعية ونقد المجتمع (الآراء الفلسفية والاجتماعية للمدرسة النقدية)**، ترجمة وتعليق: علي ليلة، المكتبة المصرية، مصر، 2004 ص 19.

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 68.

3- كمال راشدي: **عولمة الثقافة وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 104.

المستهلكين في متاهة الاغتراب، وتسقط الأعمال الثقافية في شرك السوقية La vulgarité والتسليع[1].

فبعد تطوير الصناعة الثقافية الفوتوغرافية والسينماتوغرافية، سيما بعد عرض الإخوة Lumières لأول فيلم سنة 1895 باشرت الشركات الأوروبية والأمريكية الاستثمار في هذا المجال، هذا الاستثمار سجّل سرعة هائلة في الوصول إلى بلدان أمريكا اللاتينية، آسيا وأوروبا، كما تم التصوير في العديد من البلدان منها: مصر، البرازيل، الصين والهند، كما كان للحرب العالمية الأولى الدور البارز في نشر الأفلام الأمريكية خارج جذور الوطنية، إلى جانب الشركات الكبرى للصناعة السينمائية مثل هوليود Hollywood التي كانت تسيطر سنة1919 على 90% من حجم الأفلام المبرمجة في قاعات العرض الأوروبية[2].

لم تتوقف الثورة التقنية عند حدود ظهور الاستوديوهات الكبرى للإنتاج السينمائي والتصنيع الثقافي، بل إن اختراع وتطوير الكمبيوتر، التسجيل الرقمي، الكابل، البث عن طريق الأقمار الصناعية والإنترنت أعطاها دفعا جديدا سهّل عملية نقل شتى أشكال المنتجات الثقافية ذات البعد الاستهلاكي، وساعد على ترويجها في كافة أنحاء العالم، وتشكلت بذلك المظاهر الأولى لعولمة تدفق المواد الصناعية من جهة و عولمة الثقافة عبر التدفق الحر للمنتجات الثقافية النمطية والسلع الإعلامية من جهة أخرى[3].

وهكذا فالصناعات الثقافية قطاعات واسعة جدا من المواد المتنوعة والوسائل المادية التي تستخدم في إنتاج الثقافة وفي نشرها من الصناعات العادية إلى الالكترونية، فهي إذن تشمل الورق، الحبر، مواد الطباعة، الأفلام الخام، مواد معالجتها، الأجهزة السمعية البصرية، أجهزة التصوير، الأجهزة الالكترونية،

---

1 - 1 Hélène Bourdeloie : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse,** opcit.

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 68-69.

3 – نفس المرجع السابق ص 69.

الأدوات الهندسية التعليمية، وسائل الإيضاح المدرسي لمختلف درجات ومراحل التدريس، المخابر التعليمية، الآلات الموسيقية، مواد الفنون التشكيلية والمسرحية، التجهيزات المدرسية المختلفة، هذا إلى جانب الأجهزة الفنية الكبرى من إذاعة وتليفزيون وأجهزة السينما وأجهزة الفيديو...والقائمة طويلة ومتنوعة[1].

ولأن المبدأ الذي تقوم عليه أنشطة الصناعة الثقافية هو مبدأ الترويج التجاري، فإن ما تنقله من منتجات ثقافية سوف يؤثر بالضرورة، حيث أن هذه الصناعة الثقافية أضحت تلعب دورا رئيسيا في تشكيل عقلية ومستهلكيها وتمارس تأثيرا ملحوظا ومتزايدا على تنظيم الاتجاهات النفسية[2]، ففي كل يوم يتم ابتكار واختراع أشياء جديدة تجعل الحياة أكثر سهولة ورفاهية، هذا النمط الجديد في الحياة يصنع ثقافة جديدة وحسب قول لينين " لكل نمط من المعيشة نمط من التفكير "[3].

وقد سبق لأدورنو وأن اكتشف - في معرض تحليله النقدي لطبيعة مكانة الفن في المجتمعات التي بلغت مرحلة متقدمة من الاستهلاك- حقيقة " الثقافة المصنعة " بحكم كون النشاط الثقافي المعاصر هو نتاج المجتمع الصناعي والتقني المتقدم الذي تغدو الثقافة فيه ثقافة آلية مستوعبة تمثل الواقع الصناعي المغترب، وفكرة التخدير الفاقد لمحتوياته الجذرية بسبب تمثله داخل ثقافة جماهيرية استهلاكية عامة ترضي حاجة جماعية[4]، إذا فالصناعات الثقافية هي كل الأجهزة المادية والطاقات البشرية التي تجسم الآثار الفنية في صورتها المحسومة

1- كمال راشدي: **عولمة الثقافة وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 105.

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 69.

3- هوشنك أوسي : **صناعة الثقافة وتحديات العولمة**،

http://www.syriakurds.com/2007/adab/adab5.html، 2008/02/23.

4- بركات محمد مراد: **العولمة وظاهرة الهيمنة**،

http://alwai.com/topics/view/article.php?sdd=97&issue=448، 2008/02/23.

فتنسخها أو تنشرها أو توزعها حسب مقاييس صناعية وتجارية لغاية تنمية وتطوير الثقافة[1].

وفي نفس السياق يرى بونتوازو Pierre .A. Pontoizeau بأن:" الثقافة أصبحت بفعل الموضة تشكل القاعدة الأساسية للاستهلاك في ظل النظام الاقتصادي الرأسمالي، وأن العمل الإعلامي في هذا النظام قد ساهم وأبدع في خلق سياق اجتماعي ونفسي يضمن الاستمرارية في الرغبات الجديدة عبر الموضات الجديدة التي يخلقها المحيط الثقافي المكون من الصور، الأبطال، طرق اللباس، الأذواق الغذائية..." ومن هنا تتضح المبادئ الأساسية التي تحكم الصناعة الثقافية القائمة على مبدأ التسليع وإخضاع المنتجات الثقافية للنهج التجاري المتبع في إنتاج أي مواد أو سلع ذات قيمة تبادلية[2].

بمعنى آخر سقوط الفعل الثقافي في حلقة التسليع والتصنيع مثله مثل أي منتج ذو قيمة تبادلية، وهذا من شأنه أن يحوّله إلى قيمة تجارية تقضي على قدرته النقدية، وعليه فالدور الوجودي للثقافة في أي مجتمع باعتبارها نظاما ضروريا لإنتاج المعاني والرموز والقيم المحددة لسلوك أفراده سوف يتراجع، بحيث تصبح هذه الأخيرة مجرد وسيلة لتعبئة الجماهير وحثهم على استهلاك مختلف السلع بعيدا عن بصمات التجربة الأصيلة الكامنة فيها[3]، فمصطلح الصناعات الثقافية بُني على الربط بين موضوعين يتناقضان بالضرورة ظاهريا: صناعة من ناحية وثقافة من ناحية أخرى، فالصناعة تشير إلى معنى الإنتاج الاستهلاكي النفعي كصناعة الاسمنت والمنسوجات، أما الثقافة تصرف الذهن إلى التذوق الشخصي والمتعة الفردية، هذه المزاوجة بين الثقافة والتقنية أو الذاتي والموضوعي هي نتيجة التحويلات البنيوية التي

1 - هوشنك أوسي : **صناعة الثقافة وتحديات العولمة**، م.س.ذ

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 70.

3- نفس المرجع السابق ص 92.

طرأت على هيكلة المجتمعات المعاصرة، حيث لم يعد بالإمكان الفصل بين التطوير والتكنولوجيا أو بين التنمية والتقنية[1].

هذه العملية التي كان قد نوّه إليها كل من أدورنو وهوركهيمر عندما وضعا مبادئ الصناعة الثقافية التي ترتكز عليها وهي:

1- الوصول بالمنتج الثقافي إلى كل أفراد المجتمع

2- إتباع رغباتهم وحاجاتهم بالمنتجات الثقافية التي تخضع إلى آليات التصنيع التجاري.

أي أن الإنتاج الثقافي لوسائل الإعلام (برامج تليفزيونية، سينمائية...) يتم وفق المخطط التنظيمي الذي يخضع له أي منتج صناعي، مما يؤدي إلى تحويل القيمة الفنية إلى قيمة استعمالية تبادلية تقوم على البصمات الأصلية للمنتجات الفنية وتحويلها إلى سلع استهلاكية أو مواد ثقافية منمطة Produits culturels standardisés.[2]

لذا يرى معظم الباحثين أن الصناعة التقليدية تمثل تهديدا معتبرا على الثقافات التقليدية بفضل ما تتمتع به من قدرة على الانتشار والاختراق، ولذلك أصبحت بعض الدول الغربية تعبر عن تخوفها من هذه الصناعة الثقافية خاصة منها الأمريكية[3].

فحسب إدغار مورين فإن طريقة معالجة وتكييف الأعمال الفنية من روايات وقصص تتم عن طريق البحث المتواصل عن عناصر جديدة لتجاوز النمطية standardisation التي تميز المنتجات السينمائية الأمريكية ومن بين هذه العناصر- حسب مورين- هو النجم La star وذلك بتركيز المنتج حوله مثلما هو الحال بالنسبة لفيلم التيتانيك 1997 TITANI للمخرج الأمريكي

1- هوشنك أوسي : **صناعة الثقافة وتحديات العولمة**، م.س.ذ

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 77-78.

3- Hélène Bourdeloie : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse,** opcit.

J. Cameron (جيمس كامرون) الذي حقق رواجا كبيرا بعد إعادة إخراجه بتوظيف نجوم جديدة تستجيب لمتطلبات الجمهور[1]، تسعى لترسيخ أبعاد ثقافتها لدى مستهلكيها، ونقصد هنا بأبعاد ثقافتها: كل ما تحمله من رموز ودلالات تشجع بدورها تكريس بعض السلوكيات الاجتماعية في البلدان التي تتعرض لها.

من جهته يذهب هربرت ماركيوز في كتابه " الإنسان ذو البعد الواحد " إلى الاعتقاد أن النظام الاجتماعي السائد في الدول الصناعية المتقدمة القائمة على التكنولوجيا الحديثة يسيطر على أفكار الناس، مشاعرهم، قيمهم وغرائزهم الجنسية لمصلحة حفنة من المالكين أو المسيطرين على هذا النظام، كما يعتقد ماركيوز أن الحاجات التي يلبيها هذا المجتمع المعاصر (مجتمع الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة) هي حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري، وهي خير وسيلة لخلق الإنسان ذي البعد الواحد الذي يستغني عن الحرية، وهكذا يكون الواقع التكنولوجي الراهن–حسبه- هو واقع استعباد الإنسان[2]، حيث عبّر عن هذه الفئة من خلال وصفهم بالدواب المسيّرين كالقطعان من قبل صاحب الشأن فتراهم لا حول ولا قوة إزاء أي ابتكار خاصة إذا تعلق الأمر بمجتمعات الدول النامية ذات النظرة الشمولية الواحدة[3]، فالاستبداد يترك الجسم حرا ويتجه مباشرة نحو الروح، يقول توكفيل Tocqueville :

" إن السيد لا يقول لك إما أن تفكروا مثلي أو تموتوا، وإنما يقول: أنتم أحرار بأن تفكروا مثلي فحياتكم، أشياءكم وممتلكاتكم تبقى عندكم، ولكن من اليوم فصاعدا أنتم غرباء في وسطنا[4] ".

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 70.

2- بركات محمد مراد: **العولمة وظاهرة الهيمنة**، م.س.ذ

3 -كامل عبد الحميد الفرس: **المقننون المقولبون**،

http://www.local.taleea.com/archive/column-details.php?aid=16&cid=4342&ISSUENO=1718، 2008/01/30.

4 -Olivier Dhilly : **La critique des industries culturelles par l'école de Frankfort**,

http://www.clemi.org/formation/conferences/ecoledeFrankfort.html، 2008/01/30

وبالتالي فإن هذا الإنسان ذي البعد الواحد والمجتمع ذي البعد الواحد يطرح ثقافة ذات بعد واحد، هذه الثقافات تنتج حاجات زائفة، وتشبّع تلك الحاجات الزائفة هي إفساد للحاجات الحقيقية، فالنظام الرأسمالي يولد شعورا بعدم الأمان الاقتصادي، ومن ثم هيئت الثقافة العامة لإنتاج شعور بديل هو في حقيقته شعور زائف بالأمان والاستقرار، وفي نفس الوقت فعال رغم زيفه ومن ثم فالثقافة في المجتمع الرأسمالي موجهة نحو هدف واحد، هو تخدير وعي الإنسان وإذابة الفرد في النسق العام وإحكام سيطرة النسق على شعور ووعي المجتمع[1].

ناهيك أنه -وحسب توكفيل- فإن" الوهم الكبير الذي تخلفه الثقافة المصنعة هو محاولة الإقناع بعالم متساو خال من الطبقات منسجم إلى أقصى درجة "، ولكن:

- حتى ولو أن العامل ورئيسه يشاهدان نفس البرنامج التليفزيوني.
- حتى ولو أن السكرتيرة ترتدي ملابس فخمة مثلها مثل ابنة مديرها.
- حتى و لو أن الشخص الأسود يملك سيارة كاديلاك (Cadillac)

لو يقرؤون كلهم نفس الجريدة، فإن هذا التشابه أو التماثل لا يعني تلاشي الفوارق الطبقية بينهم، وإنما على العكس إنه يشير إلى أي درجة تساهم الطبقات الدنيا في توفير الحاجيات والشروط اللازمة التي تضمن سيطرة الطبقات المسيّرة[2].

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أضخم مركز لاحتكار الصناعات الثقافية في العالم بهيمنتها على الإنتاج الثقافي والمعلومات، تساهم مؤسساتها الخاصة العملاقة في غالبيتها وطاقتها التصديرية في هذا المجال تسمح بالقول أنها ترغب في طبع العالم بطابعها، وفي خلق تبعية ثقافية جديدة تضاف إلى قوتها في تبعية العالم اقتصاديا وسياسيا لها، واستلاب الثقافات الوطنية بابتلاعها، وإذا عرفنا أن بعض الدول الكبرى تستخدم حتى بيع المواد الغذائية كأسلحة بعضها

1 - مصباح عامر: **علم الاجتماع: الرواد والنظريات**، دار الأمة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005 ص 173-174.

2- Olivier Dhilly : **La critique des industries culturelles par l'école de Frankfort,** opcit.

ضد بعض وضد الدول الصغرى، أدركنا خطورة ترك الصناعات الثقافية سلعة بأيديها وحدها للسيطرة والتحكم[1]، وينبه وزير الخارجية الكندي السابق " فولكنر " إلى أحد أبعاد الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية على العالم بقوله : " إذا كان الاحتكار أمرا سيئا في صناعة استهلاكية، فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار وإنما تثبيت الأفكار أيضا "[2].

وفي الأخير يمكن القول بأن عملية التصنيع الثقافي تؤدي إلى تضييق الخناق على الإبداع مقابل تصاعد وتيرة الإنتاج المعياري الذي يُخضع المضامين لنمط موحد من التصنيع يعتمد بالدرجة الأولى على الجماليات الشكلية والفنية وحتى التقنية، كما تضفي السطحية وضحالة المضمون على الرسالة من خلال معالجتها المفتعلة للواقع وإغفاله لجوانبه المهمة والمعقدة بالإضافة إلى تكريسها للترفيه والتماثل الاجتماعي، بمعنى إفقادها طابعها الفكري الأصيل مقابل اكتسابها طابعا صناعيا وهذا ما يميز نسبة كبيرة من المنتجات السينمائية الأمريكية.

المطلب 03: الثقافة الجماهيرية

في نفس السياق عكست أطروحة الثقافة الجماهيرية التي قدمتها مدرسة فرانكفورت انشغالها بالمسألة الثقافية، حتى وإن كان لهذا الانشغال بعدا آخرا يرتبط أشد الارتباط بالمضامين التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية، حيث ترى هذه المدرسة النقدية بأن البنية الفوقية في المجتمعات الشمولية تقوم بتوظيف الاتصال من أجل المحافظة على استقرار النظام الاجتماعي، ويتم ذلك بصفة أداتية محضة

1- كمال راشدي: **عولمة الثقافة وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 106.

2 - علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مصر، 2003 ص 38.

تبرر سيطرة هذه البنية على النظام عن طريق " الثقافة الجماهيرية La culture de masse" والتي نددت بها.[1]

إن طعن هذه المدرسة في الثقافة الجماهيرية التي ترى بأنها المسؤولة عن اغتراب البنية التحتية للمجتمع الأمريكي لم يأت من باب الحنين للثقافة النخبوية أو الثقافة التقليدية ولا حتى من باب احتقار الحشد ، بل هو نابع من رؤية نظرية تعتقد بأن هذه الثقافة لا تقرّب البنية التحتية من واقعها الاجتماعي كما لا تسمح لها بأي تغيير اجتماعي، وعلى هذا الأساس اعتبرتها ثقافة لا ديمقراطية وتقترح للتأكد من صحة هذا الطرح مقارنة الثقافة الجماهيرية بالنماذج الثقافية التي كانت سائدة قبل أن تظهر هذه الأخيرة* ، حتى يتبين بأنها تتضمن وعدا بالسعادة ذا بعدين متعارضين؛ الأول: في عملية الاعتراف بظروف الحياة الحقيقية، بينما يحاول الثاني تجاوز هذه الظروف بطريقة مثالية[2].

فحسب فيليب بروتون فالثقافة الجماهيرية هي مثل كائن سوسيولوجي: "هي جسم مركب من أبعاد ، رموز، أساطير، وصور تخترق الفرد في أعماقه، تنظم أفعاله وتوجّه مشاعره " ، هذه الثقافة تحوي على نظام خاص هو جزء من تركيبتها الخاضعة لمقاييس الإنتاج الصناعي والمبثة عبر وسئل الإعلام لصالح أعداد ضخمة وهائلة من الأفراد ، تأتي لتضاف على الثقافات الموجودة من قبل كالثقافة الإنسانية، الدينية أو القومية[3].

---

1 -راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 78.

* مثلما تقترح مقارنتها بالمنتجات الفنية النهائية(Les œuvres d'art accomplies) : مثل موسيقى شونبرغ La musique de Schonberg، أو شعر بولدير La poésie de Baudlaire ، أو روعات ستاندال Les Romans de Standhal .

2- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 77.

3- Philippe Breton et Serge Proulx: **L'explosion de la communication : la naissance d'une nouvelle idéologie**, édition la découverte, Paris, 1993 p 154.

ومن ثم فإن هذه الثقافة الجماهيرية التي تحمل قناعات الثقافة الصناعية تحاول عن طريق إشباع الجماهير بمواد إعلامية واتصالية وهمية أن تجعل هذه الأخيرة في حالة وعي مزيف دائم على حد تعبير ماركيوز فيما يتعلق بواقعها الاجتماعي، حيث تروّج عبر وسائل الاتصال الجماهيرية من أجل ترسيخ قيم امتثالية تنميطية واستهلاكية تجد سبيلها إلى المجتمعات المستقبلة لها على شكل أحزمة ثقافية مصنعة: أفلام، مسلسلات، أغاني، إشهار، رسوم متحركة و... مختلف السلع الترفيهية الأخرى[1]، فكما تقول دومينيك كليفا D. Kalifa: " الثقافة الجماهيرية هي ثقافة الصورة... "[2].

هذه الأحزمة الثقافية التي وصفها مدير إحدى المحطات التليفزيونية لمخرجه بالعبارة الآتية وبصراحة شديدة: " عملك هو إنتاج de la merde "، معللا بأن وسائل الإعلام تتجه إلى ملايين الأشخاص ذوي التعليم المحدود، كما أن مهمتها هي أن تمنح هذه الجماهير ما يريدون[3]، وهنا يحضرنا قول مدير إحدى الجرائد الفرنسية حين قال: "Quand ça cogne, ça passe partout "[4].

وبالتالي فالثقافة المبثة من قِبل وسائل الإعلام الجماهيرية تصبح سلعا استهلاكية كسائر المواد الاستهلاكية الأخرى، وصفها Edgar Morin بأنها " منتجة طبقا لمقاييس صناعية من الإنتاج الثقافي مستخدمة تقنيات بث مؤثرة، تتجه إلى جماهير اجتماعية بمعنى إلى حشود ضخمة من الأفراد[5]"، فالثقافة الجماهيرية

---

1 -عزي عبد الرحمن: **الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية: بعض الأبعاد الحضرية**، دار الأمة، الجزائر، 1995 ص 149.

2-http://fr.wikipedia.org/wiki/culture_de_ masse.2008/01/30

3 -Jean –Claude Bertrand : **Les medias aux états unis**, Que sais je?, Presses universitaires de France, Paris, 1987 p 108

5-Naom Chomsky et Robert Mc chesmey : **Propagande, médias et démocratie**, les éditions El hikma, Algérie, 2000 p 120.

5 -Hélène Bourdeloie : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse,** opcit.

كما وصفها أبو إصبع هي ثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير، كما أنها الرسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية وهي رسائل غير موجهة إلى طبقة موحدة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد[1].

وقد حدد العياضي خصائص الثقافة الجماهيرية فيما يلي:

* إن الخطاب عن الثقافة الجماهيرية خطاب مثقفين... المثقفين الذين يعيشون في الثقافة الجماهيرية ومنها وهنا تنبع علاقاتهم الفضولية بهذه الثقافة، يقصون أنفسهم من تأثيرها لكنهم يشكلون طرفا في النقاش الذي تثيره.
* يعاني الخطاب عن الثقافة الجماهيرية من عدم الثقة في موضوعه وفي مجال بحثه، فهي تشمل بصفة عامة: منتجات الراديو، التليفزيون، السينما، الكتب، الجريدة والمجلة أي باختصار كل المنتجات المقدمة للجمهور بقنوات جماهيرية، ولكن في بعض الأحيان تغطي الثقافة الجماهيرية مجالا أكثر تحديدا، حيث تبدو شديدة الارتباط بمفهوم الترفيه وفي هذا الحال لا تشمل كل المنتجات الجماهيرية بل الأفلام، الألعاب والرياضة... إنها تشمل ما يخرج عن نطاق ما نسميه عادة بالإعلام السوسيو- اقتصادي والسياسي.
* إنه خطاب يتطور بمعية خطاب آخر؛ خطاب المجتمع الجماهيري... حيث توجد في الخطاب عن الثقافة الجماهيرية بشكل ضمني أو مستتر طريقة لإدراك وفهم الكيان الاجتماعي أو على الأقل بعض الفرضيات حول طبيعة النظام الاجتماعي الذي تتطور فيه الثقافة الجماهيرية فهي ترتبط بالتحول والتغيير في المجتمع، إنها ترتبط على مستوى قرائن التغيير بالتصنيع وتطور التقنية وتغيير العلاقات بين الأشخاص وتغيير المحيط...[2].

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، دار الشروق، الطبعة الأولى، الأردن، 1999 ص 56.

2 -نصر الدين العياضي: **عن مفهوم الثقافة الجماهيرية**، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 14، الجزائر، 1996 ص 229-231.

ويشرح بيير أ. بونتوازو Pontoizeau P.A ذلك حيث يقول أن: "التطور الثقافي مرهون بالتطور الاقتصادي للرأسمالية منذ بداياته، وقد أثّر هذا عليها سلبا إذ أنها تحطمت في سياق خلق الرغبات... والتي أصبحت تمثل رغبة جماهيرية un loisir de masse تتغذى على المواد الثقافية العالمية "[1]، من جهته يرى ريفرز أن الثقافة الجماهيرية أصبحت عمليات ممكنة في ظل ظروف الاستهلاك الكبير والتقدم التكنولوجي الذي سهّل الاتصال وجعل منه تجارة رائجة، وهكذا باتت الرسائل الإعلامية تخضع لقانون السوق التجارية وبحيث أن السوق التجارية تتطلب دوما المزيد من السلع بأرخص الأسعار وتخاطب متوسط الأذواق، فإن هذا استدعى تبسيطا وتسطيحا للثقافة والهدف دوما هو كسب أكبر قدر ممكن من الجمهور القارئ أو المستمع أو المشاهد[2].

وهكذا وبالتحدث عن الثقافة الجماهيرية يرى العياضي بأنها تنتج الاغتراب وأنها تافهة ومنمطة، متكررة، سطحية، موجهة نحو استهلاك المتعة الزائلة، إن الثقافة الجماهيرية تنتج جماهيريا عدم التبصر وتخنق الوعي الاجتماعي، إنها مسكنة من كثرة مغالاتها في التفاهة كما أنها تثير أو تدعم مسار الاغتراب الذي يعتبر كخاصية للمجتمع الجماهيري، إنها تشترك في هذا المسار لكونها تقترح برامج على الجمهور المفتت (La foule atomisée) برنامجا منمطا(standard) يستهدف ملء وقت الفراغ الناجم عن تقليص وقت العمل[3].

يقول البروفيسور حميد مولانا: " بعض الباحثين توصلوا إلى أن النظام الإعلامي المهيمن عليه من الشمال خلق ما يسمى ب ' ثقافة الاستهلاك الجماهيري

1 -راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 79.

2 -صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص56-57.

3 -نصر الدين العياضي: **عن مفهوم الثقافة الجماهيرية**، م.س.ذ ص 235.

' Culture de consommation de masse تمحي الهوية الوطنية في جهات متعددة من العالم "[1].

فالثقافة الجماهيرية تتمثل أكثر في مجتمعات الاستهلاك التي تخضع كلها إلى لواء مؤسسة العولمة، كما أن مصطلح المجتمعات الاستهلاكية هي تبسيط لمصطلح " المجتمعات الصناعية للاستهلاك الموجه " الذي أطلقه هنري لوفيبر H. Le Febvre [2]، حيث –وحسب حوات- أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أدركت أن سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدودة، وبالتالي لابد من الترويج لثقافة أكثر انتشارا لهذا عهدت إلى هوليود ووكالات الإعلان لتبني هذه المهمة على الرغم من أن هناك شعراء و روائيين وفلاسفة ومخرجين سينمائيين على مستوى عال من المهنة ولكنهم ينتجون ثقافات النخبة الأمريكية، فقد تبيّن للشركات المنتجة يضيف حوات أن لرامبو و شوارزينغر ومادونا ومايكل جاكسون... أفضلية اقتصادية وإغوائية في نفس الوقت وبهذه الطريقة استطاعت أمريكا أن تصل إلى شباب اليوم وأن تصنع ثقافة محددة لهم، لذا فهي تريد السيطرة عليهم دون منازع وكأنما أمريكا تريد أن تضمن المستقبل من الآن... في الوقت الذي توصف فيه الثقافة الأمريكية المبثة عبر وسائل الإعلام المختلفة على أنها نفاية الثقافات وثقافة النفايات[3]، هذا التطور المذهل للثقافة الجماهيرية في الولايات المتحدة الأمريكية أو ما يسمى بأمركة العالم أدى بالعديد من المثقفين والاجتماعيين إلى الحديث عن الآثار التي تخلفها الثقافة الجماهيرية على نمط حياتنا[4]، فكل شيء يبدو متناقضا

1- Everette .E. Dennis et John .C .Merrill :**Les médias en question,** traduit par : Dominique Walter, Nouveaux Horizons, 1993 P 295

2-**http://fr.wikipedia.org/wiki/culture_de_ masse** .2008/01/30

3 - علي محمد حوّات: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي، م.س.ذ ص 96-97.

4-**http://fr.wikipedia.org/wiki/culture_de_ masse**

ثقافة المثقفين والثقافة الجماهيرية: " النوعية والكمية، الإبداع والإنتاج، الروحية والمادية، الجمالية والبضائعية (السلعوية)، الأناقة والسوقية، العلم والجهل[1] ".

تعتبر هانا أرندت H. Arendt أن الثقافة الجماهيرية تنتمي إلى فضاء الترفيه الذي يتعارض مع الثقافة السامية بعدم وظيفته الآنية وبديمومته في ذات الوقت فهذا يفتح المجال ليستشف ما يفصل جذريا بين الثقافة السامية (Savante) والثقافة الجماهيرية،

في الثقافة الأولى: يوجد السمو الذي يضمن للثقافة وضعها الحقيقي كتجربة أصيلة، الثقافة الحقيقية تدرك كغريبة وشاذة أساسا، الثقافة المثقفة هي تحرير للوعي.

أما الثقافة الثانية: ففيها يُفقد السمو مما يحوّلها إلى ثقافة مزيفة وخاطئة تحدث أساسا الاندماج، إنها الاغتراب[2].

فإذا يمكن نعت الثقافة الجماهيرية بالكثير من النعوت والأوصاف: رديئة، بليدة، منومة، خسيسة، مغرّبة و .... درسها المختصون في وسائل الإعلام اقتطعوها، أرذلوها وأذلوها لكن أقلية قليلة منهم تحدثت عنها بمفردات سياسية، إنما من وجهة نظر إعادة إنتاج وتوزيع الأيديولوجية المهيمنة فإن مجمل الخطب التي تشملها تسمية الثقافة الجماهيرية مهمة جدا، ولكن مفهوم هذه الثقافة الجماهيرية في حد ذاته هو الذي منح إمكانية عدم التفكير في هذه الأهمية.

1 -Hélène Bourdeloie : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse,** opcit.

2- نصر الدين العياضي: **عن مفهوم الثقافة الجماهيرية**، م.س.ذ ص 236.

المبحث الثاني

مدخل إلى وسائل الإعلام

في المطلب الأول منه بينّا مكانة وسائل الإعلام في حياتنا مبرزين أهم الأدوار والوظائف التي تلعبها هذه الوسائل في حياة الأفراد، ثم اتجهنا إلى التحدث عن أهم التأثيرات التي تمارسها وسائل الإعلام على حياة الأفراد والمجتمعات وعلى مختلف المستويات: السلوكية والقيمية والعقائدية، بعدها اخترنا نظرية الغرس الثقافي لجورج جربنر واعتمدناها كدعامة نظرية تخدم دراستنا هذه، باعتبار أن هذه النظرية هي الأقرب – من خلال وجهة نظرنا- لفحوى الدراسة وهدفها.

المطلب01: مكانة وسائل الإعلام في حياتنا.

تحتل وسائل الإعلام مرتبة مهمة في المجتمع وتخترق جميع مجالات الحياة اليومية بمختلف أنواعها تقريبا وتستحوذ على جزء كبير من أوقات فراغ الناس، ولو أن الأمر يختلف من مجتمع إلى آخر والتباين فيما بين الأفراد وارد لكن على العموم يقضي الناس عددا معتبرا من الساعات أسبوعيا في مشاهدة التليفزيون ومنهم من يجد الوقت لاستعمال وسائل إعلامية أخرى مثل: الإذاعة والصحافة المكتوبة والسينما والكتاب والإنترنت[1]، وكان لازويل Lasswell قد نشر في عام 1948 مقالته حول وظائف الاتصال في المجتمع وهي:

1 -السعيد بومعيزة: **أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006 ص 35.

* **مراقبة البيئة أو حراسة المحيط:** بمعنى أن وسائل الإعلام تقوم بوظيفة مراقبة ما يجري على الساحة من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية، وتقوم بنقلها إلى الجمهور العريض من ناحية ومن ناحية ثانية تدق ناقوس الخطر كلما كانت هناك تجاوزات أو نقائص على مستوى المؤسسات المختلفة[1]، وتعتبر مراقبة البيئة من أقدم وظائف العملية الاتصالية... تقول جيهان رشتي: " إن مهام الاتصال التي وجدت في المجتمعات القديمة هي نفسها الموجودة في المجتمعات الحديثة، الفرق الوحيد بين مهام الاتصال القديمة والحديثة أن وسائلنا الحديثة أصبحت أكثر تطورا، وأصبحت الدولة حاليا والحكومات القومية تشارك عن طريق ممثليها في التأثير على حياة القرية، وأصبحت الأهداف القومية تحدد إلى حد كبير وتؤثر على القرارات المحلية... ففي نظام الاتصال القديم عهدت القبائل البدائية بتلك المهمة إلى الأفراد، فقام بعضهم بوظيفة الحراس الذين يحيطون بالقبيلة علما بالأخطار المحيطة والفرص المتاحة[2].

* **ربط المجتمع بالبيئة المحيطة به:** وهي وظيفة تحقق الاندماج والانسجام في المجتمع ويمكن الأفراد والمؤسسات من الشعور بالانتماء إلى مجتمع واحد[3]، ويدخل في إطار هذا الهدف ما أسمته جيهان رشتي مساعدة النظام الاجتماعي، وذلك بتحقيق الإجماع أو الاتفاق بين أفراد الشعب الواحد عن طريق الإقناع وليس العنف، بمعنى الاعتماد أساسا على الإقناع في السيطرة على الجماهير وضمان قيامهم بالأدوار المطلوبة، كما أن هذا الترابط الاجتماعي يؤدي إلى تحقيق هدف أكبر وهو إيجاد الرأي العام، فبدون الترابط لا يتكون الرأي العام خاصة تجاه القضايا المجتمعية الكبرى[4].

---

1 - أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، www.minshawi.com/vb/showthread.php?t=1343، 2008/04/23.

2- محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2003. ص 82-83.

3 - أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، م.س.ذ

4 - محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 83.

* **نقل التراث الاجتماعي**: وهذا له صلة بدور التنشئة الاجتماعية الذي تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع من خلال نقل التقاليد والقيم والمعايير من جيل إلى آخر، وهي وظيفة تحقق انسجام المجتمع وتماسكه[1]، بمعنى أنها وظيفة تدعم ثقافة المجتمع وتحفظها أمام تيارات الثقافات الأخرى[2].

أضحت هذه الوظائف أساسا لصياغة الأفكار والمداخل الخاصة بتحديد وظائف الإعلام بالنسبة للفرد والمجتمع بعد تطويرها أو تكييفها في علاقتها بالوسيلة أو المضمون أو المتلقين، ولكنها جميعا تجيب عن أسئلة خاصة بالوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام بالنسبة للفرد والمجتمع[3].

في عام 1984 حدّد إليو كاتز E. Katz الوظائف الأربع الأساس التي يمكن أن تخدم فيها وسائل الإعلام الفرد وتؤثر في سلوكه وهي:

1- **وظيفة المنفعة**: حيث أن اتجاه الفرد إلى وسيلة معينة أو مضمون معين يتحدد في ضوء النفع العائد عليه من هذه الوسيلة أو هذا المضمون.
2- **وظيفة الدفاع عن الذات**: وتعكس هذه الوظيفة رأي الفرد في الدفاع عن الصورة التي شكلها عن نفسه ورفض ما عداها.
3- **وظيفة التعبير عن القيم**: فكلما دعمت وسائل الإعلام القيم السائدة في المجتمع شعر الفرد بالرضا عن هذه الوسائل، وهذا يفسر قدرة وسائل الإعلام على دعم القيم السائدة في مقابل ضعف قدرتها على تغيير الاتجاهات السائدة.
4- **الوظيفة المعرفية**: وتتمثل في حاجة الفرد إلى المعرفة التي تساعد على بناء إدراكه[4]، تلك المعرفة أو المعلومات التي تساعد الفرد على فهم ما يحيط به من ظواهر وأحداث لكي يستطيع التعامل معها والتي تتيح له إضافة حقائق جديدة

1 - أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، م.س.ذ

2 - محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 84.

3 - أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، م.س.ذ

4 -نفس المرجع السابق.

إلى حصيلته المعرفية، وتساعده على اتخاذ القرارات والتصرف بشكل مقبول اجتماعيا[1].

ويرى دينيس ماكويلD. Macquial أن الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام توجد حاجات ودوافع لم تكن موجودة من قبل تدفع الجمهور إلى هذه الوسائل فيسعى إلى إشباع تلك الحاجات من خلال التعرض لها، وهذه الوظائف هي:

1- **وظيفة الإعلام:** وهي رغبة الفرد في معرفة ما يدور حوله من أحداث في المجتمع والعالم.
2- **وظيفة تحديد الهوية:** وتتمثل في حاجة الفرد إلى دعم القيم الشخصية والتوحد مع الآخرين في قيمهم.
3- **وظيفة التفاعل الاجتماعي:** وتتركز هذه الوظيفة في حاجة الفرد إلى الانتماء والحوار والتواصل مع الآخرين.
4- **وظيفة الترفيه:** وهي رغبة الفرد في الهروب من المشكلات والخلود إلى الراحة وملء الفراغ[2]، والترفيه ليس شيئا ثانويا في حياة الأفراد وإنما أصبح ضروريا خاصة في العصر الحالي الذي يتسم بالقلق والتوتر[3].

وهكذا أصبحت وسائل الإعلام مصدرا مهما من مصادر المعلومات وموجها قويا لسلوك كثير من أفراد الجمهور وأصبح وجودها في كل مكان أمرا شائعا، ومع تقدم المجتمعات وتحضرها يزداد تعقدها واندماج وسائل الإعلام فيها حتى أصبحت هذه الوسائل جزءا لا يتجزأ من المجتمع خاصة في أوقات الأحداث والأزمات، وأصبحت معلومات وسائل الإعلام وتحليلاتها ذات أهمية كبيرة وقيمة متزايدة في المجتمعات...، حيث غدت هذه الوسائل من المكونات الأساس التي لا غنى عنها والتي لا يستطيع المجتمع المعاصر الاستمرار بدونها، بواسطتها يعرف الجمهور السلع الجديدة وأماكن وجودها...، بل إن الأمر لم يقتصر على ذلك

---

1 -محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 91.

2 -أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، م.س.ذ

3 -محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 90.

فحسب بل أصبحت وسائل الإعلام لدى بعض الأفراد بديلا عن التفاعل الاجتماعي، فيرى في الوسيلة الإعلامية صديقا أنيسا خاصة للأفراد الذين يفتقدون التفاعل الاجتماعي وهو ما يسمى بـ" التوحد مع الوسيلة " حيث يجعلونها بديلا لهذا التفاعل، وبعضهم الآخر يجعل من وسائل الإعلام متنفسا ومهربا من الضغوط النفسية والتوترات والتخلص من المشكلات الاجتماعية[1].

وبالتالي فإن إسهام وسائل الإعلام في تلبية احتياجات أفراد المجتمع يجعلها تقدم بذلك خدمة عامة للمجتمع، هذا إذا قامت هذه الوسائل بالوظائف الاجتماعية المناطة بها على الوجه المطلوب.

المطلب02: تأثيرات وسائل الإعلام

يعد الإعلام من المتغيرات التي ضخت قيما متناقضة ومزخرفة فأشاعت الفوضى في ثقافة المجتمع، وإذا تناولنا دور الإعلام على المستوى القومي فسوف نجد أنه يبث في أحيان كثيرة مضامين إعلامية تتناقض مع احتياجات الواقع، قد يعمل الإعلام ووسائله المختلفة على نقل التيارات وأفكار وصور لنماذج لا تتلاءم ونظائرها في الثقافة القومية، ومن ثم يخلق تناقض أو عدم تكامل في بنية هذه الثقافة أو قد تعمل وسائل الإعلام بطريقة عشوائية غير ملتزمة بأي توجيه أيديولوجي ذي صلة بالسياق القومي[2]، ونتيجة لذلك قد تحدث ظواهر كثيرة أولها استيراد قيم استهلاكية تتناقض مع متطلبات عملية التنمية التي يقودها المجتمع إضافة إلى الاستيراد غير الواعي لأفلام وتمثيليات قد لا تطرح المثال الواجب احتذاؤه، وهكذا فإن الإعلام بمختلف وسائله المرئية، المسموعة والمكتوبة تساهم وبكثافة في الدعاية لكافة أشكال وصور التغريب حتى ترسخ هذه الأحوال الجديدة في المجتمع فتغدو مألوفة، إنها الأساس فوسائل الإعلام قناة لإيصال ما ينتج من منابع التغريب

1- أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، م.س.ذ

2- علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، م.س.ذ ص 35-36.

وتقريبها وعرضها في صورة مقبولة غير مرفوضة تستعمل كل أنواع الإغراء والجذب ناحية الغرب[1]، وبعبارة أخرى فإن هذه الوسائل الإعلامية هي من منتجات الحضارة الغربية فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة ونشر مبادئ، وأفكار وقيم العلمانية[2]، ذلك يعني أن الإعلام لم يعد آلية لتأكيد الثقافة القومية ولكنه أضحى سلاحا لتنحيتها لصالح ثقافات غريبة، وفي هذا الإطار فإن الإعلام يؤدي دوره في تفكيك الثقافة القومية[3].

يقول عزي عبد الرحمان حول علاقة تأثير الزمن الإعلامي(بمعنى الوقت الذي يقضيه الفرد في استعمال وسائل الإعلام) في تفكك البنية الثقافية والقيمية أنه لا يتم دون مرجعية تربط المحتويات بالقيم... بمعنى أن الأساس في تحديد العلاقة بين الزمن الإعلامي والمجتمع هو طبيعة المحتويات التي يتعرض لها إذا كانت تنسجم أو تتعارض مع القيمة، والقيمة تشمل كل ما يسمو بالفرد وأصلها الدين وقد تتجسد في جل ما تحمله الثقافة من معايير وضوابط وسلوكيات، وبصفة عامة فإن الزمن الإعلامي أثر سلبا في الزمن القيمي في الشكل ومعظم المضمون[4]، وربما تعود هذه التأثيرات السلبية إلى سوء استخدام الزمن الإعلامي ذلك أن الثقافة في جوهرها تعبير عن النشاط الإنساني، والإعلام هو أداة للتفسير والتطوير والنشر، فوسائل الإعلام هي الأداة الناقلة للثقافة من حيث أنها تساعد على دعم المواقف الثقافية والتأثير فيها وحفر الأنماط السلوكية وتعزيزها، وطرح مفاهيمها على الجمهور من خلال البث والنشر والشرح المستفيض لما يمكن اعتباره فعلا ثقافيا عضويا، ولا

1- لطف الله خوجة: **منابع التغريب**، م.س.ذ

2- **ثقافة الطفل والمؤثرات من حوله**، م.س.ذ

3 علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، م.س.ذ ص 38.

4- عزي عبد الرحمان: **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية**، مجلة المستقبل العربي، العدد 321، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة 28، لبنان، 2005 ص 75.

ينحصر دور وسائل الإعلام في عملية النقل والنشر فحسب بل تحقق في تعاضدها مع الثقافة نوعا من التكامل الاجتماعي[1]، ذلك أن سوء استخدام الزمن الإعلامي أو بمعنى آخر المبالغة في الاستخدام إلى حد الإدمان يؤدي إلى الإخلال بقيم المجتمع كالتأثير غير المباشر بالمضامين التي تحمل أنماطا وسلوكيات غير قيمية أو الأثر المباشر الظاهر في الإعلانات المروّجة للتدخين والخمر وكذا الدخول في علاقات رمزية غير مشروعة مع الجنس الآخر والاطلاع على المواقع الإباحية...[2].

والبداية تكون من تأثيرات وسائل الإعلام على السلوكيات والاتصال الاجتماعي للأفراد:

* إن استخدام الزمن الإعلامي " بشكل مفرط" يكون على حساب الزمن القيمي سواء تعلق الأمر بزمن العبادات أو المعاملات والعمل الصالح بعامة، كون الفرد لا يشعر بمرور الوقت أثناء مشاهدة التليفزيون أو تصفح الإنترنت[3]، فمثلا عندما يكون مستعمل الشبكة (الإنترنت) مندمجا، قد يفوته أداء الصلاة في وقتها ومع الجماعة في المسجد، وهذا تفريط وغفلة وانشغال بمفضول على فاضل[4].
* كثرة استخدام الزمن الإعلامي يحدث الإحساس بالعزلة، فاللجوء إليه قد يكون تعبيراً عن حاجة إلى لتواصل أو الانتماء إلى الآخرين أي الحصول على الحس الاجتماعي، غير أن هذا الارتباط بالغير ليس حقيقيا ،وإنما رمزيا أو

1- علي حوات: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي، م.س.ذ ص 174-175

2- عزي عبد الرحمان: الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية، م.س.ذ ص 76.

3- عزي عبد الرحمان: الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية، م.س.ذ ص 76.

4- مجتبي العلوي: قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات، http:www.annabaa.org/nba57/qraafekitab.html، 2008/02/23.

وهميا ومن ثم فهو لا يحقق الرغبة الحقيقية الأصلية إلا بصفة شكلية مؤقتة وعلى هذا الأساس تكون النتيجة عكسية خاصة أن العلاقة الرمزية نادرا ما تتحول إلى حقيقة.

* إن كثرة استخدام الزمن الإعلامي يؤثر سلبا في مهارات التواصل الشخصي ومن ثم يضعف نسيج الزمن الاجتماعي، فالفرد يجد الزمن الإعلامي كتصفح الإنترنت أكثر متعة من الجلسات الاجتماعية التقليدية وأن الاستخدام الفردي هو السائد في العلاقة مع الزمن الإعلامي، أي أن مشاهدة التليفزيون والاستماع إلى الراديو وقراءة الصحف وتصفح شبكة الإنترنت تجربة شخصية وليست اجتماعية تستتبع ذلك أن الفرد يفقد تدريجيا كيفيات التعامل مع الآخرين لغويا، ثقافيا وسلوكيا الأمر الذي يضعف التواصل والحراك الاجتماعي في الواقع المعاش.

* كثرة استخدام الزمن الإعلامي تجعل الفرد يخصص وقتا محدودا للزمن العائلي وتكوين الأصدقاء، الأمر الذي يؤثر سلبا في العلاقات، الوظائف، المسؤوليات الاجتماعية للفرد أي أنها تعمل على تضييق المحيط، هذا الأمر الذي يلعب دورا سلبيا في الثقافة الغنية في محيطها بالمعاني والعلاقات الاجتماعية (كالثقافة العربية مثلا) فوسائل الإعلام تبعد الأفراد عن بعضهم البعض، تحرمهم من اكتساب هذه المعاني والعلاقات والعكس بالنسبة إلى الثقافة الفقيرة نسبيا في هذه المعاني والعلاقات كثقافة المجتمعات المصنعة المتسمة بالفردانية، وقلة الزمن الاجتماعي حسب نظرية " الثقافة ذات السياق الواسع والضيق High and low context cultures "[1].

1- عزي عبد الرحمان: **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية**، م.س.ذ ص 77-78.

أما بخصوص تأثيرات وسائل الإعلام على القيم والمعتقدات :

* يقول الفقيه " أوريليوس كريتسكو" أن التكنولوجيا الحديثة للاتصال ومضامينها الثقافية تنقل إلى بعض البلدان النامية دون مراعاة للاحتياجات والعادات والقيم الوطنية مما يرتب آثار غير محمودة ويجعل هذه البلدان مرهونة بإرادة الدول المتقدمة، وهذا أمر يمكن اعتباره شكلا جديدا من أشكال الإمبريالية، يضفي صفة الدوام على تبعية البلدان الفقيرة للبلدان الغنية[1].

وقد شرح علي ليلة هذا التأثير على القيم من خلال ثلاث مستويات:

المستوى1: يتمثل في تأسيس تناقض داخل الثقافة القومية حيث يبث ذات الجهاز المسلسلات والإعلانات التي تمجد الخيانة وسلوكيات الانحراف، وفي الوقت ذاته يعرض بعض المواد الدينية التي تبشر بقيم النقاء والطهارة، الأمر الذي يخلق لدى المشاهد حالة من الحيرة والإرباك أو حالة تتساوى فيها كل القيم منحرفة كانت أو سوية، وهو ما يجعل المشاهد يقبل على القيم المنحرفة كما يقبل على القيم السوية.

المستوى2: هنا يسعى الإعلان إلى استبدال الثقافة القومية بالثقافة الغربية وبالتحديد الأمريكية منها، ولنشاهد بعض البرامج التي تذيعها بعض التليفزيونات العربية والتي تقدم المرأة مثلا كسلعة أو كآلية تساعد على تتجير السلع والملابس، ألا يتناقض ذلك مع الحركة القومية الغيورة العاملة من أجل مشاركة المرأة في تحمل أعباء التنمية والإنتاج؟، وأكثر من ذلك ألا يتناقض هذا مع القيم العربية والإسلامية التي تحض على النقاء والطهارة!.

المستوى3: تعمل تكنولوجيا الإعلام والمعلومات على تخريب الثقافة بنشر أفلام الخلاعة والرموز الجنسية، حيث توسيع مساحة الجنس والغرائز في دائرة اهتمام ووعي البشر خاصة فئة الشباب... " فكأنما يلعب الإعلام دورا مرسوما له لاغتصاب الثقافة القومية تارة بخلق التناقض بداخلها، وتارة ثانية باستبدالها بثقافة

1- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 248.

غربية غريبة، وتارة ثالثة بتوسيع مساحة الغريزة على حساب انكماش مساحة المعاني السامية "[1].

* يقول المفكر الفرنسي دانيال كولار: " لم تعد أي حدود قادرة على إيقاف الانتقال والتدفق الحُرّين للمعلومات عبر الإذاعة والتليفزيون ووكالات الأنباء وشبكات المعلومات بالصورة والصوت والنص وعن طريق الشركات العالمية للاتصال مما يترتب عنه خطر مزدوج على الدول الضعيفة، فالدول التي تملك تكنولوجيا الاتصال الحديثة تكون قادرة في المدى القريب على ممارسة سيطرة ثقافية ولغوية على الدول المحرومة من هذه التكنولوجيا، والتأثير بقوة على ثقافاتها الوطنية بفرض ثقافتها ذات المضمون الترفيهي الارتجالي، وعلى المدى الطويل فإن خطر التجانس الثقافي بواسطة وسائل الاتصال الحديثة ليس مستبعدا، وفي الحالتين تصبح شخصية وكرامة الثقافات الوطنية مهددة "[2].

* المضمون الهابط: قد يكون هذا النوع من المضمون هو محتوى إعلامي تم توزيعه على نطاق واسع وشاهدته الجماهير العريضة، وقد يكون مثيرا لاستياء النقاد بشكل مستمر، ونضرب لذلك أمثلة: دراما الجرائم التليفزيونية التي تؤكد على العنف أو البرامج الجنسية الفاضحة التي تصل إلى حد الدعارة، والتي يعرضها التليفزيون الكابلي سواء كانت على شكل أشرطة فيديو أو أفلام سينمائية أو مسلسلات يومية التي تذاع نهارا أو مجلات الاعترافات أو كوميديا الجريمة أو الموسيقى المثيرة أو أي محتوى آخر يؤدي- بشكل واسع- إلى الإسهام في خفض مستوى الذوق وإفساد الأخلاق أو الإثارة للقيام بسلوك غير مقبول اجتماعيا[3]، حيث يحلل إيف يودس Yeudes Y. خضوع وسائل الاتصال إلى المصالح المادية والأيديولوجية قبل مراعاة المضمون الثقافي مرتكزا على مفهوم سياسة الولايات

1- علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، م.س.ذ ص 37-38.

2- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 240.

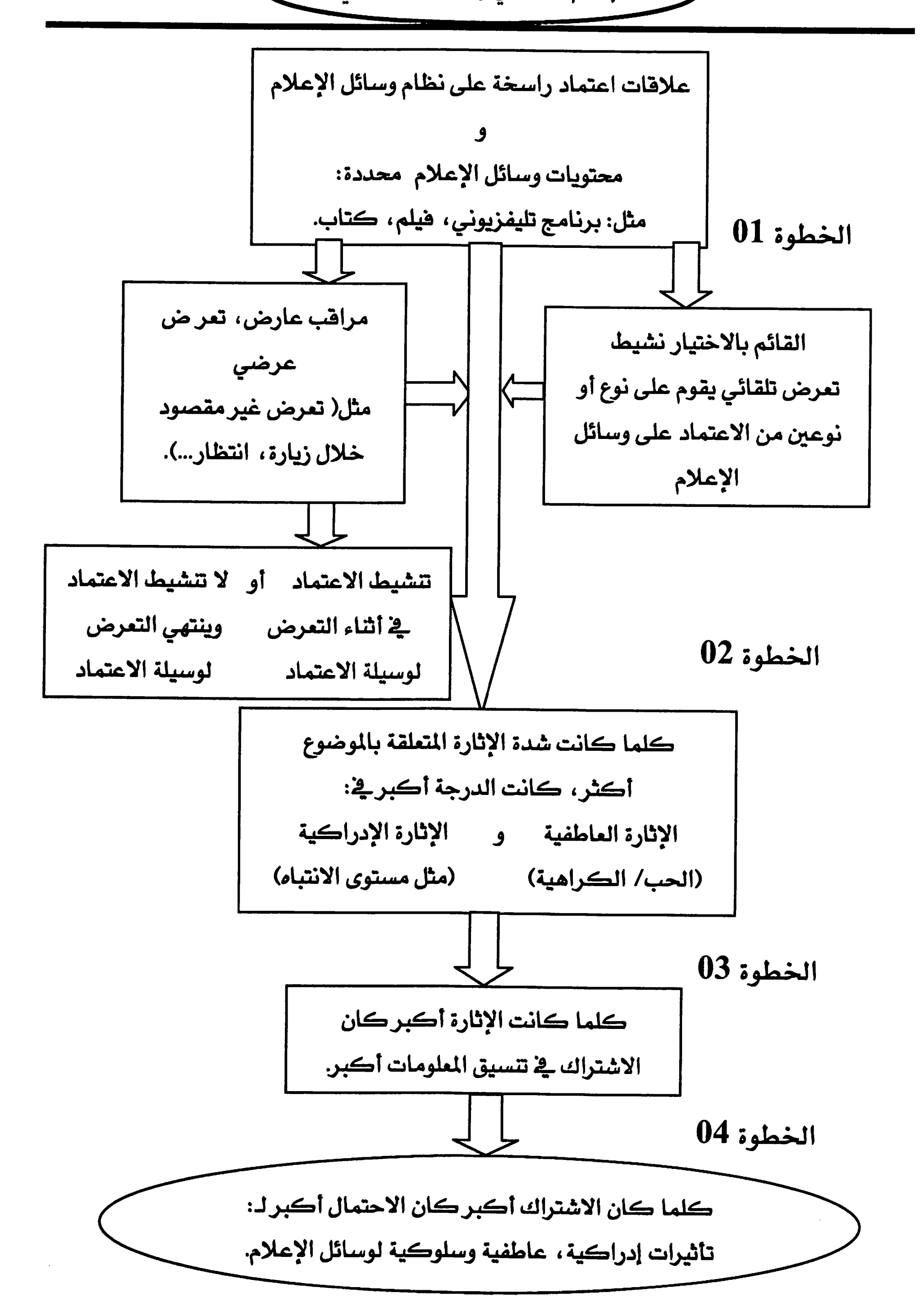
3- ملفين ديفلر و روكيش ساندرا بول: **نظريات وسائل الإعلام**، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، مصر، 1999 ص 197.

المتحدة الأمريكية لدور وسائل الاتصال وهيئات الثقافة وفحوى الرسالة الثقافية، ويقول: " ... فهي تعتبر أن كل إنتاج ثقافي ينبغي أن يكون له محتوى أيديولوجي واضح مهما يكن شكله ونوعه، ومن هنا كانت القاعدة المتفق عليها من طرف المصالح الأمريكية ومفادها أن الثقافة ينبغي أن تكون الغلاف الجذاب لأي سياسة"[1].

* جعل الناس يتعاملون مع العنف على أنه حدث عادي، فجرعات العنف الزائدة والمتكررة في مشاهد أفلام " الأكشن Action "والإثارة والرعب أصبحت تنتشر بشكل كبير بين أوساط الشباب، بجانب الغزو الثقافي عبر القنوات الفضائية التي تعج اليوم بالمواد والرسائل المسفة لا شك أنها تنال من منظومة الأخلاق الكريمة والعادات الحسنة والشيم الحميدة، وتسرب نوازع الانحراف إلى الشباب كما أن الصحافة لا تخلو من تلك التجاوزات بخوضها لأدق تفاصيل الجرائم بشكل يبدو وكأنه تشويقي أو مثير، والمشكلة أن وسائل الإعلام قد تنوعت وتشعبت في السنوات الأخيرة مثل الإنترنت، ألعاب الفيديو والهاتف الخلوي الذي أصبح وسيلة إعلام خطيرة وأصبحت الرسائل الالكترونية المتبادلة خلاله من أسرع وسائل الإعلام شيوعا لأنها تتخطى كل الحواجز[2].

1- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 247.

2- المحور الثالث: **دور المؤسسات الإعلامية في تعزيز استقرار وسلامة الأسرة**، http://www.adpolice.gov.ae/safety/pivot-3.html ، 2008/04/06.



مخطط لعملية تأثيرات محتويات وسائل الإعلام على الأفراد

وهكذا فإذا كانت المقولة الأولى للعولمة تشكل تجاوزا للحدود القومية فإنها في الوقت نفسه تشكل مقدمة للقرية الكونية التي توحدها وسائل الاتصال والمعلومات، حيث يتحول الإنسان الذي يستوعب مفرداتها إلى إنسان جديد يأخذ ملامحه من عصر جديد، ولغته من لغة المسيطر، وهكذا يغدو انتماؤه للقرية الكونية أقوى من انتماءه لأمته أو لقوميته، واستنادا لذلك يتحول الشاب الذي استوعب هذه القيم إلى إنسان عالمي متحرر من الانتماءات اللغوية، القومية الثقافية الدينية وحتى الجغرافية.

وبالتالي فبالإضافة إلى الحديث عن عولمة السوق والمدينة ينتقل الحديث إلى "عولمة الأنا "، حيث تتحول الهوية إلى أسطورة في عالم يستطيع أي إنسان فيه وعبر الشبكات الالكترونية أن يصبح سائحا جوالا عبر الأمكنة دون أن يبرح مكانه.

المطلب 03: نظرية الغرس الثقافي

تعتبر نظرية الغرس الثقافي تصويرا تطبيقيا للأفكار الخاصة بعمليات بناء المعنى وتشكيل الحقائق الاجتماعية والتعلم من خلال الملاحظة والأدوار التي تقوم بها وسائل الإعلام في هذه المجالات، حيث تؤكد الفكرة العامة التي تجتمع حولها النظريات السابقة وهي قدرة وسائل الإعلام على التأثير في معرفة الأفراد وإدراكهم للعوالم المحيطة بها، خصوصا بالنسبة للأفراد الذين يتعرضون إلى هذه الوسائل بكثافة كبيرة[1]، ويمكن وصف عملية الغرس بأنها نوع من التعلم العرضي الذي ينتج عن التعرض التراكمي (لوسائل الإعلام) خاصة التليفزيون حيث يتعرض مشاهد التليفزيون دون وعي إلى حقائق الواقع الاجتماعي لتصبح بصفة تدريجية أساسا للصور الذهنية والقيم التي يكتسبها عن العالم الحقيقي، وعملية الغرس ليست عبارة عن تدفق موجة من تأثيرات التليفزيون إلى جمهور المتلقين،

1- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، عالم الكتب، الطبعة الثانية، مصر، 2000 ص 262.

ولكنها جزء من عملية مستمرة وديناميكية للتفاعل بين الرسائل والسياقات[1]، ولذلك تربط هذه النظرية بين كثافة التعرض –مشاهدة التليفزيون بصفة خاصة- واكتساب المعاني والمعتقدات والأفكار والصور الرمزية حول العالم الذي تقدمه وسائل الإعلام بعيدا عن العالم الواقعي أو الحقيقي، وترى النظرية أن مشاهدة التليفزيون تقود إلى تبني اعتقاد حول طبيعة العالم الاجتماعي يؤكد الصور النمطية ووجهة النظر المنتقاة التي يتم وضعها في الأخبار والأعمال التليفزيونية، وأن قوة التليفزيون تتمثل في الصور الرمزية التي يقدمها وفي محتواه الدرامي عن الحياة الحقيقية التي يشاهدها الأفراد لفترات طويلة، والتأثير في هذا المجال ليس تأثيرا مباشرا حيث يقوم أولا على التعلم ثم بناء وجهات النظر حول الحقائق الاجتماعية حيث يمكن النظر إليها على أنها عملية تفاعل بين الرسائل والمتلقين[2].

ترجع أصول هذه النظرية (الغرس الثقافي) إلى العالم الأمريكي جورج جربنر G. Gerbner، حيث بحث تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على البيئة الثقافية في إطار مشروعه الخاص بالمؤشرات الثقافية Les indicateurs culturels[3].

من خلال تعريف جربنر للمفهوم Cultivation بأنه ما تفعله الثقافة بنا، والثقافة هي الوسيط أو المجال الذي تعيش فيه الإنسانية وتتعلم، فمن خلال هذا التعريف يمكن تعريف المفهوم ليكون " الغرس الثقافي" حيث تهتم العملية باكتساب المعرفة أو السلوك من خلال الوسيط الثقافي الذي يعيش فيه الإنسان، فكأن البيئة الثقافية بأدواتها هي التي تقوم بعملية الإكساب والتشكيل والبناء للمفاهيم أو الرموز الثقافية في المجتمع، ومن هذه الأدوات وسائل الإعلام التي احتلت مكانا بارزا في عالمنا المعاصر بأدواتها وتأثيراتها[4].

1- عبد العزيز حمد عبد الله الحسن: **وسائل الإعلان: وصف نظري للعلاقة والتأثير**، http://www.ecoworld-mag.com/detail.asp?InNewsItemID=178682 .2008/04/06

2- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، م.س.ذ ص 262-263.

3- محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 264.

4- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، م.س.ذ ص264.

إن الفكـرة الأساسـية لنظريـة الغـرس الثقـافي هـي أن التليفزيـون– أقـوى وسـائل الإعـلام- يـؤدي إلى خلـق تـصور مفـاده أن الجمهـور يُبنـى مـن الواقـع، حيـث يعتبر جربنـر التليفزيون عامـل ضبـط مُقـرّر، وبالتـالي يعمـل علـى تثبيـت أكثـر منـه إضعاف التصورات التقليدية للمعتقات والسلوكيات، ذلك أن عملياته الثقافيـة تـدعو إلى بث وإلى المحافظة على استقرار الأشكال الاجتماعية بمعنـى آخـر مقاومـة الـتغير وليس ترسيخه، ومن هذا المنطلق فإن التليفزيون هو وسيلة لاستشراك الأدوار المنمطة بدل إظهار التشابه بين التليفزيون وبقيـة الوسـائل الإعلاميـة حيـث ركـز جربنـر علـى الفرق الذي اعتبره حاسم وجوهـري Cruciale[1] .

وركزت بحوث المؤشرات الثقافية على ثلاثة قضايا متداخلة هي:

01- دراسـة الرسـائل والقيم والصور الذهنية التي تعكسها وسـائل الإعلام.

02- دراسة الهياكل والضغوط والعمليات التي تؤثر على إنتاج الرسائل الإعلامية.

03- دراسـة المشاركة المستقلة للرسـائل الجماهيريـة علـى إدراك الجمهـور للواقـع الاجتماعي[2].

وقـد درسـت مختلـف الأبحـاث حـول هـذه النظريـة مـن خـلال العلاقـات الفرضـية مفهـومين رئيـسيين في عمليـة الغـرس أكـد عليهمـا جربنـر وهمـا الاتجـاه السائد والصدى أو الرنين.

* ويقـصد **بالاتجـاه الـسائد**: هـو التجـانس بـين الأفـراد ذو درجـة الكثافـة الواحـدة، في اكتـساب الخـصائص الثقافيــة المــشتركة للمجتمــع الــتي يقــدمها التليفزيون كقناة ثقافية حديثة، والصور التي يراها، وبالتالي يمكن الكشف عـن التباين في إدراك العالم الخارجي بين الذين يشاهدون التليفزيون بدرجة أقل، وبـين الــذين يــشاهدونه بكثافــة كـبيرة، وبالتــالي فــإن الاتجــاه الــسائد هــو نــسيج مــن المعتقدات، القيم والممارسات الـتي يقـدمها التليفزيـون في صـور مختلفـة ويتوحـد معهـا

1-Judith Lazar: **Sociologie de la communication de masse,** édition Armand colin, Paris, 1991. P42.

2- محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 265.

كثيفو المشاهدة ولا تظهر بينهم الفروق كبيرة في اكتساب تلك الصور أو الأفكار باختلاف خصائصهم الاجتماعية أو السياسية، وبالتالي فإن الاتجاه السائد يشير إلى سيطرة التليفزيون في غرس الصور والأفكار بشكل يجعل الفوارق أو الاختلافات تقل أو تختفي بين الجماعات ذات الخصائص المتباينة، ويشير أيضا إلى الاتساق بين الاتجاهات والسلوك الذي يمكن أن يقوم بتأثير التليفزيون أكثر من وسائل أو عوامل مؤثرة أخرى.

* ويقصد **بالرنين**: التأثيرات المضافة للمشاهدة بجانب الخبرات الأصلية الموجودة فعلا لدى المشاهدين، وبذلك فإن المشاهدة يمكن أن تؤكد هذه الخبرات من خلال استدعائها بواسطة الأعمال التليفزيونية التي يتعرض لها الأفراد أصحاب هذه الخبرات بكثافة أعلى، وركز جربنر في هذا المجال على زيادة إدراك العنف في الأعمال التليفزيونية ووصف العالم الخارجي به لدى المشاهدين الذين يعيشون في ظروف عنف غير عادية ويتعرضون للتليفزيون بكثافة أعلى[1].

ويركز الخبراء على ستة اعتبارات أساسية لنظرية الغرس الثقافي واختباراتها من خلال تحليل الغرس كأسلوب للدراسة والبحث:

01- **يعتبر التليفزيون وسيلة منفردة تتطلب مدخلا خاصا في الثقافة**: فهو الوسيلة الوحيدة التي تدخل المنازل لساعات طويلة خلال اليوم.

02- **تشكل الرسائل التليفزيونية نظاما متماسكا يعبّر عن الاتجاه السائد في الثقافة**: يرتبط الغرس كعملية ثقافية بإطار متماسك من المعلومات ومعاني المفاهيم العامة التي تتمثل في استجابات إلى أسئلة معينة أكثر من ارتباطه بحقائق أو معتقدات معزولة، وهذه المفاهيم العامة يتم غرسها من خلال التعرض الكلي إلى العالم الذي يرسمه التلفزيون.

1- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، م.س.ذ ص265.

03- **تحليل نضم الرسالة العامة للتليفزيون يقدم دليلا على عملية الغرس: وهناك مطلبان أساسيان في عملية التحليل:**

1- هو صياغة الأسئلة التي تكشف إجاباتها عن العالم الواقعي أو الحقيقي.

2- الأسئلة المقارنة التي تكشف عن العالم الرمزي الذي يقدمه التليفزيون، وبالتالي يمكن الوصول إلى الاتجاه السائد الذي يرسمه التليفزيون في المجالات المختلفة والصور الرمزية التي يهدف إلى غرسها في أدهان المشاهدين.

04- **يركز تحليل الغرس على رصد مساهمة التلفزيون في بناء الأفكار والأفعال في المجتمع:** تتأثر عملية الغرس بالرموز الشائعة في المجتمعات لمدى طويل، وعلى الرغم من مشاركة أو تفاعل وسائل أخرى بجانب الظروف الحياتية وفي هذه العملية يجب ألا نغفل الدور المستقل للتلفزيون في غرس الأطر المرجعية.

مثال: وجد الباحثون أن المشاهدين الأكثر كثافة يميلون إلى مشاركة التليفزيون الأمريكي في نظرته نحو العلم باعتباره مهنة غريبة، خطيرة بينما نجد القراء المجلات العلمية ينظرون إليه نظرة إيجابية.

05- **تساعد المستحدثات التكنولوجية على زيادة قدرة الرسائل التليفزيونية:** فهي تزيد من الأسواق، الثروة والقوة والاختيارات التي تدعم في مجموعها في النهاية عملية الغرس وأهدافها.

06- **يركز تحليل الغرس على النتائج الثابتة والمتجانسة:** حيث أن الثقافة هي العملية الرمزية التي يتم من خلالها غرس المفاهيم والأنماط السلوكية الضرورية في عملية التنشئة الاجتماعية للإنسان، فإن على التليفزيون أن يقوم بغرس هذه المفاهيم أو الأنماط السلوكية المتماسكة، وهذا يعني أن الإسهام المستقل للتليفزيون يكون في اتجاه تحقيق التجانس بين الأفراد والجماعات في هذه المجالات[1].

1- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، م.س.ذ ص [266...269].

وهنالك طريقتان يقاس بهما التأثير حسب هذه النظرية:

القياس1.: يسمى بالطلب الأول وفيه يُطلب من المبحوثين إعطاء توقعات كمية عن نسبة حدوث أشياء معينة، تُعرف من قبل نسبتها في التليفزيون مقارنة مع الواقع الحقيقي... بعد ذلك تستخدم الأساليب الإحصائية لمعرفة الفروق في التوقعات الكمية بين أولئك الذين يشاهدون التليفزيون بشكل كثيف والذين يشاهدونه بشكل ضعيف.

القياس2.: أو الطلب الثاني وفيه يتم حساب مقدار أو حجم الفروق بين معتقدات كثيفي المشاهدة وقليلي المشاهدة، مع الأخذ بالاعتبار أن الناس لهم أصلا معتقداتهم عن الواقع الاجتماعي[1]، وإذا كانت دراسات الغرس قد ركزت في البداية على انتشار الجريمة والعنف وعلاقتها ببرامج التليفزيون بأمريكا، فإن هناك مجالا آخر لا يقل عنه أهمية في المجتمعات الساعية إلى التقدم والذي يؤكد مرة أخرى العودة إلى مناقشة قضايا الثقافة الجماهيرية وتدني الذوق العام وغرس المعاني أو الأفكار التي تسهم بطريق مباشر أو غير مباشر في تدعيم الوضع القائم وسيطرة أصحاب المصالح على توجيه الثقافة الجماهيرية بما يتفق مع دعم مصالحها، وخصوصا في مراحل التغيير الفكري أو العقائدي، بجانب اختبار فروض هذه النظرية في مجال انتشار الأفكار والمعاني الغريبة عن المجتمع التي تنتشر عبر التكنولوجيا المتقدمة في وسائل الإعلام وتدعيم التغيير الثقافي لصالح ثقافات خارجية أخرى، والتي يمكن الكشف عنها في نماذج سلوكية عديدة يتصدرها السلوك اللفظي وبصفة خاصة في المراحل العمرية المبكرة[2].

وقد قام الباحث البيروفي " جوركي تابيا " ببيان تفاصيل ذلك النموذج الذي تقوم البرامج الترفيهية الأمريكية بغرسه في عقول الناس - من خلال دراسة شاملة لهذه البرامج- ليخرج بنتيجة مفصلة على الشكل التالي:

1- محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص 268-269.

2- محمد عبد الحميد: **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، م.س.ذ ص 272-273.

- البيئة: مجتمع استهلاكي تريـ خال من التناقضات.
- القيم الأساسية: الفردية، الأنانية والمنافسة العنيفة.
- معنى النجاح: التفوق المادي على الآخرين، التلذذ بمباهج الحياة.
- المجتمع: يميل عموما إلى مكافأة أولئك الناجحين ومعاقبة الخاسرين.
- يجب على الخاسرين الرضا بقدرهم والتسليم بدلا من التمرد أو محاولة التغيير.

من خلال هذه النتائج يمكن أن نتلمس بسهولة سيطرة النظرة المادية البرجماتية على هذه المواد، والتي تقدم على أنها ليست إلا للترفيه والتسلية، في حين يؤكد الباحث الأمريكي هربرت تشيللر: " أن البرامج الترفيهية هي في الواقع أشكال تربوية وأشكال توعية أيديولوجية "، ويؤيده ملفين ديفلير في قوله: " يمكن رؤية الاعتماد القوي لوسائل الإعلام على النظام الترفيهي بسهولة أكثر في تعديل القيم والقواعد السلوكية "[1].

أهم الانتقادات الموجهة لنظرية الغرس الثقافي:

1. لم تأخذ النظرية في اعتبارها المتغيرات الأخرى غير كثافة المشاهدة التي تدخل في عملية التأثير التليفزيوني مثل العوامل الديموغرافية.
2. يرى كل من " هاوكنز وبنجري " أن العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والغرس الثقافي عند مشاهديه يمكن أن ترجع إلى بعض محتوى مواد أو برامج التليفزيون، ولا ينطبق على البعض الآخر من البرامج، وكذلك فإن تلك العلاقة لا تنطبق على مشاهدة محتوى جميع مواد أو برامج التليفزيون في عمومها، ولكنها قد تحدث نتيجة مشاهدة برامج محددة.
3. إن المادة المقدمة من خلال التليفزيون من الممكن أن تتعرض إلى القلب والتزييف من قبل المشاهدين، كما أن استجابات المشاهدين قد تكون متحيزة، وبالتالي تصبح الأسس التي تُبنى عليها مفاهيم أبعاد العلاقة بين المشاهدة والتأثر طبقا لمنظور الغرس الثقافي مفاهيم وأبعادا غير دقيقة.

1- أحمد دعدوش: نقد الفكر المعاصر،
، www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&content id=208.2008/03/17

♦ رغم تلك الانتقادات وغيرها، ورغم أن نظرية الغرس الثقافي قامت على فروض أبحاث خاصة بانتشار الجريمة والعنف في علاقتها بالمشاهدة الكثيفة للتليفزيون، تبقى هذه النظرية بحاجة إلى اختبار فروضها في إطار متغيرات أخرى غير العنف والجريمة (مع تثبيت متغير كثافة المشاهدة) [1].

هناك الكثير من الأمور التي يمكن أن تُدرس من خلال فروض الغرس في عالمنا المعاصر مثل تأثيرات التبادل الثقافي وإلى أي مدى يشكّل غزوا بتغيير الثقافات أو تهديدها، وكذلك التطورات التي ساهمت أكثر في دعم دور التليفزيون في مجالات التأثير مثل الأقمار الصناعية وتأثيراتها على الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد، وتأثيرات هذا الدور في تماسك المجتمع أو تهديد هذا التماسك بتأثير مستويات التعرض التي تفرّق بين الأفراد على أساس درجة التعرض بما يخلق الاتجاه السائد بين الجماعات أو الفئات على أساس درجات التعرض وليس الخصائص المشتركة، وكذلك دور عملية الغرس في تدعيم الوضع الراهن واستخدام الصفوة أو الطبقات المهيمنة في نشر الأفكار المؤيدة أو الموالية لمصالحها، بالإضافة إلى الأدوار التي تعتبر امتداد لدور وسائل الإعلام في عملية التحديث ونشر الأفكار الجديدة، بجانب العديد من البحوث التي يستثيرها فكرة الغرس لاختبار تأثيرات التليفزيون في المجالات المختلفة.

1- محمود حسن إسماعيل: **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، م.س.ذ ص269-270.

المبحث الثالث

وسائل الإعلام والتغريب

تعرضنا فيه بالتفصيل إلى وسائل الإعلام المختلفة ودورها في نشر التغريب سواء السمعية البصرية (متمثلة في التليفزيون من خلال مضمونين هما الإعلان والموسيقى(الفيديو كليب)، الإذاعة والسينما)، أو وسائل الإعلام المكتوبة (الصحافة المكتوبة والكتب)، أو وسائل الإعلام الالكترونية متمثلة في الإنترنت موضحين خطورة كل وسيلة وانعكاساتها السلبية على مستعمليها أو المستقبل لمضامين رسائلها الثقافية.

المطلب 01- الوسائل السمعية البصرية:

وهي التليفزيون، السينما والإذاعة.

1- التليفزيون:

تقول الباحثة الكندية تاجرت K. Taggert " ذات يوم كان التلفزيون مثل حلوى ما بعد الطعام، يتقاسمه أفراد الأسرة بعد العشاء أو بعد الأعمال اليومية الرتيبة والأحاديث، ولكن في هذه الأيام أصبح التليفزيون هو الوجبة الكاملة حيث ساد الصمت و الحذر بدلاً من أحاديث الود "[1]، في هذا السياق يستأثر التليفزيون

1- محمد عبد العزيز الباهلي:**التليفزيون والمجتمع**، مكتبة المسار، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحـــدة، 1990 ص100.

بأهمية خاصة بين وسائل الإعلام الجماهيرية[1]، فقد أصبح واحداً من الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها، إلى درجة أن وصفه عيسوي، بأحد معجزات العصر الحالي[2].

و قد ذكر سعد لبيب واصفاً التلفزيون: " كظاهرة اقتحمت علينا حياتنا المعاصرة اقتحاماً عميقاً، قاسياً وكأنه القدر الذي لا مفر منه، فقد أصبح شريكا -بالقوة- في حياتنا اليومية، بل في كل جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية، يتدخل في كل حياتنا، ويترك بصماته الواضحة على قيمنا، سلوكياتنا، عاداتنا، تقاليدنا وأفكارنا، بل يكاد يجرنا عن هذه الأفكار، فقد أصبح هو الذي يوجهنا إلى السبيل الذي نختاره لحل مشاكل الحياة على اختلافها، وأسمنا نحن له القيادة في سهولة ويسر دون أية مقاومة"[3].

وحسب هذه الرؤى، فقد تربع التلفزيون على منظومة وسائل الإعلام الأخرى بالصورة الجذابة، الأخاذة بشد الانتباه، فالشاشة التلفزيونية حتى و إن أغفل المشاهد تركيزه عليها، فلا بد من وقت لآخر أن يشده ما يعرض عليها من صور[4]، فهو ينقل الكلمة والصورة مسموعة ومرئية، فضلاً على أنه يخاطب الأميين والمتعلمين على حد سواء، فبالرغم من أن التلفزيون يعتبر في نظر الكثيرين وسيلة ترفيه، إلا أن البعض ينظر إليه على أنه جهاز له إمكانيات إعلامية تعليمية وثقافية واسعة، كما يراه البعض الآخر، أنه خطير على حياة الأمة[5].

1- نسمة أحمد البطريق:**الإعلام والمجتمع في عصر العولمة:دراسة في المدخل الاجتماعي**، دار غريب، مصر، 2004 ص309 .

2- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، دار النهضة العربية، لبنان، 1984 ص17.

3- عبد الباسط سلمان: **عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ ص 66.

4- عبد الملك الدناني :**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006 ص66.

5- نسمة أحمد البطريق :**الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي**، م.س.ذ ص310.

حيث وصفه روجيه سلفرستون R. Silverstone " بأنه وسيلة ساحرة، معقدة، مليئة بالتناقض، يتميز عن باقي الوسائل بأنه وسيلة سمعية بصرية تجذب العين والأذن، لا يرسل الصور فقط وإنما الصورة المتحركة بما فيها حركة الجسم والتعبيرات التي تنعكس على الوجوه، كما أنه وسيلة قوية وآنية يمكن بواسطتها الوصول إلى جميع المواطنين "[1]، هذه الميزات مجتمعة أدت –حسب الباهلي- إلى تعلق الأفراد بالتلفزيون، وأصبح هناك نوع من الاعتياد عليه، بل أصبح الإنسان ما إن يدخل من باب المنزل –دون أن ينظر وراءه- يسير كالمخدر إلى جهاز التلفزيون لفتحه... لقد أصبحت حركة تقليدية، روتينية ولا شعورية[2].

وهكذا يبدو أن التليفزيون قد استحوذ على الجزء الأكبر من وقت الناس داخل المنازل وخارجها، كما استطاع أن يشد انتباه الكبار والصغار لساعات دون ملل وبتفرغ كامل[3]، وقد اعتبرت إحدى الدراسات التلفزيون قوة يمكنها تغيير طبيعة المجتمع ذاته وهو إحدى المنجزات الأساسية في تقدم المجتمع الإنساني حيث ساهم هذا الاختراع في وصل الزمان بالمكان بدرجة لم يسبق لها مثيل، وأصبح الإنسان بمقدوره أن يسمع ويرى أحداثا تحدث في أقصى الأرض في نفس لحظة وقوعها.

يقول الدليمي:"...لقد أصبح التلفزيون بالفعل إحدى الظواهر الاجتماعية وأصبح تأثيره واضحاً وعميقاً في جميع مجالات الحياة البشرية حتى أصبح عصرنا الراهن يسمى عصر التلفزيون"[4].

1- طه عبد العاطي نجم:**الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، م.س.ذ ص21.

2- محمد عبد العزيز الباهلي:**التليفزيون والمجتمع**، م.س.ذ ص100.

3- عبد الباسط سلمان:**عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ ص65.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي:**عولمة التليفزيون**، دار جرير، الطبعة الأولى، الأردن، 2005 ص 26.

وتأسيساً على ما سبق وضعت نسمة البطريق أربع مداخل لنظريات مدى تأثير التلفزيون على مشاهديه، وهي:

أ- نظريات تتعلق بتأثير التلفزيون على المعلومات العامة والتعليم:

وكل ما يرتبط بتوسيع نظرة الجمهور ومد آفاقه الثقافية[1]

قال أحد المشرفين عن التلفزيون البريطاني: " أنه أصبح المعلم العظيم للشعب فإن ما يقوم به الآن أكثر عمقاً وأبعد أثراً مما كانت تقوم به الصحافة المكتوبة بداية القرن العشرين "[2].

وتشير إحدى الدراسات التي أنجزت على متتبعي لتلفزيون، أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة 90٪عن طريق النظر و8٪ عن طريق السمع وعلى 2٪ عن طريق الحواس الأخرى، وأن العين تجذبها الحركة أكثر من أي شيء آخر[3]، كما أكد علماء النفس أنه كلما ازدادت عدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقين فكرة معينة، أدى ذلك إلى دعمها وتقويتها وتثبيتها في ذهن الملتقي، حيث تشير – في هذا الصدد- نتائج البحوث، أن استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة 35٪عند استخدام الصورة والصوت وأن مدة احتفاظه بها يزداد بنسبة 55٪ [4]، وإذا أضفنا إلى ذلك أن التلفزيون يمكنه الوصول إلى الملايين في وقت واحد، استطعنا أن نتصور الثورة الهائلة التي يمكن أن يحدثها في هذا المجال.

من جهة أخرى لاحظ عيسوي أن التلفزيون العادي يؤدي إلى اكتساب المعارف والمعلومات بطريقة عرضية غير مقصودة، فالهدف هو قضاء وقت الفراغ وفي ذلك يختلف عن التلفزيون المدرسي الذي يجلس المشاهد أمامه متعمداً أو متحفزاً

1- نسمة أحمد البطريق:**الإعلام والمجتمع في عصر العولمة:دراسة في المدخل الاجتماعي**، م.س.ذ ص310.

2- عبد الباسط سلمان:**عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ . ص65.

3- نسمة أحمد البطريق: **الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي**، م.س.ذ ص311.

4- نصيرة عقبي: **جمهور التليفزيون ونظرية الاستعمالات والإشباعات:دراسة مسحية في الاستعمال والإشباع على عينة من الأسر في الجزائر العاصمة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2003 ص36.

لاكتساب المعرفة، وقد يشعر بالارتياح والسعادة من المشاهدة، ويشعر بالمشاركة الوجدانية مع الغير مما قد يدفعه إلى المزيد من القراءة عن موضوع معين، ويتوسع بذلك من آفاقه. ولو أن بعض المعلمون يعتبرون أن المعلومات التي يقدمها التلفزيون متناثرة، مفككة، غير منتظمة، وليس لها معنى علمي كبير[1].

ب- نظريات تتعلق بتأثير التلفزيون على العلاقات الاجتماعية:

يقول عالم الاجتماع السوفيتي يوري ريوريكوف Y. Riorikov: " ظهرت في القرن العشرين وبفضل التلفزيون ...وحدة روحية لا مثيل لها في التاريخ...!! قبل ذلك كانت الوحدة الروحية تجمع الإنسان والإنسان أما الآن فتوحد ما بين الإنسان... والماكينة!! وهذه وحدة فريدة من نوعها !! فقد ظهر لدى الإنسان ما هو أشبه بفرد جديد...بل رئيس جديد في الأسرة هو التلفزيون الذي يغطي الثقافة والمعلومات والتسلية ويهز أواصر الأسرة هزا"[2].

وحول هذه النقطة تختلف الآراء، حيث يرى الكثير من الباحثين أن التلفزيون يزيد من الهوة بين الأفراد الأسرة الواحدة فتفتر العلاقات الحميمة بينهم بسبب الإدمان على مشاهدة جهاز يسمى التلفزيون، حيث تقول الباحثة تاجرت :" أن التلفزيون لا يقرب بين أعضاء الأسرة اللهم إلا ماديا، فقد تبددت تلك الساعات التي كانت تقضيها الأسرة في تبادل الخبرات والأفكار والآراء وتحولت إلى ساعات الذروة لمشاهدة التلفزيون"[3] ، و يبدو أن العياضي وجد في ذلك خيراً حيث يقول:" إن التليفزيون يعطي منفعة (لاإرادية) تلهي عن القلق في حياة الوحدة والعزلة وعن سأم الحياة الزوجية، وتخفف من النزاعات العائلية... "[4].

1- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص55.

2- محمد عبد العزيز الباهلي:**التليفزيون والمجتمع**، م.س.ذ. ص96

3- محمد عبد العزيز الباهلي:**التليفزيون والمجتمع**، م.س.ذ ص 95.

4- نصر الدين العياضي :**وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع**:آراء ورؤى، دار القصبة، الجزائر، 1998 ص31.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الكثير من عمليات سبر الآراء في الدول الصناعية أظهرت أن الوقت الذي يخصصه المواطنون (15سنة فما فوق)لمشاهدة التليفزيون، وذلك منذ1985 يراوح 15 ساعة في الأسبوع، حيث أن استفتاءات الرأي تظهر- مدللة على ذلك بإحصائيات علمية- أن الفرنسي مثلا يقضي8 سنوات من حياته في مشاهدة التليفزيون!!(1)ولو أن هذه النتائج تختلف من مجتمع إلى آخر و من ثقافة إلى أخرى.

وعلى العكس من ذلك يرى هتشنسون Hutchinson في كتابه (هنا التلفزيون نافذتك المفتوحة على العالم):" يعني التلفزيون أن العالم في منزلك وفي منزل جميع من يعيشون على ظهر الكرة الأرضية بأسرها ، إنه أكثر أهمية من وسائل الاتصال الأخرى التي أثمرها العقل الإنساني على الإطلاق، إذ يتبع تطوير علاقات الجيرة الودية ويحقق التفاهم والسلام في جميع أنحاء المعمورة أكثر من أي قوة مادية أخرى في عالم اليوم "(2).

أما عيسوي فهو يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن التلفزيون ليس وسيلة اتصال فحسب وإنما وسيلة يتجمع حولها كل أفراد الأسرة ليعيشوا في جو عائلي بدلا من خروج كل واحد منهم إلى مكان، ما فهو –حسبه- يقرب بين أعضاء الأسرة من خلال عملية المشاهدة رغم أن هناك تفاعل قليل بينهم حيث يشاهدون كما لو كانوا منفصلين(3)*.

1- الصادق رابح:**الإعلام و التكنولوجيا الحديثة**، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، 2004 ص22.

2- لوريترو فيلشس :**التليفزيون في الحياة اليومية**:ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، المجلس الأعلى للثقافة، 2000 ص11.

3- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ - ص136.

* وهنا يشك أن يقرب بين أعضاء الأسرة بالمعنى السيكولوجي، فالجلوس في حجرة نصف مظلمة ليس باعثا على تبادل المحادثات الجماعية، كما أن التليفزيون يجعل الفرد مستغرقا لا يقوم بأي نشاط آخر غير المشاهدة.

ج- نظريات تتعلق بتأثير التليفزيون على المعايير وسلم القيم الاجتماعية :

يقول سلمان :" لقد تمكن التليفزيون – وبكل جدارة - من أن يصبح القائد للجماهير في العالم، فهو الذي يطرح ما هو صحيح وما هو خطأ بل هو الذي يصحح الخطأ ويستهجن الصحيح وأصبح هو المسؤول عن كل كبيرة وصغيرة منذ نشأته"، هذا الأمر أدى به إلى أن يقوم بالانتقال بمشاهديه صغارا وكبارا إلى سلوكيات وعادات وممارسات جديدة لم تكن موجودة من قبل[1]، أو كما قال عيسوي أن التليفزيون أصبح عاملا من عوامل تقارب الأفكار والمشاعر بين أفراد المجتمع، فهو يساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير الثقافية والأذواق وهذا ما دفع بعض المختصين إلى القول أن التليفزيون يحوّل الناس جميعا إلى نسخ متشابهة، وأنه ذو أثر حاسم في تحديد أذواقهم وأمزجتهم وأفكارهم عن الحياة والروابط بين مشاكل الناس الحقيقية ونقدها أخلاقيا واجتماعيا[2]، والأهم من ذلك أن القيم التقليدية التي تبثها الأسرة –حسب تاجرت- آخذة في الاضمحلال و الضمور لتحل محلها قيما يصنعها التليفزيون من مختلف برامجه الثقافية، الترفيهية والاجتماعية (أفلام، مسلسلات، تمثيليات...)وهي دائرة ضخمة من الآثار الوخيمة ذات الحلقات المتصلة التي تشبع أفراد الأسرة بها[3].

وبهذا الخصوص يوضح الدليمي، أن هذا التأثير لا يحدث بطريقة فورية بل إن التليفزيون يترك آثاره على المدى البعيد، "فالقيم، المواقف والاتجاهات الفكرية والعاطفية وأنماط السلوك الاجتماعي لا يمكن تغييرها، تعديلها أو تأكيدها إلا على فترات من الزمن تطول أو تقصر على وفق طبيعتها ومدى تغلغلها في الفرد والجماعة وعلى وفق قوة مؤثرات التغيير، التعديل أو التأكيد"[4]، يقول أبو إصبع: "التليفزيون يؤثر في نظرة الإنسان إلى ما حوله وفي قيمه ويؤثر في قدرته على التمييز

1- عبد الباسط سلمان:**عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ ص65.

2- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص35.

3- محمد عبد العزيز الباهلي: **التليفزيون والمجتمع**،م.س.ذ ص95.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي:**عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص31

بين الحقيقة والخيال ويعزل بين الناس وبيئتهم ويقدم نماذجا للاحتذاء في السلوك، المظهر، المواقف واللغة"[1].

فما يخص مثلا برامج العنف في التليفزيون، نجد أن الباحث ويست D.J West يعتبر التليفزيون كأحد مصادر أو منابع العنف لدى الشباب، فالمشاهد يجد نماذج إجرامية مميزة لهم في الأفلام التليفزيونية، بمعنى أن الأحداث الجُناح يستمدون معاييرهم المنحرفة في القيم من خلال مشاهدتهم المكثفة لبرامج العنف والجريمة المصورة أحيانا بحجم أكبر مما هي عليه في الطبيعة مما قد يدفع الشباب إلى تجربتها[2]، وهنا يُستشهد بقول الباحث ستيفن Steven عن التليفزيون:"إذا صحّ أن السجن هو جامعة الجريمة، فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث"[3].

وفي هذا الصدد يرى شحاتة أن بعض الأفلام تصوّر المجرم بصورة بطولية بشكل يثير الإعجاب بشخصيته، أو الأفلام العاطفية تثير الغرائز وتسخر من بعض العادات والتقاليد والمثل العربية الأصيلة وتؤدي إلى الاستهتار بها، وهناك من الأفلام ما يصور إمكانية أن يعيش الفرد متعطلا بلا عمل أو عن طريق خداع الآخرين أو النجاح بالخطأ و الصدفة دون الاجتهاد والكفاح، وهذه الأفلام ترسم للمجرمين المناهج والتقنيات التي يتبعونها[4]، ولو أن تقدير الأثر بعيد الأمد للتليفزيون على المجتمع فيما يخص العنف والجريمة أمر مستحيل*.

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص217.

2- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ. ص49

3- محمد عد العزيز الباهلي:**التليفزيون والمجتمع**، م.س.ذ ص25.

4 -عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص50.

* فقد وجدت إحدى لجان التليفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية أنه لا توجد أدلة مباشرة على زيادة عامة في العنف كنتيجة لمشاهدة الشباب للتليفزيون، ذلك أن المشاهدة تؤدي للانحراف إذا كانت تلقى استعدادا نفسيا لدى الفرد وكانت ظروفه البيئية المحيطة به تشجعه على ذلك. فقد وجد أن الشباب العدواني وسيء التوافق مع محيطه يعتبرون العنف على شاشة التليفزيون أمرا مثيرا للدهشة والإعجاب وأنهم أكثر احتمالا للاستجابة العدوانية.

د- نظريات تتعلق بتأثير التليفزيون على الأحوال العقلية والفكرية:

بما فيها الأحاسيس والمشاعر باعتبار أن برامجه -حسب عبد العاطي نجم- تستطيع إعطاء المشاهد الإحساس بالألفة والصداقة، كما أنها لا تتطلب منه سوى أقل مجهود عقلي لمتابعتها[1]، هذه الميزة دعمها الدليمي حيث أكد أنه بفضل الصورة حظي التليفزيون بثقة مشاهديه وتصديقهم له لأنها من الوسائل التي قلما يرتقي الشك إليها، وحينما ترتبط الصورة بالحركة والصوت فإن ذلك أكثر مدعاة للثقة، ويوسع التليفزيون التركيز على التفاصيل مما يزيد من قدرته على الإقناع، وأكدت الدراسات أن استخدام اللون في التليفزيون يزيد من درجة إقناعه كما تزداد فعاليته في التأثير على المشاهدين[2].

يقول جيري ماندر Jerry Mander: " إذا قررت مشاهدة التليفزيون فليس هناك خيار سوى قبولك لسيل الصور الالكترونية التي ستأتيك، وأول تأثير لها أنها سوف تخلق موقفا عقليا سلبيا إذ ليس هناك من سبيل لإيقاف هذه الصور، كما يظهر أن المعلومات يتم استقبالها من مناطق اللاوعي في الدماغ أكثر من مناطق الوعي التي يُحتمل التفكير بها". كما يرى -ماندر- أن مشاهدة التليفزيون يمكن أن تُصنف كنوع من أحلام اليقظة باستثناء أنه حلم غريب، من مكان بعيد، وهكذا فإن المشاهدة تلعب دورا ضد شاشة عقل الإنسان[3]، وهذا ما يؤكده عيسوي، حيث قال أن التليفزيون يثير كثيرا من العمليات الشعورية واللاشعورية في الإنسان، فهو يثير فيه الخيال أو الوهم، فيعيش الإنسان مع خيالاته المستمدة مما يراه على شاشة التليفزيون، كما يثير فيه روح التقمص أو التوحد مع من يرى من شخصيات يُعجب بها أو آراء أو أفعال، كما تجعله يسقط آماله وآلامه وعقده ومخاوفه النفسية على ما يشاهد من مناظر وشخصيات وأحداث، وفيها يهرب

1- طه عبد العاطي نجم: **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، م.س.ذ ص139.

2 -عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص33-34.

3- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص208.

الإنسان من الواقع المؤلم ليحقق رغباته المكبوتة التي يعجز عن تحقيقها في عالم الحقيقة وفي ذلك نوع من التصريف[1].

يشاطره في الرأي بوعلي نصير حيث يقول:"...إن الأنماط و الأشكال التي تُعرض على التليفزيون تقود المتفرج إلى عالم سحري، هادئ، جميل وجذاب، فهي من هذا المنطلق تعمل على ترويج الذهول لدى الأفراد وتغرس في نفوسهم حب الاستطلاع والتطلع على الآخر إلى درجة كراهية الذات واللوم على كل ما هو أصيل والتشبث بكل ما هو دخيل"[2].

وصف جاك إلسون J. Elson مشاعره نحو الصور بأنها تنفذ من خلاله، أنها تذهب بعيدا داخله، تعبر وعيه في مستوى عميق من دماغه، كما لو كانت أحلاما، فهي لا تتطلب إلا أن تكون عيناك مفتوحتين، فالصور تنفذ وتسجل في الذاكرة سواء فكرت فيها أو لا، إنها تنسكب داخلها كسائل في إناء، والمرعب في كل هذا –حسبه- أن المعلومات تنفذ ولكننا لا نقوم برد فعل تجاهها إنها تنفذ مباشرة إلى أقنية الذاكرة ومن المحتمل أن نقوم برد الفعل لها فيما بعد، ولكننا لا نعرف آنئذ لماذا نرد الأفعال؟ فحينما تشاهد التلفزيون فإنك تدرب نفسك على عدم ردك على الأفعال[3].

كذلك يقال أن التلفزيون يشجع السلبية حيث أن المشاهدة لا تتطلب أي مجهود من قبل المشاهد، إضافة إلى أنه يجد الأفكار جاهزة، وقد يتعود على ذلك فيتكاسل حتى عن مجرد التفكير أو النقد أو التمحيص فيما يرى ويسمع، يضاف إلى ذلك أنه يرى أشياء مفروضة عليه ليس له دخل في تصميم البرامج أو وضعها،

1- عبد الرحمان عيسوي :**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص25.

2- بوعلي نصير :**العولمة: الأبعاد والانعكاسات الثقافية**، التحديات المعاصرة: العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص147

3- صالح أبو إصبع : **تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص208-209.

وكذلك ليس هناك إمكانية لإيجاد التفاعل بين المرسل في التلفزيون والجمهور المستقبلين[1].

وجدت هيملوايت أن مدمني المشاهدة على التلفزيون لديهم شعور قوي بالنبذ والطرد وعدم الأمان، أكثر من الذين يشاهدون في المناسبات فقط*، وأن الأشخاص الذين يرغبون في الانسحاب من الحياة اليومية(الواقعية) يلجأون إليه للمواساة والعزاء وكل هذه الصفات الانسحابية تعتبر مَرَضية[2].

وحول أثر التلفزيون على سلوك المشاهدين فهناك وجهتا نظر:

الأولى: يمثلها فيرنون Vernon Jones :حيث يقول أن البرامج الدرامية والموسيقية..في التلفزيون توفر مخرجا أو منفذا للانفعالات المحبوسة مثل انفعالات الغضب والعدوان والكراهية، فهي –حسبه- تعمل على تصريف و إزالة الانفعالات التي تثيرها هذه البرامج، وبهذا فهي تتبع من أصحاب النزعات الطبية العلاجية أو العيادية.

الثانية : يمثلها رولاند Rowland وغيره ومؤداها أن البرامج التلفزيونية ربما تنمي مشاعر الإحباط التي تؤدي بدورها إلى السلوك العدواني[3].

وهكذا يبدو أن التلفزيون بقدر ما هو وسيلة للتنفيس وصرف الطاقات المشحونة، ووسيلة للهروب من الواقع، فهو أيضا لا يقود المشاهد إلى عمل أي شيء

1- عبد الرحمن عيسوي:**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص25-26.

* وجد أن إدمان منتشر بين الأفراد الذين لا يشعرون بالأمن والذين يجدون صعوبة في إقامة علاقات مع الآخرين،لذا يبحث عن الصحة والأمن في التليفزيون ويحب مشاهدة الأشياء تليفزيونيا أكثر من مشاهدتها على الطبيعة، حيث يهوى المدمن–على التليفزيون– التمثيليات،المغامرات والألغاز التي تصور له الشخص الذي يتمنى أن يكون مثله والأسرة التي يتمنى أن يكون فيها، والحياة التي يتمنى أن يحياها، وهو الفرد الذي يجابه مشكلات لا يستطيع التغلب عليها.

2 -عبد الرحمن عيسوي: **الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، م.س.ذ ص 36.

3 -نفس المرجع السابق ص39-40.

على الرغم من تقديم نموذج يقوم بعمل أشياء أمامه، فلا ربما تعريض المشاهدين لبرامج مكثفة جعل تفكيرهم جامدا[1].

والملاحظ أن كثيرا ما تتعارض هذه النظريات مع بعضها البعض، ففي حين يرى البعض أن التلفزيون يعمل على نقل الثقافة والترويج لها بشكل فني مناسب ثم تقديمها تحت غطاء طابع الديمقراطية وبالتالي توسيع الآفاق الثقافية للأمة[2]، يذهب آخرون إلى أنه –أي التلفزيون- باستغلاله لخاصيتي الصوت والصورة فقد قضى على ديناميات السلوك الفردي، حيث أصبح الأفراد سلبيون قابعون لمشاهدة ما يقدمه لهم التلفزيون من برامج[3].

استنادا إلى قول الباحث مارتن جروتيان M. Groutienne:"إن معنى الحياة التلفزيونية أننا لا نحيا حياتنا، إنما يحياها لنا، ويفكر لنا، ويسمع لنا، ويعطينا الحلول الجاهزة المطلوبة لذلك وهو بهذا يعطل قوى الفكر، ويعوق تطور الشخصية واستقلالها، فالناس لا يتمكنون من تكوين آرائهم وبلورة أفكارهم، وهكذا يصبح الشباب والمشاهدين في حالة من الضياع الكامل ولا يستطيعون القيام بأي نشاط تلقائي"[4].

معنى ذلك أن طول الجلوس أمام الشاشة تفقد المشاهد عنصر الفعالية... حيث يؤخذ على التلفزيون أنه وسيلة اتصال من جانب واحد (أحادية الاتجاه)، فلا يستطيع المشاهد أن يسأل المحاضر مثلا أو يتفاعل معه أثناء إلقاء المحاضرات، كذلك المحاضر لا يستطيع أن يشاهد ردود فعل مشاهديه أو انفعالاتهم وبالتالي لا يستطيع أن يعدل أو يغير من أسلوبه بحيث يتماشى مع ميول المشاهدين وقدراتهم[5]،

---

1 - نفس المرجع السابق ص 37-38.

2 –نسمة أحمد البطريق:**الإعلام والمجتمع في عصر العولمة:دراسة في المدخل الاجتماعي**، م.س.ذ ص310.

3 –نفس المرجع السابق ص310.

4- صدقي رشيد: **أثر التليفزيون في تكوين ثقافة المراهقين:دراسة ميدانية بالجزائر**، مذكرة لنيل شهادة الدبلوم العالي في علم المكتبات، جامعة الجزائر، 1993 ص 40.

5- نفس المرجع السابق ص40.

من جهة أخرى يؤكد الدليمي أن:"افتقاد التلفزيون في خصوصيته الاتصالية إلى طابع المواجهة يجعله يتجه إلى مخاطبة الجماهير من خلال مستوى عام يحاول عن طريقها جذبهم وهذا المستوى الثقافي والاجتماعي العام، ينخفض كلما ازداد انتشار هذه الوسيلة وذلك هو السبب في السطحية التي تؤثر على أغلب مضامينه[1]".

وفي هذا السياق، يأتي التلفزيون في مقدمة وسائل الإعلام من حيث قدرته الهائلة في تأثير على الأفراد، حتى أطلق عليه تسمية (الصندوق السحري)، والذي قد يكون الدافع الكامن وراء السلوك الإنساني كما أشار إلى ذلك عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان M. Mcluhan عندما قال :"إن الوسيلة هي الرسالة"[2].

فإذا كثيرة هي المصطلحات التي أُطلقت على التليفزيون ابتداء من الدواء الشافي في الثقافة، وحتى الأنبوب الساذج الذي يعرض صوراً من مناطق خالية، كما اعتبره الجمهور متميزاً، دقيقاً، متحرراً ومتعصباً، واتهموه بتحطيم البنيان الأسري وتجريدنا من حريتنا الشخصية، ومع هذا يعد القوة العظمى الثالثة ولعل أبلغ وصف يوضح مدى التأثير الذي يتركه التليفزيون ما ورد في الموسوعة الأمريكية عام1980 حيث أنه وُصف بأنه أصبح يمثل عين الإنسان وأذنيه في العصر الحديث، هذا "المهندس" الذي حوّل الكون الشاسع إلى شاشة صغيرة يمكن التجوال في أرجائها عبر جهاز التحكم عن بعد"[3] " control Remote.

هذه المعطيات تقدم فكرة عن الأهمية التي تطبع جهاز التليفزيون والدور الأساسي الذي يلعبه في حياتنا اليومية، الفردية والمجتمعية، لكن ما هي الميزات والخصائص التي جعلت من التليفزيون يحتل مثل هذه المكانة... الخطيرة في حياتنا؟.

خصائص التليفزيون:

♦ التليفزيون كما هو معروف "فرجة" ولذلك فقد منحته الصورة إمكانية أن يكون أقرب بكثير إلى الشكل الشفهي وأكثر مباشرة في الاتصال، لا سيما مع ما

1- عبد الرزاق محمد الدليمي:**عولمة التليفزيون** ، م.س.ذ ص39.

2 -عبد الرزاق محمد الدليمي:**عولمة التليفزيون** ، م.س.ذ ص40-41.

3 -مجد هاشم الهاشمي: **الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل**، دار المستقبل، الأردن، 2001 ص27.

تتميز به من تأثير يفوق تأثير المواد المسموعة والمطبوعة، وهذا ما يكسبه مصداقية تفوق مصداقية وسائل الإعلام الأخرى، خاصة وأنه لا يحتاج إلى مهارات مميزة للمتلقين لاستقبال الرسائل الاتصالية[1]، كما يعتمد في مخاطبته للجماهير على الصورة والصوت واللون في آن واحد، الأمر الذي يؤدي إلى عرض الأحداث بطريقة مشوقة وتقديم الثقافة والمعرفة في صور جذابة مبسطة[2].

- **الاستحواذ**: فهو يجمع بين السمع والبصر، ويشد انتباه المشاهد بما يعرضه من صور وأحداث كما أن استخدام فنون الإخراج والسيناريو وفرز الألوان يزيد من التأثير العاطفي على المشاهد*.
- يُسهم التليفزيون في تشكيل الحقيقة الاجتماعية للفرد والجماعة**، فمن المعروف أنه عبر طرق الإيحاء والمحاكاة والتفاعل الاجتماعي يساعد المشاهد على تكوين، تغيير وتعديل مواقفه واتجاهاته نحو نفسه والآخرين في العالم[3]، وهذا ما يستدعي توفر عنصر التفرغ التام عند مشاهدة التليفزيون لمتابعة ما يُقدم من خلاله وبالتالي جعل الرسالة المطلوب إيصالها إلى المستقبلين أكثر رسوخاً ومن ثم أكثر فعالية وتأثيرا[4].

1- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص23.

2- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون** ، م.س.ذ ص33.

* ولو أن تأثير التليفزيون لا يتحدد فقط بقدرته على تقديم الصوت والصورة، وإنما بعناصر ومتغيرات عديدة ليست أقلها النظرة الثقافية للجمهور تجاهه، والظروف المحيطة بإنتاج وتلقي المضمون والثقافة الشعبية السائدة التي في إطارها تفهم المعاني ودلالات المشهد التليفزيوني.

** هناك من يحدد وظائف التليفزيون بوظيفتين أساسيتين هما:

-وظيفة واقعية: تساعد على الاطلاع على العالم الحقيقي المعاصر من خلال البرامج الإعلامية وبعض البرامج الثقافية والسياسية.

-وظيفة غير واقعية: خيالية تساعد على الهروب من الواقع ومن الضغوط النفسية والاجتماعية ونسيان المتاعب لكي يلاقي نفسه في عالم مغاير للذي يعيشه وذلك من خلال تقمص مشاهد في الإعلانات التجاري، التمثيليات، الأفلام الدرامية: العاطفية، المثيرة والعنيفة.

3- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص33.

4 - نفس المرجع السابق ص 23.

كل هذا يوصل إلى الإدراك بأن التليفزيون كما وصفه أبو إصبع سلاح ذو حدين: فهو من جهة يؤدي إلى تزييف الوعي، و الإحساس بالإحباط، كما يعطل ملكة الخيال يشجع الروح الاستهلاكية من خلال الإعلانات، يعزز الروح النمطية ويقوي روح العنف...ولكنه في المقابل يمكن أن يكون عاملاً مساعداً في التنشئة الاجتماعية، يستطيع أن يغرس القيم السائدة، يعزز الشعور بالانتماء الوطني والقومي، كما يمكن أن يزود المتلقي بالمعلومات الجديدة، و يزيد من ثروته اللغوية ويعلمه بعض أنماط السلوك الجيد[1].

ومن ضمن البرامج التي يقدمها التليفزيون تم اختيار مضمونين لمحاولة دراسة تأثيريهما الثقافي وهما الإعلان و الموسيقى (الفيديو كليب):

أ - **الإعلان:** يقول جورج جربنر G. Gerbner: " إن وسائل الإعلام الضخمة ليس لديها ما تقوله لكن الكثير لتبيعه "[2]، وعلى هذا الأساس فإن الإنفاق الإعلاني العالمي يبلغ حسب تقديرات الخبراء –في آخر إحصائياتهم- أكثر من 1000 مليار دولار سنويا، أي ما يقترب من ضعف الدخل العالمي من النفط[3].

ولكن الإعلان ليس مجرد ترويج لسلعة أو خدمة ما، إنه يحمل في طياته ثقافة ويعبّر عنها من عدة أوجه:

✓ إنه يحمل معه ثقافة مُصدر السلعة.

✓ إنه يحمل معه ثقافة المُعلن ومُصنّع السلعة.

وينظر الناس إلى الإعلان على أنه رسالة مغرية لشراء السلعة و بها عناصر جذب متنوعة، فهي تعتمد على الكلمة المشحونة عاطفيا والكلمة ذات القوة الإقناعية وتعتمد، وتعتمد على الصورة الجميلة والمثيرة للانتباه، وتعتمد على

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص220

2- Naom Chomsky et Robert Mc chesmey : **Propagande, médias et démocratie,** opcit, p 111

3 -مصطفى حجازي: **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**، م.س.ذ ص 63.

الموسيقى والرقص والقليل من الناس ينظرون إلى الإعلان كمادة ثقافية يمكن أن تحمل معها جوانب إيجابية وسلبية[1].

أيضا فقد أصبح الإعلان صناعة تقوم على أسس فنية وعلمية وتعمل فيها فرق متعددة الاختصاصات، وهي تعرف قوة وفاعلية متزايدتين لهذا السبب يدخل فيها كل علوم التأثير ابتداء من مبادئ الإحساس والإدراك والتنبه والمؤثرات الصوتية واللونية والحركية والإيقاعية، وفي الإعلان تُمارس أكثر درجات التقنية التليفزيونية تطورا كي تأتي الرسالة الإعلانية مكثفة، قوية، مؤثرة وفاعلة تخترق الوعي مباشرة وتتراكم في الذهن بدون حاجة إلى تأمل أو تحليل، المهم الانفعال بهذه الرسالة الإعلانية والاستسلام لها ولآثارها*[2].

وفي نفس السياق يقول فيليب بروتون P. Breton و سيرج برول S. Proulx:

" الإعلان ليس فقط تقنية تجارية يريد من خلال دعواته الآلية أو الإقتراحية أن تجعل لبعض الأشخاص شراء السلع والخدمات الخاصة أمرا ضروريا ومهما، وإنما الآن هو منتج للنظام السوسيوثقافي، جزء من الفلكلور المعاصر للحداثة، واجهة لهذه الثقافة المزركشة التي تغطي خيال الإنسان المعاصر (الحديث)، عامل مكوّن ومحرك للثقافة الجماهيرية "[3]، وبالتالي فإلى جانب بعده الاقتصادي

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص 64.

* ولذلك توظف شركات الإعلان العالمية الخبراء في علم النفس، التحليل النفسي، الأنثروبولوجيا، علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع لدراسة دوافع الجمهور، سلوكه، عاداته، قيمه، تفضيلاته، نقاط مقاومته ونقاط تجاوبه، فمن خلال هذه المعرفة الدقيقة تقدم الإعلانات كي تجد منافذ التقبل مفتوحة أمامها وكي تتجنب الاصطدام بنقاط المقاومة.

2- مصطفى حجازي: **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**، م.س.ذ ص 64.

3- Philippe Breton et Serge Ploux : **L'explosion de la communication : la naissance d'une nouvelle idéologie**, opcit p 122

التجاري من خلال تنشيط الحركة الاقتصادية، فإن الإعلان يحمل معه بعدا ذا أثر سيئ من حيث إشاعة النمط الاستهلاكي في مجتمعات غير منتجة وتعويد الناس على شراء سلعات كمالية، مما يشكّل فيما بعد عادات تتسلل إلى ثقافة الناس وحياتهم اليومية[1].

والحقيقة فإن اقتصاد السوق أصبح يخترق وسائل الإعلام في أبسط أوجهها، ففي أواخر هذه العشرية ارتفع حجم الإشهار بسرعة كبيرة، فالشبكات التليفزيونية الأمريكية تبث حاليا ما يقارب 6000 إشهار في الأسبوع، الأمر الذي علقت عليه صحيفة Business Week : " المستهلك دُفن حيا تحت الإعلانات "[2].

فالإعلان حسب حجازي هو: " إعلان استهلاكي أساسا، إنه ابن اقتصاد السوق، ندر أن وجدنا إعلانات عن الأداء أو الإنتاج، وإذا أغرق المشهد بالإعلانات الاستهلاكية فإننا سنكون أمام صناعة ثقافة الاستهلاك ليس إلا، الاستهلاك يصبح هو القيمة، وهو المرجع، وهو الموجه، بصرف النظر عن كيفياته "[3]، فالشباب حسب علي ليلة لا يهتم بمضمون الإعلان بقدر ما يهتم بشكله الذي يقدم له سلع الاستهلاك والغذاء، فحاجته إلى الاستهلاك أو إلى الطعام في حالة من التشكل الدائم أو الصيرورة المستمرة، تولّد لديه استعدادا للسعي الدائم وراء الجديد بغض النظر عن الذوق والمذاق والفاعلية، ... أليس هذا طعام السادة ؟!!![4].

تقول فريدة النقاش: الإعلان مادة ثقافية أيضا لأنه يسهم في خلق نمط حياة، في تأصيل عادات ونبذ أخرى، في خلق مثل نموذجي للسكن والملبس، المأكل والخلق، للادخار والشراب والترفيه، للحلم وطريقة تحقيقه، وكلما زادت تبعية

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص 64.

1 Naom Chomsky et Robert Mc chesmey : **Propagande, médias et démocratie,** opcit, p 121-122.

3- مصطفى حجازي: **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**، م.س.ذ ص 68.

4- علي ليلة: **شبابنا آمالنا:الثقافة العربية والشباب**، م.س.ذ ص 62.

اقتصاد بلد نام للاقتصاد الرأسمالي كلما زاد هذا النمط الجديد الذي يقدم عبر الإعلان انتشارا، ولعب دورا متزايدا في ترجمة الجانب الروحي والوجداني للتبعية لأن المثل الأعلى الاستهلاكي المرتبط بالبضاعة سرعان ما يلبس زيا قوميا ومحليا، يصبح العالم الحقيقي المرجو أمريكيا، ويصبح الأمريكي هو الإنسان تماما كما أن " العملة " هي الدولار[1]، فالبيبسي مثلا إضافة إلى جمال الصورة واللون والإيقاع الذي يفتح الشهية ويثير الإحساس بالعطش والدافع إلى الشرب لإرواء العطش، إضافة إلى هذا البعد الفيزيولوجي تركز أساسا على الشباب ومرح الشباب، ومن هنا أصبحت تعتبر مشروب الشباب وبرزت منه تسمية الشباب الراهن عالميا باسم " جيل البيبسي "، يربط في كثير من الإعلانات عن البيبسي بين هذا الشباب وبين موقف شبابي فيه مرح أو مغامرة أو دعابة أو إثارة، وفي كل الأحوال هو موقف يبدو أن الشباب فيه متميزون بانطلاقتهم، ويصبح هذا الشراب بالتالي شراب الشباب المتميز، وقس على ذلك إعلانات الكوكاكولا، السجائر، العطور، المساحيق، أغذية الأطفال و...[2].

في عام 1996 حدث تزاوج بين هوليود وشركة Madison Avenue مع إصدار فيلم " Space Jam" من إنتاج تايم وارنر، حيث اعتمد على إشهار للأحذية نايك Nike كان بطلاه النجمان Michael Jordon وBugs Bunny، عملية الإخراج (أي إخراج الفيلم) أوكلت إلى أكبر مخرج متخصص في مجال الإعلانات، حيث أن الهدف الوحيد للفيلم هو أن يُباع، أن يُباع أكثر ودائما.

وكانت تايم وارنر تأمل في الوصول إلى بيع أكثر من مليار دولار من اللعب، الملابس، الكتب وأدوات الرياضة المستوحاة من شخصيات الفيلم[3].

1- صالح أبو إصبع: **تحديات الإعلام العربي دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، م.س.ذ ص 65.

2- مصطفى حجازي: **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**، م.س.ذ ص 65.

3 Naom Chomsky et Robert Mc chesmey : **Propagande, médias et démocratie,** opcit p 121

أما على مستوى الإعلانات التليفزيونية التي تبث على الشاشات العربية فإنها تواجه مجموعة كبيرة من الانتقادات مثل:

- يستقي منتجو الإعلان في الدول العربية أحيانا أفكارهم من أدبيات وأحداث تراثية على نحو يسيء إلى التراث العربي إذ يحرّف مضمونه ويشوه مغزاه التاريخي، ويضعه في قوالب فنية وتقنية هزيلة، تحط من شأنه وتثبت في أذهان الأجيال الشابة نظرة ازدرائية نحوه.
- يدمّر الإعلان العربي بصورة عامة –وتدريجيا- قدرة الإنسان العربي، ويعمد إلى خلق حالة من تعوّد تجرّع ثقافة مبتذلة تسد آفاق التطور وإمكانات الارتقاء[1].

وهكذا فسيكولوجية الإعلان تقوم على بيع الأحلام، دغدغة المشاعر وإثارة الرغبات، من خلال مختلف أشكال الربط ما بين السلعة والصحة أو الجمال أو الجاه أو الشباب أو الحظوة أو المغامرة... وهو ما لا تسهل مقاومته... ليست المشكلة في الإعلان بحد ذاته بل في توجهاته والأيديولوجيا الاستهلاكية التي يروّجها ويرسّخها، إنها في بناء تصوّر عن العالم ونمط من الوجود تقوم مرجعيته الأساسية وأحكام قيمية على الاستهلاك على اختلاف ألوانه، وبالطبع الشاشة التليفزيونية هي الساحة والأداة الأهم لهذا التنميط الكوني.

ب - الموسيقى (ظاهرة الفيديو كليب):

بدايات الفيديو كليب دشنت أول ظهور لها مع نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وكانت بذلك تتويجا لتطور ملحوظ عرفه المسار الموسيقي في العالم من الموسيقى المسموعة في الإذاعات والحفلات إلى الموسيقى المصاحبة للفيلم للتأثير على المشاهد، إلى الأوبرا السينمائية حيث القطع الغنائية تؤطرها قصة وسيناريو وحوار الفيلم، إلى الأغنية التصويرية المستقلة عن الفيلم السينمائي، ثم أخيرا إلى الفيديو

1- راسم محمد الجمال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مصر، 2006 ص 173.

كليب الذي يعتبر احتياطيا كبيرا لتغطية الثغرات في الأداء الغنائي للمطرب أو الضعف الموسيقي في التلحين والتوزيع أو هشاشة الكلمات في النص الشعري أو الزجلي... وبذلك يكون الفيديو كليب قد فتح شراعا ثالثة للأغنية، فمن نص شعري مكتوب إلى نص ملحون مسموع إلى نص مرئي ممثل[1]، وأصبح يقدم الفن الجديد المسمى " الفيديو كليب " لأبنائنا وخاصة الشباب منهم كل يوم ما هو جديد وعصري، ولكنه في معظمه كما تقول ختام محمد يقدم لهم على أطباق مذهبة ومزخرفة بنقوش من الزيف والتزوير الأفكار التافهة والمعاني الرخيصة، فما نقوشه ولا زخارفه –تضيف ختام- إلا تعرّ وكشف للمفاتن وحاصرة جريئة لأخلاق الأسر، عاداتها ودينها[2].

وقد حذرت دراسة علمية من انتشار أغاني الفيديو كليب في القنوات الفضائية العربية على الشباب والأسر في المجتمع العربي، معتبرة أن أغاني الفيديو كليب فن مستحدث متمرد على القوالب الكلاسيكية والمحلية والتراثية، وبالتالي فهو فن التفاهة اللذيذة، حيث أبرزت الدراسة أن من أهم سمات وملامح أغاني الفيديو كليب: الإغراق في تعرية الجسد، أنثنة الغناء مع غياب المضمون الهادف والإغواء بالصورة، هتك المحرّم بمبرر التحرر والحداثة.

وأضافت الدراسة أن 83%من أغاني الكليبات ذات محتوى عاطفي يرتكز على العلاقة الحسية بين الرجل والمرأة، و13% ذات محتوى شعبي يخاطب الفئات الفقيرة ويعكس ثقافة قاع المجتمع، وذلك مقابل 03% فقط من الأغاني ذات محتوى اجتماعي، و 01% فقط ذات محتوى وطني، وأن الغالبية العظمى من

1- محمد سعيد الريحاني: الأغنية العربية المصورة: الكائن والممكن، http://misralhura.jeeran.com/freevoice/archive/2006/10/111720.html ، 2008/04/06.

2- ختام محمد: الفضائيات... ضيف فضولي في المنازل، http://bshra.com/magazine/85/index.html، 2008/01/30.

هذه الأغاني قصيرة لا تزيد عن خمس دقائق سريعة الإيقاع، فاقدة للمعنى ومحدودة الخيال[1].

إلى جانب أن المتتبع للإنتاج الغنائي العربي المصوّر " الفيديو كليب " ينتبه منذ الوهلة الأولى لمشاهدته لأغلب الفيديو كليبات العربية هيمنة مثيرة وغير مبررة للإيقاع الغربي والأدوات الموسيقية الغربية واللباس الغربي وأشكال التحية الغربية والإيماءات الغربية والفضاءات الغربية (برج إيفل، ساحات روما، ساحات لندن...) فالفيديو كليب حسب الريحاني هو نقل من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية " بحذافيره" دون أن يعرف " تأصيلا " في الذاكرة الغنائية أو" تكييفا " مع الواقع العربي كما حدث في أغلب الفنون التي نشأت في الغرب وحجّت إلينا، الفيديو كليب " فُرض فرضا " على المشاهد العربي ليظل محافظا على أصوله الغربية مغيّرا فقط لغة تواصله، ليصبح فيديو كليبا غربيا بلغة عربية[2]، حيث وجدت الدراسة السابقة أن اللغة العربية باعتبارها أحد مقومات الهوية العربية، مستهدفة في أغاني الكليب هذه التي تشوهها باستخدام كلمات " منحوتة غربية " فضلا أن 91% منها تستعمل عامية مغرقة في الإسفاف، 43% إباحية، ولا تزيد الفصحى فيها عن 05%، مقابل 04% منها تستعمل كلمات أجنبية بما يعكس إصرارا على إشاعة تغريب مريب[3].

أكد استبيان أجرته مجلة " ولدي " أن 98% من الأبناء يتابعون الفيديو كليب بشغف!، وأجري الاستبيان على 57 من آباء وأمهات، و65 من الأبناء في كل من (الكويت، السعودية والإمارات العربية المتحدة) أن:

- الأبناء من سن 03 أعوام إلى 18 سنة يشاهدون الفيديو كليب.

1- التأثيرات السلبية للفيديو كليب على الأسر العربية، http://www.al-khayma.com/youth/video+clips_15022007.html، 2008/04/06.

2- محمد سعيد الريحاني: الأغنية العربية المصورة: الكائن والممكن، م.س.ذ

3- التأثيرات السلبية للفيديو كليب على الأسر العربية، م.س.ذ

- 92.3% من الأبناء يتابعون باستمرار الفيديو كليب.
- 7.7% فقط من العينة هي من لا تحرس على متابعتها من الأبناء.
- 39% من الأبناء تعجبهم كلمات الأغنية، و31% يشاهدونها لجمال المغني/ المغنية، الراقص/الراقصة.
- 26 % يجذبهم إخراج الأغنية، وعلاقة المرأة بالرجل فيها.
- 25% يتابعها لما تحويه من إثارة وتشويق[1].

إلا أنه وبشكل عام فإن الفيديو كليب وفي طبعته العربية يحيل كل شيء إلى سلعة معروضة للبيع، وتبقى المرأة أهم أدواته الإشهارية وأهم سلعه في الآن ذاته، فالمرأة كجسد وسيلة ناجعة لجرّ المشاهد لمشاهدة آخر " تخريجة " غنائية مصحوبة بآخر الإعلانات المشحونة شحنا في خلفية الفيديو كليب، لذلك لا يتورّع مخرج الفيديو كليب التجاري في استثمار " العري الجسدي "، ليس كشكل تعبيري في سياق تحرري وإنما في أشكاله المجانية وغير الوظيفية واللامبررة، ... والنتيجة: عودة إلى أزمنة الرق والنخاسة، واختزال المرأة إلى مجرد جسد مغري[2]، وتضيف الدراسة أن 69% من تلك الأغاني تعتمد الإثارة في المشاهد التي ترافق كلماتها والتي تبرز الجسد فقط، وتجمع بين الطرب والموديل في مشاهد ساخنة تثير خيال الشباب المكبوت جنسيا، المحروم من فرص العمل والقابل للتغريب[3].

وباعتبار الفيديو كليب إنتاجاً يحيل كل شيء إلى سلع فأغانيه على حد تعبير هالوران Halloran ليست وليدة الصدفة، وإنما هي نتاج جهد منظم يسعى إلى تحقيق العديد من الأهداف التي يصبو إليها المنتج[4]، وتأسيسا على ذلك فالفيديو

1- ختام محمد: **القنوات الفضائية العربية نعمة أم نقمة؟**،
http://www.annabaa.org/nbanews/50/293.html

2- محمد سعيد الريحاني: **الأغنية العربية المصورة: الكائن والممكن**، م.س.ذ

3- **التأثيرات السلبية للفيديو كليب على الأسر العربية**، مجلة الخيمة، م.س.ذ

4- حسن علي **محمد**: **استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية**، مجلة الإعلام المعاصر، العدد 124، الكويت ص 801.

كليب العربي- في طبعته الحالية- ما هو إلا سليل ثقافة " الأمركة" ورسالته تغريبية من الجيل الثاني، وأهم أدواته في تحقيق أغراضه التغريبية هو " التكرار": التكرار لتعويد المشاهد على المضامين والقيم المتدفقة من الفيديو كليب، التكرار لترسيخ القيم الأمريكية، التكرار لجعل المضامين المعروضة ذوقا عاما... ، وهكذا فالفيديو كليب هو أحد أهم الميكانيزمات في " أمركة الأذواق " في سياق " عولمة الأذواق "[1].

وأشارت الدراسة إلى أن من بين العوامل التي أدت إلى ظهور أغاني الفيديو كليب انتشار ثقافة الاستهلاك، تأثيرات ما بعد الحداثة في الثقافة والإبداع، ظهور العولمة، انتشار الأغنية الشبابية، والتقدم التكنولوجي في مجال التليفزيون، كما أسهم في سرعة الكليبات الغنائية وانتشارها القنوات الفضائية الغنائية، التي يتزايد عددها باستمرار لكونها محدودة التكاليف، حيث لا يتجاوز الاستثمار فيها حوالي 350 ألف دولار مع ربح مضمون لا يقل عن 90% بعد خصم مصاريف الإنتاج[2].

وفي الأخير يبقى الخطر، كل الخطر وراء استيراد " النسخ المقدسة " من مفهوم الفيديو كليب الغربي وتطبيقها " حرفيا "، يكمن في " اجتثاث " المشاهد العربي من هويته، ففي غياب تأصيل ثقافة الفيديو كليب يبقى الخطر المحدق هو " تغريب " المشاهد حيث لا شيء في الفيديو كليب العربي يشبه الحياة العربية، حتى المطرب البدوي بلباسه البدوي ولهجته البدوية يغني في (برودواي Broadway) رفقة شقراوات يرقصن في الشارع على إيقاع الأغنية المصوّرة يدرن حوله في غنج لا هو بالعربي ولا هو بالأمريكي.

1- محمد سعيد الريحاني: **الأغنية العربية المصورة: الكائن والممكن**، م.س.ذ

2- **التأثيرات السلبية للفيديو كليب على الأسر العربية**، مجلة الخيمة، م.س.ذ

2-السينما:

في مقال على شبكة الإنترنت مجهول الكاتب تحت عنوان: " وسائل التغريب والغزو الثقافي... إعلامنا سلاح دمار شامل "، اعتبر أن الإعلام المرئي عن طريق الأفلام الخليعة، تعتبر من أهم جنود الاستعمار التغريبي الذي تشنه وسائل الإعلام، حيث نرى حرب العقيدة جهارا: محاربة تعدد الزوجات، اتخاذ الخليلات والعشيقات، تمرد الزوجة على زوجها والسخرية من استئذانه في أمورها، بل مباركة الأب لابنته في اتخاذ الأصدقاء باسم الحب... [1].

منذ البداية اهتمت الصور المتحركة أو السينما، من حيث المضمون بالذوق الثقافي والمستوى التعليمي المنخفض، وحتى أول الأفلام في عروض (كينيسكوب إديسون) kinétoscope *، كانت تدور حول أعمال مثيرة مثل " فاطيما ورقصة هز البطنFatima et la danse du ventre "، وقد كانت فاطيما هي الحدث المثير في أحد عروض معرض شيكاغو الدولي عام 1893، وبالنسبة لمتفرجي ذلك الحين كانت الكوميديات السخيفة والساذجة تلقى شعبية كبرى، ونفس الشيء كان يحدث في مشاهد العري (في حدود معايير ذلك العصر) مثل فيلم قصير كان عنوانه "كيف قدمت بريجيت طبق السلاطة وهي عارية ؟ ".

فقد اهتمت السينما في مراحلها الأولى بالتوافه والأشياء التي لا قيمة لها، وكان مضمون الفيلم لا يعني الكثير لأحد... وكانت الحركة كشيء جديد هي العامل الأهم، فالمتفرجون كانوا يحدقون في أية صورة تتحرك وأفواههم مفتوحة من الدهشة[2].

1- **وسائل التغريب والغزو الثقافي**، http://I3lam06.jeeran.com/archive/2006/11/117396.html، 2008/03/7.

* جهاز اخترعه إديسون حيث يمكنك أن تشاهد من خلاله مجموعة من الصور المتحركة (أي ما يعرف بصندوق الدنيا).

2- ملفين ديفلر وساندرا روكيش بول: **نظريات وسائل الإعلام**، م.س.ذ ص 122-123.

ولعل - حسب بولكعيبات- السينما والمسلسلات التليفزيونية الأمريكية تعتبر من أهم النواقل التي تمارس عن طريقهما التأثير الأكثر وضوحا والأكثر مشهدية في الثقافة الجماهيرية الأمريكية... فهوليود ليست فقط الرمز العالمي لصناعة التي أصبحت خلال القرن العشرين (20) المصدر الأساسي للترفيه (والتأثير الثقافي)، لكن الأفلام المنتجة في الولايات المتحدة الأمريكية، هي أيضا الأوسع توزيعا فوق الكرة الأرضية، والأكثر مردودية، إنها تمثل 80% من العائدات العالمية من الصناعة السينماتوغرافية *[1]، وفعلا فقد نجحت السينما الأمريكية كما يقول عيساوي وإلى حد كبير في استمالة العقول وتعويدها على تحبيذ نمط الحياة والاستهلاك على الطريقة الأمريكية، وبات غزو الصور يغطي الكوكب كله، حيث يعصف بالحياة الاجتماعية الهادئة[2]، ولعل ما أحدثه المسلسل الأمريكي" دالاس Dallas " خير مثال على ذلك، فحسب بول عطا الله فقد جعل هذا المسلسل الأسطورة Le mythe تحل محل التطور التاريخي Le développement historique، وذلك بتحوّل أبطال هذا المسلسل إلى قيم عالمية Des valeurs universelles ليس لها أدنى علاقة بالوسط أو البيئة الثقافية بإبرازها لخصائص وسمات إنسانية تخرجها من كل سياق، مما يفقد المسلسل بعده التاريخي، بتحوّل كل من التمثيل والشكل الدرامي إلى قيم في حد ذاتها، من أجل خدمة عملية ربط المشاهد واستهلاكه للفيلم، كما حلت المشاكل الشخصية محل المشاكل الاجتماعية وعوّضت النرجسية Le narcissisme السياق الاجتماعي كونها أصبحت عبارة عن قيمة اجتماعية مثالية يحاول الأفراد

---

* فمثلا في عام 1991 تحصلت 09 أفلام أمريكية على أحسن المداخيل من ضمن العشرة أفلام الموجودة في قائمة أحسن الأفلام من حيث المداخيل في قاعات السينما الفرنسية، وقد انتقلت مداخيل الأفلام الأمريكية المعروضة في مجموع الدول الأوروبية من 57 %إلى 71% سنة 1993، ووصلت إلى 80 %سنة 1996، في حين لا تسمح الولايات المتحدة الأمريكية بدخول سوى من01 إلى 03% من الأفلام الأوروبية إليها

1- فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، م.س.ذ ص 55.

2- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص 80.

الوصول إليها، بتقليد أبطال المسلسلات، مع مراعاة مظاهرهم الخارجية وإتباع الموضة، حينها يصبح الفرد خاضعا لمعايير اجتماعية غير ديمقراطية، ناتجة عن منظومة صناعية، تحل الجسم محل العقل[1].

وهكذا كانت هذه الصناعة التي تحمل سيولا جارفة من النموذج الهوليودي كما وصفه عيساوي التي تنتج الثقافة وصناعة السلوك الإنساني الحداثي حسب متطلبات الربح والخسارة، البيع والشراء، في المؤسسات الهوليودية، هذه الثقافة التي تسعى إلى إخراج العالم كله من قيمه ومثله العليا، وعلى وجه الخصوص إخراج العالم العربي والإسلامي من قمقمه الثقافي المحمي بالدين الإسلامي، كي يتمكن بعدها من رشه بما يريد من زخات الثقافة الهوليودية، والتي ستحوّله إلى مستهلك غبي لمنتجاتها الاستهلاكية[2].

هذه العلاقة الصريحة بين الترويج لهذا النوع من الثقافة ومردودها الاقتصادي جعل البعض يتحدث عما يسمى ب: " الحوار الثقافي الجديد للسوق "، والذي نشأ عنه استبدال مفهوم المواطن بمفهوم المستهلك، حيث ما يلاحظ عن الرؤية التي تشكلها الثقافة الجديدة أنها تدفع الإنسان نحو عالم يبتعد فيه عن حاجاته الحقيقية ليعيش في عالم من الأوهام[3]، في هذا الصدد يقول إدوارد مورو E. Murrow: " إن تاريخنا سوف يكون عما منعناه، وبعد 100 عام سوف يبحث المؤرخون عما منعناه، فلن يجدوا إلا أعمالا بعيدة كل البعد عن حقائق العالم الذي نعيش فيه... وخلال فترة ذروة المشاهدة اليومية فإنك لن تجد إلا المواد التي تعزلك عن حقائق هذا العالم "[4].

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 78.

2- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص 120-121.

3- إدريس بولكعيبات: **من عولمة الثقافة إلى ثقافة العولمة**، التحديات المعاصرة: العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص 104.

4- ويليام ريفرز وآخرون: **الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر**، ترجمة: أحمد طلعت البشبيشي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005 ص 320-321.

ويضيف عيساوي أن هذه الصناعة الثقافية الأمريكية قد غزت الأسواق العالمية بحكم امتلاكها لإمكانيات هائلة تجعلها تستبعد أي منافسة، ويضرب مثلا حول نسبة الإنفاق في صناعة الأفلام الأمريكية التي تعادل في المتوسط 59 مليون دولار على الفيلم الواحد، وهو المبلغ الذي لا يمكن حتى أن يخطر على بال الأوروبيين أو الهنود، ولأن المنتجين الأمريكيين يصنعون من حيث التقنية والتجهيزات معايير نادرا ما يستطيع منافسوهم مجاراتهم فيها، فهكذا تتعاظم الدراما ويزداد الإقبال على هوليود، نيويورك والأفلام الأمريكية أكثر فأكثر، وحول هذه المسألة يقول تقرير ماكبرايد التابع لليونسكو أن أكثر من 75% من الأفلام التي تعرض في قاعات العرض العربية هي أفلام أمريكية أو منتجة بأموال أمريكية[1]، وعلى ذكر الأسواق فتعتبر على حد تعبير إريك جونسون (رئيس جمعية السينما الأمريكية): " إن أمريكا اللاتينية، إفريقيا، العالم العربي والشرق الأقصى هي مناطق تشكّل أسواقا هائلة للسينما الأمريكية، ولابد من وضع خطط بعيدة الأمد لتنمية هذه الأسواق بالاتجاه الذي يخدم مصالح السينما الأمريكية[2] ".

لكن ما هو السر في تفوّق السينما الأمريكية؟

يقول مايكل إيزنر M. Eisner عملاق صناعة الإعلام ورئيس مجلس إدارة شركة والت ديزني: " تتميز وسائل التسلية الأمريكية بالتنوع، وهي بهذا تتلاءم مع الإمكانات، الخيارات وطرق التعبير الفردية المباشرة، وهذا في الواقع ما يرغب به الأفراد في كل مكان... "، ويضيف: " ونتيجة للحرية الواسعة المتاحة أمام كل من يريد الابتكار تتصف صناعة التسلية الأمريكية بأصالة لا مثيل لها في العالم أبدا "[3].

1- أحمد عيساوي: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، م.س.ذ ص 80-81.

2- طه عبد العاطي نجم: **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، م.س.ذ ص 145.

3- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 70-71.

من جهته قدم محمد شومان جملة من التفسيرات لتفوّق صناعة الإعلام والترفيه الأمريكية على مثيلاتها في باقي الدول المتقدمة خاصة من ناحية إنتاجها والترويج لها، بحيث تتجاوز هذه التفسيرات حدود الملكية والقيود الثقافية، وهي:

1- **التفسير الثقافي**: مفاده أن المجتمع الأمريكي في أصله مجتمع هجين، قائم على تعدد وتنوع ثقافي فريد، مكّن من إنتاج برامج و مضامين تعكس هذا الوضع وتستجيب له، أي أنها ثقافة معلومة بالأصل.

2- **التفسير الاقتصادي**: يعتمد هذا القانون على حجم السوق من زاوية اتساع السوق الأمريكي، وقدرته على استهلاك المنتجات الإعلامية والترفيهية الأمريكية، وتغطية تكلفتها الضخمة قبل أن تُصدّر إلى الخارج.

3- **التفسير السياسي**: يربط بين قوة الولايات المتحدة الأمريكية وانفرادها بقيادة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وبين قوة صناعات الإعلام والترفيه الأمريكي، على أساس أن هذه الأخيرة تعتبر من وسائل السياسة الخارجية الأمريكية، كما أن الإعلام يدّعم قوة الولايات المتحدة ونفوذها السياسي والمعنوي على الصعيد العالمي.

4 – **التفسير الرأسمالي الرمزي**: تعمل الصناعات الترفيهية في الولايات المتحدة على استقطاب أكثر العناصر البشرية كفاءة وموهبة، وبالتالي تطوير ما تقدمه من منتجات وبرامج[1].

الواقع الحديث للتصنيع الثقافي الأمريكي:

يقول بريزينسكي: " إذا كانت روما قد أصدرت القانون، وانجلترا الديمقراطية، وفرنسا الثقافة والقومية الجمهورية، فإن الولايات المتحدة المعاصرة تصدر التجديد التكنولوجي العلمي والثقافة العامة الناتجة عن الاستهلاك العالمي[2]".

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 90-91.

2- إدريس بولكعيبات: **من عولمة الثقافة إلى ثقافة العولمة**، التحديات المعاصرة\: العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة، م.س.ذ ص 106.

ولكن الولايات المتحدة قد تربعت على عرش إنتاج الثقافة التي تسيطر وتهيمن على معظم القنوات التليفزيونية العالمية، حيث يقدر الإنفاق الإعلامي في الولايات المتحدة كما حدده نصر مهنا أكثر من 250 مليار دولار سنويا أي أكثر من نصيب الإنفاق الإعلامي العربي، فقد وفر هذا الحجم الضخم للإنفاق المستلزمات الضرورية للصناعات الثقافية الأمريكية لتفرض نفسها وتبسط نفوذها على العالم، وبطبيعة الحال فإن الصناعات الثقافية الأمريكية تعكس النمط الأمريكي في مختلف جوانب الحياة، كما تعكس القيم، المعتقدات والأيديولوجيات الأمريكية[1].

من ذلك الإحصاءات التي تقدمها العايد بهذا الخصوص:

- 23 شركة إعلامية ثقافية تسيطر في الولايات المتحدة على مختلف أعمال وبرامج وسائل الإعلام.
- 80% من عدد الكلمات والصور والمشاهد التي تدور حول العالم تأتي من الولايات المتحدة.
- 05 ساعات يوميا ينفقها الكبار في المشاهدة.
- 37% هي حصة الولايات المتحدة من الهيمنة على تكنولوجيا الإعلام والاتصال في العالم إنتاجا واستهلاكا[2].

وهكذا نلاحظ أن شبكات التليفزيون وصناعة السينما الأمريكية وغيرها من المؤسسات الثقافية والإعلامية تسيطر على75% مما ينتجه العالم كله من أعمال درامية، فنية، ترفيهية، معلوماتية... وهي صناعة وصفها صلاح الدين حافظ بالثقيلة بالمعنى الواسع، خاصة إذا علمنا أن أكبر خمس (05) تكتلات كبرى لوسائل الإعلام الأمريكية تبيع سنويا ما قيمته 80 بليون دولار[3].

1- محمد نصر مهنا: **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية**، المكتبة الجامعية، مصر، 2003 ص 19.

2- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 144 .

3- صلاح الدين حافظ: **الحوار الثقافي الإعلامي في إطار التواصل لا الصدام مع الغرب**، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، م.س.ذ ص 103.

وهذه التكتلات الإعلامية الكبيرة تسيطر على مسار الإعلام في العالم، ولها حضور دولي كبير من خلال فتح فروع لها وموزعين لمنتجاتها تعمد إلى توجيه الإعلام الوجهة التي تريدها، وذلك حسب الجدول الموالي:

التجمعات	العمليات الحديثة	المجالات	رقم الأعمال
تايم وارنر Time Warner (الولايات المتحدة الأمريكية)، أكبر مؤسسة إعلامية في العالم.	• ناتجة عن اندماج تايم مع وارنر في 1989. • شراء قنوات تليفزيونية عالمية مثل: CNN، MGM، TNT، HBO. • مساهمة رئيسة في قنوات وشبكات تليفزيونية. • أكبر كابل مدفوع في العالم (آندوستريز).	• الإنتاج السينماتوغرافي والتليفزيوني: استوديوهات برامج وأفلام، دور عرض للسينما (أكثر من 10 آلاف شاشة). • الصحافة المكتوبة (مجلة التايمز الشهيرة) و23 مجلة أخرى. • ثاني أكبر دار نشر في أمريكا. • الإنتاج والتوزيع الموسيقي، الإعلام التفاعلي(CD-ROM)، • أعمال في أوروبا واليابان.	تفوق مبيعاتها 25 مليار دولار (1/3) منها أمريكي والباقي من دول العالم.
مجموعة برتلسمان Bertelsmann (ألمانيا) أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم.	• عام 1995 اجتمعت مع America on line (أمريكا أون لاين) لعرض خدماتها في مجال الإعلام متعدد الوسائط. • لها تحالفات وتعاونات مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان.	• تملك قنوات تليفزيونية في ألمانيا، فرنسا وبريطانيا: RTL • مجموعة إذاعات واستوديوهات سينمائية. • 45 دار نشر للكتب بلغات أوروبية مختلفة (Bantan Bouks) • أكثر من 100 مجلة في أوروبا وأمريكا.	دخلها السنوي يتجاوز 15 مليار دولار.
مجموعة فياكوم برامونت Viacom Paramount (الولايات	• شراء برامونت (9.6 مليار دولار). • نشاط محموم للتوسع	• تملك 13 محطة تليفزيونية في أمريكا منها قناة MTV (120 مليون	بلغ دخلها السنوي 13 مليار دولار خارج أمريكا.

التجمعات	العمليات الحديثة	المجالات	رقم الأعمال
المتحدة الأمريكية).	الدولي، إذ أنفقت مليار دولار في السنوات الأخيرة للتوسع في أوروبا.	مشارك في العالم). • شبكات بث فضائي دولية (نكلدون، شوتايم*). • النشر: 12% من السوق الأمريكي . • شركات إنتاج تليفزيوني وسينمائي.	
مجموعة ديزني Disney A.B.C الولايات المتحدة الأمريكية.	• 1995: شراء كابل سايتيز. • تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى شركات بث واتصال متعددة الجنسيات.	• حضور قوي ومتميز في مجال صناعة برامج الأطفال. • لها عدة قنوات تليفزيونية Disney، ESPN الرياضية، استوديوهات أفلام وبرامج تليفزيونية.	يزيد دخلها السنوي عن 24 مليار دولار.
مجموعة نيوز كوربوريشن News corporation (أمريكية- أسترالية) يملكها روبرت ميردوخ	• 1994 أسست مؤسسة للإعلام الالكتروني مع MCI الثانية في مجال الهاتف في الولايات المتحدة.	• 22 محطة تليفزيونية • شبكة ستار Star للبث الفضائي حول العالم. • الصحافة المكتوبة: (جريدة هابر كولينز، ذي تايمز)، 123 صحيفة و5 مجلة. • شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتليفزيوني. • دور نشر في أستراليا، بريطانيا وأمريكا.	دخلها 10 مليارات دولار سنويا.

جدول يوضح الاحتكارات الكبرى في مجال التصنيع الثقافي الأمريكي

في عام 1999 اندمجت مؤسسة فياكوم مع شبكة CBS التي تملكها وستن كهاوس في صفقة بلغت 36 بليون دولار، كما شملت الاندماجات: شركات

---

* تعتبر قناة شوتايم Show time من أخطر القنوات التليفزيونية والتي لها حضور قوي في المنطقة العربية، ولها ما يقارب 100 ألف مشترك عربي، حيث تتميز هذه القناة بالانحلال.

ديزني، تايم وارنر و أمريكا أون لاين، هذه المجموعات المتعددة الجنسيات تمتلك بمجموعها صناعة المعلومات والشركات الكبرى في صناعة الأفلام والمسلسلات الترفيهية[1].

وهكذا وكما يقول العايد فقد اتحدت كل الوسائل الإعلامية من صحف ومجلات واستوديوهات أفلام سينمائية وشبكات راديو وتليفزيون في أيدي حفنة من الناس لا يتعدون عدد أصابع اليدين، ومع ما تنشره هذه الوسائل من صور وكلمات ومسلسلات وأفلام مدروسة فهي تدعو إلى تنميط الحياة البشرية بالطابع الغربي التغريبي[2]، إنها باختصار صناعة العصر بل صناعة المستقبل كما وصفها صلاح الدين حافظ، هذه الصناعة التي من خلالها ستدار العلاقات السياسية، الاقتصادية، الإعلامية، الثقافية، الأمنية والعسكرية الإستراتيجية في العالم كله، وفق آليات الهيمنة الهاجمة بقوة[3].

وفي هذا الصدد يقول هانس بيتر مارتين وهارالد شومان مؤلفا كتاب " فخ العولمة ": " إن الشمس لا تغيب عن إمبراطوريات شركات الإعلام العظيمة، فمؤسسات الإعلام العملاقة قد صارت مجهزة على أفضل نحو للنهوض بأعباء (رسالة الهيمنة) والتي أمعن التفكير فيها موجّهو العالم [4]"، موجّهو العالم الذي قال فيهم المفكر و.د. إنج :

" إن العالم هو ملك أولئك الذين يفكرون ويعملون به، الذين يضعون إصبعا على نبضه [5]".

وحسب باربير فهو يعلل نجاح وسائل الإعلام الأمريكية والغربية في إيصال رسائلها حيث يقول: " إنها المنافسة بين الشاق والسهل، البطيء والسريع، المعقّد

1- عبد الملك الدناني :**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 303-304.

2- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 67-68 .

3- صلاح الدين حافظ: **الحوار الثقافي الإعلامي في إطار التواصل لا الصدام مع الغرب**، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، م.س.ذ ص 104.

4- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 68 .

5- نفس المرجع السابق ص 77 .

والبسيط، فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو للإعجاب والإكبار، أما كل ثان من هذه الأزواج فهو يتلاءم مع لهونا، تعبنا وخمولنا، إن ديزني وماكدونالد وMTV تروّج لما هو سهل، سريع وبسيط [1]".

وهكذا ساهمت الاختراعات والابتكارات وثورة الاتصال والمعلومات في زيادة فاعلية وسائل الإعلام الأمريكية، حيث أصبحت هذه الوسائل أخطر وأمضى سلاح سخّرته الإمبريالية الأمريكية لتقوّض خصومها وتفتيت عضدهم*... ولا تزال هذه الوسائل تمارس أدوارها الخطيرة ضد كل من تعتبرهم الإدارات الأمريكية أعداء لها، وكما يقول الدليمي فهؤلاء يصبحون أعداء بقرار أمريكي، حيث أصبحت هذه الدولة تخلق العدو ثم تختار أسلوب الحرب عليه لتتحوّل بعدها إلى عدو آخر[2].

ولكن ربما الخطر الحقيقي لا يكمن في ضخامة هذه الترسانة الإعلامية الأمريكية بقدر ما يكون في التعبئة الإعلامية التي يستخدمها اليهود ضد العرب والمسلمين، فلليهود اليوم حسب الدليمي مئات الشبكات التليفزيونية إضافة إلى السيطرة الكاملة على صناعة السينما، سيما إذا علمنا أن أكبر الإمبراطوريات الإعلامية في العالم هي ملك ليهود أمثال: روبرت ميردوخ، بيرلسكوني، تيد ترنر، وقوة اليهود وهيمنتهم على الإعلام في أوروبا وأمريكا هي في أنهم إن لم يكونوا يهودا في الأصل فهم صهاينة بالعقل والفعل ودورهم أصبح أكثر وضوحا من ضوء

1- نفس المرجع السابق ص 71.

* وخير دليل على ذلك أن الاتحاد السوفيتي لم يتهشم بالأسلحة النووية والصواريخ البالستية ولا بالطائرات الشبح أو غيرها من أسلحة الترسانات الأمريكية، ولكنه هزم في جانب مهم منه بتأثير وسائل الإعلام الأمريكية والحرب النفسية التي تشنها هذه الأجهزة لفترة امتدت إلى أكثر من 40 سنة، و الآن تجاوزت ذلك إلى الفضاء الخارجي الذي ملأته هو الآخر بالآلاف من الأقمار الصناعية الذي لا يعرف أحد بالضبط أعدادها ولا أنواعها ولا حتى المهام التي يمكن أن تقوم بها، رغم أن بعض الأرقام تشير إلى أن أكثر من 09 آلاف قمر صناعي موجود الآن في الفضاء الخارجي والقسم الأكبر منها... أمريكي!! .

2- عبد الرزاق محمد الدليمي:**عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص164.

الشمس، فاليهود يسيطرون على أهم شبكات التليفزيون الأمريكية في العالم سيما:

CBS تملك 05 محطات تتبعها 200 قناة.

NBC تملك 187 محطة.

ABC تملك 127 محطة.

كما أن أغلب من تولوا المسؤوليات الإدارية العليا في هذه الشبكات هم من اليهود[1]*.

وإذا كان هنالك إجماع حول الدور الإيجابي الذي تلعبه مضامين البرامج التي تنتجها خذه الشركات متعددة الجنسيات والمتمثل في نقل الثقافة والتعريف بها لدى مختلف الجماهير، وجعلها في متناول الجميع، فإن هناك اتفاق شبه مطلق بين الباحثين حول العواقب السلبية لعملية التصنيع الثقافي، وذلك لعدة اعتبارات نذكر أهمها فيما يلي:

- ✓ **التسطيح**: بمعنى تقديم مادة إعلامية ثقافية ذات مضمون معرفي مسطح، يخاطب مشاعر الجمهور لا عقله، مما يقلل من إدراكه لواقعه وللحقائق من حوله.
- ✓ **التنميط**: أي سعي مضامين وسائل الإعلام الأمريكية إلى فرض رؤية جاهزة موحدة من الأفكار والقيم على المشاهد أولا ثم على المجتمعات الأخرى ثانية، العامل الذي يقضي على خصوصيات الثقافات الأخرى وعلى تنوعها.
- ✓ **التدفق في اتجاه واحد**: إن السيطرة الأمريكية على حقل الاتصالات قد سهلت من تدفق صناعاتها الثقافية نحو بلدان العالم ككل، بأحجام هائلة ورفع بهذا شعار التبادل الحر في هذا المجال بالرغم من كل الاحتياجات.

1- نفس المرجع السابق ص158.

* أمثال : ليونارد جولدسون: مدير محطة ABC

وفرد سلفرمان : مدير محطة NBC

وليام بالي : مدير محطة CBS

✓ **ثقافة ذات بعد تجاري:** بحلول الربح كهدف أساسي لثقافة وسائل الإعلام الساعية إلى خلق سلوكيات استهلاكية لدى الجماهير، فقد تعرضت بهذا وظائف وسائل الإعلام إلى التحريف عن الدور المنوط بها[1].

ولكن المحيّر في الأمر هو أنه رغم المعرفة الجيدة بكل ما سبق ذكره يبقى الإقبال عنيفا على السلع والثقافة الأمريكية، لدرجة أنه كما يقول العايد : " لو قُدّر للستة مليارات إنسان الذين هم تقريبا سكان الأرض في أن ينتخبوا الحياة التي يريدون أن يعيشوها، لانتخبت الأغلبية العظمى منهم حياة الطبقة المتوسطة السائدة في سان فرانسيسكو "[2]، يحدث هذا تزامنا مع الإجماع الحاصل حول أن الولايات المتحدة تقدم لبقية العالم صورة مزيفة للحياة والثقافة والمؤسسات الأمريكية، وفي هذا الصدد يقو أحد أعضاء البرلمان البريطاني: " إن من يتصور أن الأفلام الأمريكية تعبّر حقيقة عن أسلوب الشعب الأمريكي في الحياة، إنما يعتبر عدوا للولايات المتحدة "[3].

وإنما الغاية الوحيدة من هذه البرامج الدرامية الأمريكية كما يقوا بوجلال هي السعي إلى مسخ شخصية الفرد وسلخه من واقعه وانتماءه الاجتماعي، هي برامج تصنع ضمن أهدافها هالة من التضخيم على الشخصية الأمريكية، واعتبارها شخصية نموذجية للإنسان الخارق Super man في محاولة لإيقاع المشاهد غير الأمريكي في شرك الإحساس بالدونية[4].

وهذا ما يحدث فعلا من خلال صور العرب في السينما والتليفزيون الأمريكي، فكثيرا ما يُصورّون كأشخاص محتالين، ملتحفين بالقفطان أو

1- راضية فويال: **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، م.س.ذ ص 73.

2- حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 68 .

3-ويليام ريفرز وآخرون: **الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر**، م.س.ذ ص 318.

4- عبد الله بوجلال وآخرون : **القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري: دراسة نظرية وميدانية**، م.س.ذ ص 16.

البرنس، يلاحق بعضهم البعض على ظهور الخيل أو الجمال على طول الصحراء وعرضها.

أو كثيرا ما يُصوّر الرجل العربي بصور غير مشرّفة كأن يكون شخصا ذو ثروة واسعة لم يجهد في كسبها وينفقها في وجوه استهلاكية مسرفة، وفي مطاردة النساء، أو كيظهر كإرهابي شرير، أو كرجل أنيق الملبس مشبوه الأخلاق يستعين بشهادته من إحدى الجامعات الأمريكية ليبتز مزيدا من المال مقابل النفط العربي من المستهلك الأمريكي[1].

يرى مخمد حوات بأن المؤسسات الإعلامية المرئية الأمريكية تقوم بتنفيذ خططها لتشويه الحقائق والتقليل من شأن التحولات في الدول النامية، أو قلب صور تلك المتغيرات لخدمة إستراتيجية الإمبريالية الأمريكية تجاه الأقطار النامية والعربية منها خاصة، فتتعمد برامج التليفزيون الأمريكي تقديم المجتمع العربي بأن يكون من الشخصيات التالية:

الشخصية01: يمثلها واحد من شيوخ الصحراء الغنية بالنفط، مالكا للجمال وسيارات الكاديلاك Cadillac الفخمة إضافة إلى حاشية، وهذا الشيخ ذو ثراء فاحش، متخلف ومجنون في أمور الجنس، وله ميول سياسية غربية، غير مفهومة وغير مستقرة[2]، وهنالك نوع آخر من الأفلام الكوميدية المضحكة المبتذلة التي يظهر فيها العرب في صورة شخصيات طيبة القلب لكنها مخبولة العقل، أو في صورة أشرار معتوهين مثال ذلك الفيلم الأمريكي " حريم " ويمثل عمر الشريف دور السلطان الذي يختطف ويشتري النساء الأجنبيات خاصة ويضعهن في جناح حريمه ليطفئ غرائزه الجنسية[3].

1- عبد الله هوادف: **السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل في إطار الصراع العربي الإسرائيلي**، م.س.ذ ص 205.

2- محمد علي حوات : **العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل**، م.س.ذ ص 182.

3- محمد محمود ذهبية: **الإعلام المعاصر**، م.س.ذ ص 149.

الشخصية02: هي شخصية الإرهابي العربي أو المخطط للإرهاب، أو تُصوّر زعيما عربيا من دول النفط وهو يبرك كالجمل لتضع امرأة بريطانية على صدره الصليب أو تكرار إعادة بث مشاهد من فيلم " موت أميرة "[1].

وغيرها من الصور المخجلة والمسيئة للعرب والمسلمين، وقد ذكر البروفيسور اللبناني جاك شاهين –أستاذ الإعلام بجامعة إيلندوينز الجنوبية بأمريكا- في كتابه

" العرب السيئون: كيف تشوّه هوليود شعبا؟ Real Bad Arabs " حيث يقول: " إن هوليود لمائة سنة تتحيز ضد المسلمين والعرب بخاصة، وتشوه صورتهم وتحقّر إنسانيتهم "، و قد توصّل في دراسته إلى أن بين كل (1000) عمل يوجد (12) فيلما أنصف المسلمين أو العرب، وأكثر موضوعاتها تشوّه المصريين والفلسطينيين والنساء وشيوخ النفط، والإرهاب والعنف.[2]

فمثلا الفيلم المشهور " الظل الكبير " والذي يشترك فيه عدد كبير من أشهر نجوم هوليود مثل: (كيرك دوغلاس، فرانك سيناترا، سينيتا بيرجر، بول يوينز)، والفيلم في ظاهره يحاول تخليد أحد الضباط الأمريكيين (ماركوس دوغلاس) الذي تطوّع لمساعدة الجيش الإسرائيلي عام 1947- 1948 ومات هناك، والحقيقة الكامنة في ثنايا الفيلم هي محاولة إقناع الغرب والعالم كله بأن حق اليهود في فلسطين هو حق أصيل، والأخطر أن الفيلم يصوّر أن العرب أنفسهم يعترفون بذلك وكانوا يساعدون اليهود الموجودين بفلسطين لكي ينتزعوا من العرب هذا الحق[3].

كذلك قدمت هوليود النزاع العربي- الإسرائيلي بأسلوب أفلام رعاة البقر المشهورة التي تظهر العرب في صورة المتوحشين في حين يظهر الإسرائيليون في صورة قوم طيبي القلب، ففي فيلم " جهاد في أمريكا " لستيفن إمرسون صُوّر لنا

1- محمد علي حوات : **العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل**، م.س.ذ ص 182.

2- ليث سعود القيسي: **التحديات المعاصرة وآثارها على سلوك الشباب الدعوي**، م.س.ذ

3- محمد محمود ذهبية: **الإعلام المعاصر**، م.س.ذ ص 148.

الأصوليون يربون الأطفال على الحقد وذلك من خلال لقطة ذلك الطفل الفلسطيني في المخيم الصيفي بشيكاغو الذي يقفز أمام الكاميرا هاتفا " سأذبح اليهود[1] ".

كل هذا إضافة إلى محاولات إسرائيل الدائبة لتمصير أفلام الجنس العالمية، باستخدام أحدث أساليب المونتاج الالكتروني الرقمي، والذي تمكنت بواسطته من إحلال صور أوجه بعض الممثلين والممثلات المصريين محل أوجه الممثلين والممثلات الأصليين، وما هذا إلا مجرد بداية لهذا التزييف الرقمي الذي في طريقه إلى أن يصبح من أمضى أسلحة التشويه الثقافي... هذا التشويه الذي لن يكون من أجل التشويه فحسب وإنما من أجل التسويق أيضا، فمما لا شك فيه أن الذين قاموا بتمصير أفلام الجنس قد وضعوا نصب أعينهم الإحصاءات المذهلة عن السوق الرمادية لأفلام الجنس في بعض الدول العربية[2].

وفي الأخير كانت ردة الفعل من قبل أولئك المتأثرين بالسينما الغرية.. أفلام ارتزاقية تعتاش من مخلفات جوائز مهرجان كان، وربما حتى السعفة الدولية، ومهرجانات محلية فاقت عدد مهرجانات السامبا في البرازيل، الشرط الأساسي للفوز هو فيلم **أكثر تحررا** أي إباحيا، **ومتفتحا** أي ضاربا بعرض الحائط القيم الدينية، **ومتميزا** أي أن يطرح أفكارا هي بمعنى الطابو في مجتمعاتنا، وهادفا أي أنه يحمل أفكارا تطبيعية، وإن لم يكتب له الفوز فهو فيلم فكاهي سوقي تخديري، وإن كان الأول على الشبابيك فهو فيلم تنتهي مدة صلاحيته بمجرد انتهاءك من رؤيته، وأبسط مثال على ذلك أن تظهر السينما في مصر بعد ظهورها في الغرب بثمانية(08) سنوات فحسب، ولأن التخطيط كان في أن تكون مصر بؤرة الإشعاع التي يتم منها نشر هذه الفيروسات إلى الوطن العربي كله، فقد بدأت على الفور تلك البداية الماجنة لنشر الخلاعة، التهتك، العري، تسفيه القيم، السخرية من الملتزمين والتنفير من كل ما هو سوي وقويم، إلى نشر دعوات حرية المرأة، ومساواتها بالرجل... هذا

1- محمد محمود ذهبية: **الإعلام المعاصر**، م.س.ذ ص 149.

2- نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، 2001 ص 58.

بخلاف الهجوم المستمر على الإسلام، وإنكار السنة والتشكيك في القرآن... وهو ما يزال مستمرا بلا هوادة إلى يومنا هذا حيث طغى على كل شيء.

3- الإذاعة:

تمثل الإذاعة اليوم النتاج المعاصر لعملية تطورية طويلة ومستمرة شملت في غالب الأمر عددا مذهلا من الابتكارات التكنولوجية والمنجزات العلمية والأشكال الاقتصادية الاجتماعية الجديدة، وكما كان الحال بالنسبة لوسائل الإعلام الأخرى، فقد تأثرت الإذاعة كوسيلة إعلام بصراعات عديدة، وحددت نتيجة هذه الصراعات ملامحها الحالية، فقد تقاتلت شركات ضخمة حول حقوق الامتياز، وتنافست جهات البث الإذاعي المتصارعة على ترددات معينة لدرجة دفعت الحكومة الفيدرالية في النهاية إلى التدخل عن طريق أشكال عديدة للسيطرة كانت فريدة بالنسبة لهذه الوسيلة الإعلامية[1]، فالراديو يُصنّف بأنه من الوسائل الساخنة التي تنجح في استثارة المستمع وتفاعله مع المادة أو الشخصية المذاعة، وهي وسيلة تخاطب حاسة واحدة وبدرجة عالية الوضوح، وهي مثل الصحيفة تدعم الألفة بين المستمع والمحتوى لأن مناخ الاستماع يخلق للمستمع عالما خاصا به... كما أن غياب مشاهدة الوقائع والأحداث والاعتماد على ما تنقله الوسيلة يثير الخيال ليرسم الصورة الغائبة[2].

وهكذا خطت الإذاعة المسموعة خطواتها الأولى لتصبح واحدة من أدوات الاتصال المؤثرة سواء بالنسبة للإعلام الوطني أو الدولي، بل أصبحت الإذاعة المسموعة في الثلاثينيات أقوى أجهزة نقل الرسالة الإعلامية في جميع أنحاء العالم تقريبا، الأمر الذي دفع بالدول الأعضاء في عصبة الأمم إلى التوقيع في سنة 1936 بجنيف على اتفاقية دولية لاستعمال البث الإذاعي لفائدة السلم في العالم*،

1- ملفين ديفلر و ساندرا بول روكيش: **نظريات وسائل الإعلام**، م.س.ذ ص 135.

2- عبد العزيز حمد عبد الله حسن: **وسائل الإعلام والإعلان**، م.س.ذ.

* تنص المادة الأولى من الاتفاقية على أن تلتزم الأطراف المتعاقدة بصفة متبادلة بمنع أو إيقاف دون أجل على إقليمها أي برنامج يكون على حساب حسن الوفاق الدولي، ومن طبيعتها أن تحرّض سكان إقليم معين على القيام بأفعال مخالفة للنظام الداخلي أو المساس بأمن إقليم طرف آخر في الاتفاقية.

واستخدمت الإذاعة بصورة مستمرة ومتزايدة من طرف جميع الدول خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها من طرف المعسكرين في إطار الحرب الباردة كأحد أسلحة الدعاية والحرب النفسية التي تعبر الحدود الوطنية[1].

يعتبر تأثير الإذاعة تأثيرا بالغ الأهمية نظرا لخطورته في تشكيل العقول باستخدام وسائل الإعلام المباشرة وغير المباشرة من خلال الحوار والإلقاء والمؤثرات الصوتية، خاصة وأن برامجها ترضي جميع الأذواق، ومختلف المستويات الثقافية، كما أنها تتيح للنشء خبرات غنية حية[2]، ويرى بعض الخبراء أن جمهور الراديو ليس متنوعا كجمهور التليفزيون، فعندما اختفت شبكات الإذاعة الشبيهة بشبكة محطات التليفزيون الحالية بسبب استحواذ التليفزيون على أغلب النجوم والبرامج الجذابة، اختار الراديو التجزئة إلى محطات تخاطب جماهير محلية لكي يحافظ على بقاءه، وقامت المحطات بشكل منفرد بتطوير أنماط معينة من البرامج الموجهة إلى مجموعات مستهدفة من المستمعين[3].

لكن الأمريكيين يهتمون كثيرا بقطاع الشباب في الوطن العربي، ولأنهم يعتبرون فرصتهم للتأثير على الجيل (الشاب) الذي لم تستقر مفاهيمه السياسية، الاجتماعية والفكرية أكثر من فرصتهم في التأثير على الأجيال الأكبر سنا، لذلك قامت الحكومة الأمريكية بتخصيص ميزانية لإنشاء إذاعة موجهة إلى الشاب العربي فقط، من المحيط إلى الخليج – على حد تعبيرها- اسمها " إذاعة سوا " هدفها المعلن هو تحسين صورة أمريكا بينهم، أما هدفها المخفي فهو... إبعادهم عن الفكر الإسلامي الصحيح... فهم يريدون أن يوهموا الشباب بأنهم إذا تمسكوا بالإسلام، فإنهم بذلك يقتدون بأهل الإرهاب – الذين ينبذهم الإسلام الصحيح- ،

1- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 95-96.

2- محمد بن شحات الخطيب: **دور المدرسة في التربية الإعلامية (المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية)**، http://www.meduconf.com/uploader/PDF/tuesday2_02.doc، 2008/04/23.

3- عبد العزيز حمد عبد الله حسن: **وسائل الإعلام والإعلان**، م.س.ذ.

وهذا ما يسمى باختصار وحسب إبراهيم علوش بالتوجيه المضلل، ... أو بمعنى آخر فإذاعة " سوا سوا " تحاول إدخال التغريب الثقافي، لا بل الأمركة في نسيج العقل الشبابي بطريقة مبتكرة، فهي تذيع: أغنية عربية ثم أخرى أمريكية بالتوالي على مدار الساعة[1]، ناهيك عن تحيّزها الضمني للعدو الإسرائيلي في نشراتها الإخبارية، فمثلا جاء في إحدى النشرات خلال اجتياح مخيم جنين: " قامت قوات الجيش الإسرائيلي بشن هجمات على ناشطين فلسطينيين إثر هجمات انتحارية أودت بحياة عدد من المدنيين الإسرائيليين... "[2].

من جهة أخرى فإن الإذاعة المحلية بدورها يمكن أن تسقط في فخ التغريب، ومن ملامح التغريب التي تقع فيها الإذاعة المحلية ما تضعه في أجندته اليومية أو حافظة برامجها اليومية، خاصة نوعية البرامج التي تقوم بإعدادها وتتبنى تمويلها وفق خارطتها البرامجية الفصلية أو السنوية، وهي البرامج التي يجب أن تخضع لمعايير فنية وفكرية وثقافية، وفق فلسفة إعلامية مدركة لخصوصية المكان والزمان الذي تعيش فيه، وفق سياقات الموروث التاريخي والشعبي المحلي، فحسب الفردي فإن الابتعاد عن هذه المنظومة يعد تغريبا آخر، يفقد الإذاعة دورها وعمقها الذي يجب أن تعيه وتستوعبه، وتعمل على بلورته برؤى وأفكار تأصيلية[3]... فعندما تبتعد الإذاعة المحلية عن حرارة الانتماء الذي يجب أن تكونه في محيطها الصغير وامتدادها الكبير، فإنها تدفع باتجاه بلورة ملامح جديدة لابد لها أن تحدثها بتراكم واستمرارية رسالتها الإعلامية التي تنشد التأصيل وتبتعد عن التغريب، وتعمل على إشاعة ثقافة الفهم الصحيح لمتطلبات العصر ودواعي تطويره وآفاق التجديد والتحديث المنشود، دون الانحدار إلى تخوم " السفه والتشويش، السقوط

1- إبراهيم علوش: **إذاعة سوا إذاعة تشويش عالهوا،**
www.r7ab.com/vb/Showthread.php?t=10551 ، 2008/04/23.

2- نفس المرجع السابق .

3- صالح حسين الفردي: **أثير التغريب في الفضاء المحلي،**
www.26sep.net/articles.php?lng=arabic&id=1475، 2008/04/23.

الفني، المباشرة، الفجاجة الدرامية والعشوائية "، وكلها أشياء لا تأتي إلا إذا سادت: " التفاهة، التهميش، السلبية وشغل الزمن الإذاعي بما لا ينفع ولا يفيد إن لم يكن مضرا "[1].

ومن مظاهر التغريب التي تسببها الإذاعة أيضا والتي لم تسلم منها حتى الرموز الدينية الغربية، ما قامت ببثه إذاعة ال بي بي سي BBC في عام 2005 وهي أوبرا " جيري سبيرينجر Jerry Springer" التي صورّت المسيح باعتباره شاذا جنسيا يرقص على المسرح مرتديا قماطا، الأمر الذي أدى بجماعة كريستيان فويسChristian Voice بجمع 55000 شكوى ضد هذه الإذاعة بالإضافة إلى عدة احتجاجات سلمية ضدها[2].

هذا بالإضافة إلى الإذاعات المسيحية الموجهة التي توجه برامجها التبشيرية والتغريبية إلى كافة أنحاء الوطن العربي والإسلامي، ولعل أهمها:

- **راديو الفاتيكان**: يعتبر الصوت الرسمي المعبّر عن الديانة المسيحية الكاثوليكية في العلم نظرا لرسوخ أقدامه في مجال الإذاعة منذ زمن بعيد، ونظرا للكم الكبير لمستمعيه في جميع أنحاء العالم، بدا إرساله باللغة العربية عام 1950، ويبث الصلوات والقداس بأكثر من 30 لغة.
- **إذاعة صوت الإنجيل Voice of Gospel** : إحدى أهم الإذاعات الدينية الموجهة التي تهدف إلى نشر الدين المسيحي وتفسير الإنجيل، تقدم الهيئات المسيحية خدمات إذاعية هامة باللغة العربية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث تهدف الإذاعات الموجهة من قبل مؤسسات ومنظمات مسيحية إلى التبشير بالديانة المسيحية .

1- نفس المرجع السابق.

2- عبد اللطيف شعيب: **المسيحيون ورسوم الكاريكاتير التجديفية: الحق في انتهاك المقدس**، www.qantara.de/webcom/Show_article.php/_c-471/_nr-367/i.html?PHPSESSID=5 ، 2008/04/23.

- **إذاعة صوت طنجة**: تعتبر أول من وجهت خدمة دينية باللغة العربية إلى الدول العربية، بدأت إذاعتها من مدينة طنجة بالمغرب عام 1954 على يد أحد القساوسة الأمريكان الذين عملوا في مجال التبشير في الدول العربية[1].

المطلب 02. الوسائل المكتوبة:

وتنقسم إلى الصحافة المكتوبة والكتب.

1- الصحافة المكتوبة:

تعتبر الصحافة المكتوبة قوة اجتماعية واقتصادية وثقافية مهمة في المجتمع، وهي قوة رئيسية في تشكيل الرأي العام وبالتالي تؤثر بشدة على الجهود الوطنية والدولية من أجل التقدم الوطني والتفاهم العالمي، وقد تطورت الصحف من ورقة واحدة توزع محليا إلى ، وقد تطورت الصحف من ورقة واحدة توزع محليا إلى نتاج متعدد الصفحات يوزع دوليا.

وظهرت الصحف الأولى في ألمانيا في أوائل القرن الثامن عشر (18)، ومع بداية القرن العشرين ظهرت الجمعيات المهنية الصحفية وبدأ التطور التدريجي للصحف المملوكة من قِبل الشركات المساهمة الكبرى، وتحوّلت الصحف إلى مؤسسات متكاملة وظهرت وكالات تجميع الأخبار مثل: يونايتد برس United Press، أسوشييتد برسAssociated Press ورويترز[2] ... Reuters.

كتب جيمس جوردون بينيت مؤسس صحيفة ذي هيرالد The Herald الأمريكية عام 1836 قائلا: " كان للكتب يومها... وكان للمسارح يومها... وكان لمعبد العقيدة يومه... والصحيفة يمكن أن تسبق كل ذلك في الحركات العظيمة للفكر الإنساني وللحضارة الإنسانية "، فالصحيفة يمكن أن ترسل المزيد من

1- ماجي الحلواني: **مدخل إلى الإذاعات الموجهة**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، مصر، 1983 ص 156-158.

2- عبد العزيز حمد عبد الله حسن: **وسائل الإعلام والإعلان**، م.س.ذ.

الأرواح إلى السماء، وأن تنقذ المزيد من الأرواح من الجحيم، وهي تستطيع أداء هذه المهمة بشكل أفضل من كل الكنائس في نيويورك إلى جانب تحقيق ربح مادي في نفس الوقت[1]، وبخصوص علاقتها (أي الصحافة المكتوبة) بالتغريب فقد كانت لها حصة الأسد في هذه العملية منذ بداياتها الأولى في القرن ما قبل الماضي، حيث دأب بعض المثقفون العرب المتشبعون بالثقافة الغربية إلى إنشاء صحف ومجلات محملة بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني من خلال إظهار إعجابهم الشديد بالغرب والدعوة إلى الاقتداء به وتتبع طريقه.

- فأنشأ جورجي زيدان (1861- 1914) مجلة الهلال في مصر وذلك في سنة 1892، وقد كان على صلة بالمبعوثين الأمريكيين، كما كانت له سلسلة من القصص التاريخية التي حشاها بالافتراءات على الإسلام والمسلمين.
- وأسس سليم تقلا صحيفة الأهرام في مصر، وقد سبق له وأن تلقى علومه في مدرسة عبية بلبنان، والتي أنشأها المبشر الأمريكي فانديك.
- وأصدر سليم النقاش صحيفة المقتطف التي عاشت ثمانية أعوام في لبنان انتقلت بعدها إلى مصر في 1884.
- كان الشيخ محمد عبده (1849- 1905) من أبرز تلاميذ الأفغاني وشريكه في إنشاء مجلة العروة الوثقى، وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستشرق المستر بلنت ، الداعية إلى مهاجمة التقاليد وإصدار فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب... والدعوة إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثهن ذلك التحديث الذي أدى إلى تدمير الأزهر نهائيا، وإنهاء دوره التاريخي[2].
- ويعتبر محمد حسين هيكل (1888- 1956) رئيس تحرير جريدة السياسة في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين، وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد

1- ملفين ديفلر و ساندرا بول روكيش: **نظريات وسائل الإعلام**، م.س.ذ ص 93-94.

2- حسين أحمد أمين: **المصلحون والدعوة إلى التغريب**، http:/www.ccccentre.com/arab/info2.asp,key=24، 2008/01/15.

معا انطلاقا من نظرة عقلانية في حياة محمد (ص) إلا أنه عدل عن ذلك وكتب معبرا عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه " في منزل الوحي "[1].

أما في عصرنا الحالي فقد تغير الأمر قليلا ففي سلسلة مقالات للكاتب الصحفي فهمي هويدي بدأها بمقال " الاختراق وسنينه " حول الاختراق الأمريكي للصحافة العربية، أشار فيها إلى إستراتيجية أمريكية لتحسين صورتها في الوطن العربي من خلال دعم صحف خاصة تخصص نسبة ضئيلة من مادتها الصحفية لهذا الغرض، أما الباقي فيخصص للموضوعات الصحفية الاعتيادية مع التركيز على نشر الليبرالية، وقد تزامن ذلك مع صدور العدد الأول من صحيفة تصدر في مصر بترخيص أجنبي هي " نهضة مصر " شعارها الرئيسي هو " الليبرالية طريقنا إلى المستقبل "، والتي جزم رئيس تحريرها (عماد الدين أديب) بأنها آتية لا ريب فيها! من خلال مقال افتتاحي يحمل الاسم نفسه: " الليبرالية آتية لا ريب فيها! "، حيث أخذت تذكرنا هذه الصحيفة بتاريخ وتجربة طالبان الأفغانية وكأن الاختيار المتاح أمامنا حسب السرجاني هو بين بوش وعصابته من الصقور الجدد أو حكم طالبان...

ومن هنا تنطلق المشكلة الحقيقية حول إمكانيات اختراق الصحافة العربية من خلال صحف تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية، تعمل على تحسين صورتها ومدى قبول وقدرة الليبراليين العرب على أن يكونوا قاعدة تؤسس عليها الولايات المتحدة إستراتيجيتها الدعائية في المرحلة المقبلة[2]، ولعل آخر ما قرأناه مقال غاضب نُشر للأحد أساتذة الفلسفة يدعونا فيه لأن نُسقط من قاموس حياتنا العقلية تعبير الفلسفة الإسلامية لأن في استخدامنا لهذا التعبير: " تشجيع للفكر اللاعقلاني ونشر للخرافة " فضلا عن أنه لا يعجب السادة المستشرقين[3].

1- أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب (تحليل ودراسة)**، م.س.ذ

2- خالد السرجاني: **الاختراق الأمريكي للصحافة: قراءة في المشهد الثقافي**،
http://F-alturki.net/fahd/content/view/98/1/ ، 2008/04/06.

3- فهمي هويدي: **تزييف الوعي**، دار الشروق، الطبعة الثانية، مصر، 1992 ص 19.

من جهة ثانية هنالك بعض المجالات التي تدّعي الوجهة الإسلامية ولكنها تخدم العقيدة الليبرالية، العلمانية والتغريب وذلك من خلال استضافة رموز هذه الليبرالية و العلمانية والتغريبية، والتي تأخذ أشكالا متعددة كلها تصب في مصلحة التغريب وتوهين الدعوة إلى الله وتهيئة المجتمعات المسلمة لتلك العقائد والدعوات الهدامة، ومن بين هذه الأشكال:

1- استكتاب تلك الرموز في تلك المجلات لتطرح أفكارها التغريبية المناوئة لشريعة الله تعالى بكل حرية.

2- استضافة تلك الرموز في شكل مقابلات وحوارات، وتتصدر صورهم تلك المقابلات، ومن المؤلم أن الذين يقومون بإجراء تلك الحوارات من صحفيي تلك المجلات دون مستوى ضيوفهم دهاء ومكرا وخبرة في أساليب الدس والخداع بمراحل كثيرة، بحيث يصبح دور المحاور تلميع تلك الرموز وتطهيرها أمام القراء الذين يفقد الكثير منهم يقينهم بدينهم بين ضيف لسن حاذق يعرف من أين تؤكل الكتف، وبين صحفي فقير الثقافة قليل الفهم جاهل بما يديره ضيفه من أفكار وحيل.

3- من أخطر صور تلك المجلات قيامها باستضافة رموز التغريب والفساد والعناد لدين الله في حوارات أو ما شابه، ثم يقوم المشرفون على تلك المجلات بمطالبة بعض الكتاب والدعاة إلى الله بالرد على أولئك المرجفين الذين يطرحون في مقالاتهم وحواراتهم سمومهم ضد أحكام الله تعالى وتشكيكهم في صلاحية شريعة الله للحكم والقيادة في هذه الحياة، ثم يُطلب من الكُتاب والدعاة الرد عليهم، وهذا بلا ريب خدمة عظيمة لأعداء الإسلام وأعداء شريعته، حيث يصير دين الله تعالى وأحكامه موضوعا للتسفيه من هذا الجانب والرد عليه من الجانب الآخر، وهكذا يفقد دين الله قدسيته وحرمته ويصير كلاما مباحا لكل والغ[1].

1- علي التمي: الضلال التغريبي يخترق مجلات وملاحق تزعم الإسلامية، المجلس العلمي، http://Majles.alukah.net/Showthread.php?p=113220، 2008/04/23.

نشرت صحيفة " الشهاب " الصادرة في بيروت في عددها الأول للسنة السابعة الصادر في 15 أفريل 1974 هذه الفقرات المحذوفة:

- إن في القرآن تناقضا بين ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾.
- الرسول محمد كان إنسانا بسيطا يسافر كثيرا عبر الصحراء العربية ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن مثل ذلك عصا موسى وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باستور، وقصة أهل الكهف الذين لبثوا رقودا مئات السنين ثم انبعثت فيهم الحياة.
- إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد، فهم دائما يكررون محمد (صلى الله عليه وسلّم)، إله يصلي على محمد هذا تأليه لمحمد.

(هذه مقتطفات من تصريحات الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة التي أدلى بها في مؤتمر المُدرّسين والمربين بمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي، تونس في مارس 1974)[1].

هذا إضافة طبعا إلى المجلات التي تصدر أمورا فظيعة تمس المرأة بالدرجة الأولى: تذلها، تغرقها في الرق وتعود بها إلى عصر الظلم أين كانت تُعامل كجسد ليس له روح، وهذا ما يُطلق عليه بمصطلح الصحافة الصفراء، وهو مصطلح يطلق على الصحف والمجلات التي تهتم بنشر القضايا المثيرة التي لا تخاطب في الإنسان سوى غرائزه، فمجالها نشر الفضائح، أخبار الجنس والجريمة والإثارة، تعتمد كثيرا على الصور الخاصة بمشاهير الحياة[2].

1- أبو الحسن علي الندوي: **الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار الهدى، الجزائر، 2006 ص 123.

2- عبد الرحمن عبد الخالق: **هل في اليمن صحافة صفراء؟**، www.anaween.net/index.php?action=Showdetail&id=831، 2008/04/23.

جاء في كتاب " الصحافة وأمريكا " لمؤلفيه إدوين إمري و هـ.ل سميث الصادر عام 1954: " أغلق الصحفيون الصفر كل قنوات الأخبار، التي كان المواطن العادي يعتمد عليها، بتجاهل صريح ومباشر للقيم والمسؤوليات الصحفية، كان كل هدفهم هو الإثارة والبهرجة مهما كانت سقيمة الذوق... وكان الشيطان وحده هو الذي يرعى هذا النوع من الصحافة الذي يغازل القارئ بكل الوسائل الممكنة، وقد أساءت الصحافة الصفراء استغلال أساليب الكتابة والصور والطباعة التي كانت مثار فخر الصحافة الجديدة وحولتها بعيدا عن هدفها الأصلي حيث استخدمها كوسيلة للإفساد والتضليل، لقد حولت هذه الصحافة الصفراء دراما الحياة الراقية إلى ميلودراما رخيصة، وقامت بليّ عنق الحقائق كل يوم لتحولها إلى أي شكل قادر على زيادة مبيعات بائع الجرائد الصغير الذي يصرخ على نواصي الشوارع وتقاطعات الطرق والأسوأ من ذلك أن هذه الصحف بدلا من أن تقدم لقرائها القيادة الفعالة والمؤثرة، قدمت لهم مجرد مسكنات من الخطيئة، الجنس والعنف "[1].

ومن أمثلة ما تنشره هذه المجلات من سموم:

- في مجلة الحسناء في العدد 81: الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح.
- مجلة سلوى العدد 1532(لقاء مع راقصة شابة) تقول هذه الراقصة: في حياتنا اهتمامات لا داعي لها ويمكن أن نستغني عنها، ثم تضيف هذه العبقرية: كمعامل الأبحاث الذرية مثلا لأننا لم نستفد منها شيئا، سوف نستفيد كثيرا لو أنشأنا مدرسة لتعليم الرقص الشرقي تتخرّج منها راقصة مثقفة لجلب السياح.
- مجلة روز اليوسف (أول مصادر التغريب في الوطن العربي).

إلى جانب قائمة طويلة من مجلات تجد داخلها مقالات طبية، نفسية واجتماعية كأنها تحل مشاكل الفتيات (على وجه الخصوص) ومقابلات مع الفنانات والممثلات والداعيات إلى تحلل المرأة...

1- ملفين ديفلر و ساندرا بول روكيش: **نظريات وسائل الإعلام**، م.س.ذ ص 97-98.

وتجد فيها الانشغال بأخبار ديانا، كلبها، لبسها، فساتينها، تزلجها فوق جبال الهيمالايا... ، وتجد بريد المجلة أو ركن التعارف من أجل التقريب بين الجنسين وتلك خطوة لإفساد المجتمعات الإسلامية...[1]، وهناك أبحاث منشورة عن حقيقة الدور الذي تقوم به هذه المجلات، ففي دراسة عن مجلة " سيدتي " نشرتها مجلة " المغترب " ذكرت أنها تقتصر على شرائح اجتماعية بعينها، وكثيرا ما تحمل الطابع الأوروبي المبهر في طياتها، وتقدم الحسناوات الشقراوات كنماذج يحتذى بها، وإذا ما حاولت معالجة مشكلات المرأة العربية تعمد في أغلب الأحيان إلى استعارة النموذج الغربي، وتقول فوزية العطية التي أعدت دراسة أخرى عن هذه المجلات أنها غالبا ما تعرض في صورة الإغراء والإثارة، وتستشهد الباحثة بدراسة مشابهة لعواطف عبد الرحمان تقول فيها: إن التركيز في هذه المجلات منصب على النماذج الغربية للمرأة وترويج القيم الاستهلاكية الغربية من خلال المواد الإعلامية والإعلانات التي تقدمها كالأزياء ومواد الزينة والعطور...[2].

ولإظهار مدى خطورة هذه المجلات يكفي أن نشير إلى ما قاله الشيخ العلامة " محمد بن عثيمين " في خطبة له عن فتن المجلات حيث قال: "...وانفتحت طامة كبرى وبليّة عظمى، تلك الصحف والمجلات الداعية إلى المجون والفسوق والخلاعة في عصر كثر فيه الفراغ الجسمي والفكري، وسيطرت الفكرة البهيمية على عقول كثير من الناس فعكفوا على هذه الصحف والمجلات فأضاعوا بذلك مصالح دينهم ودنياهم...وجدت هذه المجلات هدّامة للأخلاق مفسدة للأمة لا يشك عاقل فاحص ما يريده مروّجوها بمجتمع إسلامي محافظ...ومن مفاسد هذه الصحف والمجلات أنها تؤثر على الأخلاق والعادات بما يُشاهد فيها من صور وأزياء فينقلب المجتمع إلى مجتمع مطابق إلى تلك المجتمعات الفاسدة ".

1- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، www.saaid.net/mktarat/almani/33.html، 2008/01/15.

2- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، م.س.ذ

ثم يقول: "...فاقتناء مثل تلك المجلات حرام، وشراؤها حرام، وبيعها حرام، مكسبها حرام، وإهداؤها حرام، وقبولها هدية حرام، وكل ما يعين على نشرها بين المسلمين حرام، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان "[1].

وعلى صعيد آخر فإن منظور اللوبي الصهيوني يسود إعلام التيار الرئيسي الأمريكي يكتب إريك ألترمان E. Alterman أن المنافسة بين المعنيين بالشرق الأوسط يهيمن عليها أشخاص لا يستطيعون تخيّل انتقاد إسرائيل، حيث صرّح روبرت بارتلي R. Bartley رئيس تحرير صحيفة " وول ستريت جورنال " Wall Street Journal في إحدى المرات: " شامير، شارون، بيبي (بنيامين نتنياهو)، أيا كان ما يريد هؤلاء الرجال مقبول لدي "، إلى جانب صحف أخرى بارزة في خدمة اللوبي الصهيوني مثل: شيكاغو صن تايمز Chicago Sun Times، واشنطن تايمز Washington Times التي تنشر بانتظام افتتاحيات تدعم إسرائيل بقوة، وتدافع مجلات مثل كومنتيتور Commentator ، ونيو ريببليك New Republic و ويكلي ستاندرد Weekly Standard عن إسرائيل في كل منعطف*[2].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط بل تتحمل الصحافة الأمريكية- الصهيونية الجزء الأكبر في عملية تشويه الحقائق والافتراء على التاريخ بقصد التصدي لكل الجوانب المضيئة في التاريخ العربي الإسلامي، ففي ليلة الألفية الثالثة

1- **أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة**، م.س.ذ.

* فمثلا:- اليهودي والتر أينبرغ الذي كان سفير نيكسون في بريطانيا يملك الفيلاديلفيا إنكويرر ، مورنينغ تلغراف، ساقنتين...

-صمويل نيوهوز يملك 45 صحيفة منها: " النيوز داي " ذات النفوذ المعروف في نيويورك، ومجموعة من المجلات الكبيرة منها: فوغ غلايمور، مادموزيل، هوس غاردن...

-في مدن صغيرة عبر أمريكا تجد أيضا صحفا ومجلات أخرى يملكها يهود وتمارس نفوذا كبيرا مثل: لاس فاغس صن، الإسرائيلي الكارولييني...

2- جون ميرز هايمر، ستيفن والت: **اللوبي الإسرائيلي وسياسة أمريكا الخارجية** ، مجلة المستقبل العربي، العدد 327، السنة 29، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2006 ص 39-40.

(31 ديسمبر1999) اختارت مجلة التايمز الأمريكية في هذا العدد الخاص الناصر صلاح الدين كشخصية القرن الثاني عشر (12)، وبأسلوب اصطناع الموضوعية مع قصد الإساءة التي هي إستيراتيجية يمارسها كثيرا الإعلام الغربي بكثير من التفاعلات والأحداث الخاصة فيما يتعلق برموز الحضارة العربية الإسلامية.

وصفت المجلة القائد صلاح الدين بأنه ناجح وعلى قدر كبير من التسامح، إنه فارس أسطوري، وإن المسيحيين يقدّرون خُلق صلاح الدين في التعايش مع الآخرين، حتى أن طبيبه الخاص كان الحكيم اليهودي ابن ميمون... إلا أن المجلة أدخلت أسلوب تفتيتي في نفس الموضوع فقد أُطلق على الجيش العربي الإسلامي أنه: " جنود صلاح الدين المحتلين للقدس وليسوا المحررين لها "، أما عنوان التحقيق فقد جاء كما يلي: " صلاح الدين ذلك المغامر الكردي الذي أثبت للصليبيين أن الله قد يقف إلى جانب الكافر "، وبالتالي فمن خلال العنوان فقط نكتشف أسلوب الإعلام الأمريكي الصهيوني التفتيتي للأمة العربية والإسلامية، فهو يريد:

1- تجريد صلاح الدين من عروبته وإسلامه.
2- وصفه بأنه مغامر كردي، وبوصفه هذا يريد أن يقول بأنه إرهابي كما يطلق على المجاهدين الآن.
3- هو كردي مغامر وهذا يعني أن الأكراد إرهابيون ومغامرون، وهذا يدخل ضمن إستيراتيجية أمريكية لمواجهة حركات التحرر ومماثلة تركيا التي تقمع الثوار الأكراد بالعنف وترفض الاعتراف بحقهم الشرعي أو حتى الإنساني (الاعتراف بتراثهم الديني، الثقافي والتاريخي) [1].

وهكذا فإن الصحافة الصهيونية الأمريكية تسعى دائما إلى محو الذاكرة العربية والإسلامية التي يصعب مسخها وإلغاؤها من الذاكرة التاريخية، حينها يلجأ هذا الإعلام إلى تشويه الزعامات الكارزماتية، والأحداث التاريخية

1- محمد علي حوات : العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل، م.س.ذ ص 188.

والإساءة إليها والتشكيك في مصداقيتها، ودورها الفعال في التاريخ العربي الإسلامي[1]، فمثلا الكاتب اليهودي المعروف أ. ف . ستون عبّر عن تحيّز دور النشر الصهيونية في مقال أعلن فيه: " أن التوقّق إلى دار نشر تقبل بإصدار كتاب ينحرف عن الخط الإسرائيلي القياسي، هو كعرض مقال جدي حول الإلحاد على صحيفة " أوسبير فاتورة رومانو " في الفاتيكان "، وبالتالي وفي ظل هذه القواعد الصحفية نجد أن " الإسرائيليون يقاتلون في سبيل الحرية " و " أن العرب إرهابيون "، أن " الإسرائيليون يقومون بردود انتقامية " بينما " الفلسطينيون يقومون بأعمال وحشية "، " العرب يواجهون الذم باستمرار، والإسرائيليون يواجهون المديح باستمرار[2] ".

وحتى خارج إطار الصراع الأمريكوصهيوني و الإسلاموعربي فإن الصحافة الأمريكية تسعى دائما إلى إبراز الحقائق السلبية والمشوهة للشعوب والثقافات الأخرى، فمن خلال تحليليه لمجموعة من المجلات الإعلامية الأمريكية وتغطيتها لأخبار إفريقيا، لاحظ الباحث C. B Pratt أن هذه المجلات تخصص قدرا بسيطا لأخبار القارة (أقل من 04% من مساحة المجلة)، حيث تقدم فيها إفريقيا باعتبارها: " غير ناضجة، ساذجة و لا واعية بطريقة سياسية "، أيضا فإن دراسة Pratt أوضحت أن هذه المجلات الأمريكية تركز وبصفة نظامية على الجوانب السلبية للحياة اليومية بالقارة: النزاعات، الانقلابات العسكرية، المشاكل السياسية، المصاعب الاقتصادية، المذابح الجماعية، الأمراض والأوبئة المتفشية... ، ولا تولي في الأغلب اهتماما بمشاريع التنمية الوطنية[3].

1- نفس المرجع السابق ص 188-189.

2- نديم البيطار: **هل يمكن الاحتكام إلى الولايات المتحدة في النزاع العربي الإسرائيلي؟**، دار بيسان، الطبعة الثانية، لبنان، 2002 ص 176.

3-Everette .E. Dennis et John .C. Merrill: **Les medias en question**, opcit P296.

2-الكتـــب:

عندما أُسر لويس التاسع عشر (19) في دار ابن لقمان بالمنصورة بعد الهزيمة النكراء التي مني بها جيشه، قضى وقته في الحبس يفكر في السبب الذي جعل جيشا قويا، منظما كجيشه يلاقي مثل هذه النهاية المخزية...، ولقد توصّل إلى السبب... إنه العقيدة الإسلامية الراسخة التي تجعل من يقاتل في سبيلها يُقبل على الموت بكل شجاعة وحب، ومن هنا تبلورت في رأسه الكيفية التي يمكن بها تدمير هذه العقيدة كخطوة جوهرية في سبيل القضاء على العرب واحتلال أراضيهم، ومن يومها بدأ دراسة الإسلام في الغرب بعمق، وأخذت الدراسات الاستشراقية تنتج الكتب عن تاريخ الإسلام و الحضارة الإسلامية، متبعة - ظاهريا- المناهج العلمية في النقد، التحليل والاستنتاج... ولكن في الحقيقة تم تزييف صورة الإسلام، وحشو هذه الكتابات بالشبهات الباطلة حول الرسول، أصحابه، خلفاء الإسلام... وهي شبهات عديدة وخطيرة تم جلب الكثير منها من عقائد الجماعات والفرق الشاذة عن الإسلام، وطوال ثلاثة قرون تمت تربية هذه الجراثيم بصبر ودهاء في انتظار اللحظة المناسبة [1].

يقول كليفورد: " إن خطر الانبعاث الإسلامي يتمثل في عاملين اثنين:

أولهما: التفكير الجاد على مستوى الدول العربية في الرجوع إلى الانضباط وينابيع الشريعة الإسلامية، لاسيما في نظام الروادع والعقوبات.

ثانيهما: القوة المادية الأولى التي يتمتع بها الشرق العربي متمثلة في النفط.

إن هذا الانبعاث الإسلامي، بالإضافة للقوة المادية كفيلان بقلب موازين الحضارة كلها، والقضاء على ما تبقى للغرب من هيبة ونفوذ ! "[2]، ومن هنا وحسب ادوارد سعيد انطوى فهم الغرب للإسلام على محاولة تحويل تنوّعه إلى جوهر

1- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، www.islamonline .net/iol-arabic/qadaya/art1.asp ، 2008/01/15.

2- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ

وجداني غير قابل للتطور وقلب أصالته إلى نسخة منحطة من الثقافة المسيحية، ومسخ شعوبه إلى كاريكاتيرات مثيرة للرعب..ومثل أي سلعة ناجحة، رائجة كان الشرق المصنّع ممنوعا من التبدل..وإذا حدث ودخل جزء من تاريخه في تناقض مع خصائص السلعة كما رسمها المستشرقون، فإن هذا الجزء سيُقمع، يُبطل ويُلغى[1]!!.

كما طالب الغربيون بتشجيع مبدأ الاجتهاد في الإسلام باعتباره أداة مهمة بوسعها أن تضفي الصفة الإسلامية على ما تتطلب الحضارة الغربية ومصالح الغرب تنفيذه من النظم والاجتهادات والقوانين الحديثة... وهذا ما اجتهد رفاعة الطهطاوي، الأفغاني، محمد عبده، قاسم أمين ومن شاكلتهم في فعله منذ أمد لمحاولة تزييف الإسلام، ودفعنا لفهمه فهما مخالفا لأصوله... وما قضية تعدد الزوجات إلا شظية من شظايا أفكارهم المتأثرة بالغرب... فلمحمد عبده على سبيل المثال تفسيرات مذهلة حاول فيهل إسقاط المعجزات على العلم... كأن تكون الطير الأبابيل في عام الفيل جرادا أو حشرات قتلت أبرهة وجنوده بالملاريا!!... أهم شيء ألا نبدو متخلفين فكريا أمام أسيادنا الغربيين!![2].

وتفاقم الوضع إلى درجة الطعن بالإسلام ونبيه المصطفى (ص)، النيل من علماء الدين، الدعوة إلى تغريب ما تبقى من العبادات والأوامر الدينية الإلهية، كالدعوة إلى أن تصاحب الموسيقى ما في الصلوات من قراءة وأدعية لإضفاء أجواء... (روحانية) على تلك الطقوس كوضع الكراسي والمنصات في المساجد، تطويع الأدب ليكون أداة نشر الأفكار الإلحادية، الجنس والعهر فيما يسمى الأدب المكشوف[3]، وكما يقول ادوارد سعيد: " فقد ساعدت نخبنا المثقفة الطافية على سطح المجتمع – كما يطفو السمك الميت والبيض الفاسد- في بلورة هذا الفكر

1- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ.

2- نفس المرجع السابق.

3- عبد الجبار الرفاعي: **مفهوم التحيز والتمركز المعرفي في التفكير الديني**، wwwahewar.org/debat/show.art.asp ?aid=106346، 2008/01/15.

التغريبي "[1]، حيث انصرفت عناية الأدباء والكتاب في الأقطار العربية إلى ترجمة كتب الآداب وعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ والقصص والروايات وترجمة كتب عديدة عن دعاة الإلحاد والثورة والاضطراب الاجتماعي، وضعف شخصية الفكر العربي والأدب العربي أحدثت اصطراع الأفكار والمثل ومناهج الفكر[2].

حيث أنه منذ 1830 فقد بدأ المبتعثون العائدون من أوروبا بترجمة كتب (فولتير) و (روسو) و(مونتيسكيو) في محاولة منهم لنشر الفكر الأوروبي[3]، حيث رجع الكثير من الجامعيين بروح الغرب، يتنفسون برئة الغرب ويفكرون بعقله ويرددون في بلدهم صدى أساتذتهم المستشرقين، وينشرون أفكارهم ونظرياتهم بإيمان عميق وحماسة زائدة مثل: بشرية القرآن، فصل الدين عن السياسة، أن الإسلام دين لا دولة، الدعوة إلى العلمانية، الشك في المصادر العربية الأولى، الشك في قيمة الحديث العلمية وإنكار مكانته وحجته ومكانة السنة في الإسلام، الدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وإلى السفور، كون الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني ومتأثرا به في روحه وسبكه، الدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام وتمجيد العصر الفرعوني والتغني بحضارته وآدابه وأمجاده، الدعوة إلى العامية والتأليف فيها، اقتباس الحروف اللاتينية، التقنين المدني العربي على حساب القانون الغربي، الدعوة إلى القومية العربية الاشتراكية المادية - والشيوعية الماركسية أحيانا- في العصر الأخير[4]. فمثلا:

- كتاب " **إلى أين يتجه الإسلام ؟** " ل (هـ .أ.ر. جب) حيث نُشر بلبنان سنة 1932، وكان قد ألفه مع جماعة من المستشرقين، وهو يبحث في أسباب تعثر

1- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ.

2- أبو الحسن علي الندوي: **الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، م.س.ذ ص 93.

3- **http :www.islamdoor.com/k/377/html** ، 2008/01/15

4- أبو الحسن علي الندوي: **الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، م.س.ذ ص 92-93.

عملية التغريب في العالم الإسلامي، ووسائل تقدمها وتطورها، بالإضافة إلى الدعوة إلى التحررية، العلمانية وإلى فصل الدين عن الدولة.

- كتاب " **بروتوكولات حكماء صهيون** " التي ظهرت في العالم كله عام 1902 ظلت ممنوعة من الدخول إلى الشرق الأوسط والعالم الإسلامي حتى عام 1952 تقريبا، ولاشك بأن منعها كان خدمة لحركة التغريب عموما[1].
- كتاب " **الغارة على العالم الإسلامي** " ل (آل شاتيلييه) الذي يصف كيف وضع العالم الغربي العالم الإسلامي داخل أسلاكه، حيث أحكم حصاره كي يحول دون تحرك فعالياته الثقافية[2].

من جهتهم قام حاملوا لواء التغريب من المفكرين والكُتاب العرب والمسلمين بإصدار كتب تهاجم الإسلام، تنكر السنة وتشكك في القرآن، ويكفي أن نذكر إنكار (طه حسين) في كتابه " **في الشعر الجاهلي**" لقصة بناء سيدنا إبراهيم وإسماعيل للكعبة التي وردت في القرآن الكريم زاعما أن القرآن أورد هذه القصة مراعاة لحب العرب للفخر والمجد!![3]، أيضا علي عبد الرازق الذي نشر سنة 1925 كتابه الشهير: " **الإسلام وأصول الحكم** " الذي ترجم إلى الإنجليزية والأردية، حيث حاول فيه إقناع القارئ بأن الإسلام دين فقط وليس دينا ودولة[4]، حيث قام الشيخ " علي " بالاستشهاد ببعض الآيات القرآنية والسنة النبوية لدعم بأن لا شيء في هذه المصادر التشريعية يظهر بوضوح بأن الإسلام هو نظام سوسيو سياسي أو يمثل حكما دينيا، حيث يقول في كتابه السالف الذكر: " إن محمداً لم يُبعث إلا ليكمل رسالة دينية، دينية فقط فهو لم يدع لتأسيس دولة، لم يؤسس للحكم والإدارة المعاصرين، لم يشكل حكومة أو إمبراطورية... "[5] ، أي

---

1 -**http :www.islamdoor.com/k/377/html**2008/01/15 ،

2- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ.

3- عبد الوهاب المسيري: **معالم الخطاب الإسلامي الجديد**، م.س.ذ.

4 -**http :www.islamdoor.com/k/377/html** 2008/01/15 ،

5-Silvia Naef et autres : **Quelques aspects du débat sur la sécularisation des pays musulmans**, Le Défi du fondamentalisme islamique : regards sur l'occidentalisation, édition Labor et Fides, Suède, 1988 P 74.

أن الرسول الكريم لا علاقة لرسالته بالسياسة، ثم أن سيدنا أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) كان رجل سياسة لا علاقة له بالشؤون الدينية، وهذا يعني أن الدولة الإسلامية عبر القرون الماضية كانت لا دينية[1]، فولاية الرسول على قومه هي من طبيعة معنوية في حين أن إدارة الحكام المعاصرين هي من طبيعة مادية، الأول يشكل من الدين في حين أن الثاني ينتمي إلى أمور الحياة الدنيا، أي أن القرآن حسب علي عبد الرازق يؤكد وبوضوح أن رسالة الرسول تنتهي بمجرد انتهاء الوحي ولا تتضمن إنشاء دولة[2]، حيث يقول: " إن زعامة النبي (ص) زعامة دينية جاءت عن طريق الرسالة لا غير، وقد انتهت الرسالة بموته فانتهت الزعامة أيضا ".

ويقول أيضا: " طبيعي ومعقول إلى درجة البداهة ألا توجد بعد النبي (ص) زعامة دينية... وإذا كانت الزعامة لا دينية وهي ليست شيئا لا أقل ولا أكثر من الزعامة الدينية أو السياسية، زعامة الحكومة والسلطان لا زعامة الدين... وإذا كان ولا بد من زعامة بين أتباع النبي (ص) بعد وفاته إنما تلك زعامة جديدة غير التي عرفناها لرسول الله (ص) "[3].

ومن الأمثلة التي أوردها في استشهاده هذه الآيات القرآنية وتفسيراتها العبقرية:

- ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء الآية 80.
- ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ سورة " قاف " الآية 45.
- ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾سورة " الغاشية" الآية 22.

1- أحمد بناسي: **دراسات في الإسلام واللغة العربية**، تقديم : أبو عمران الشيخ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2004 ص 22.

2-Silvia Naef et autres: **Quelques aspects du débat sur la sécularisation des pays musulmans**, opcit P 75.

3- أحمد بناسي: **دراسات في الإسلام واللغة العربية**، م.س.ذ ص 23.

وبالتالي فالقرآن – يضيف علي عبد الرازق- يؤكد أن الرسول لم يكن لا حفيظا ولا جبارا ولا مسيطرا على أمته [1].

وسبق أن قدم منصور فهمي كتابه الذي هاجم فيه نظام الزواج في الإسلام، والذي موضوعه حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها، وفي هذا الكتاب يقول: " محمد يشرّع لجميع الناس ويستثني نفسه "، ويقول : "...إلا أنه أعفى نفسه من المهر والشهود "[2].

بالإضافة إلى تصوير بعض الشخصيات الإسلامية في صور من الابتذال، العهر والمزاجية كما في كتب جورجي زيدان، وكذلك تلك الكتب التي تضيف الأساطير القديمة إلى التاريخ الإسلامي مثل: " **على هامش السيرة** " ل (طه حسين)، والكتب التي تعتمد على المصادر غير الموثوقة مثل " **محمد رسول الحرية** " لـ(الشرقاوي)، وكتبه عن الخلفاء الراشدين والأئمة التسعة... [3].

دون أن ننسى طبعا رواد مدرسة البحث في القمامة* – كما أسماهم فهمي هويدي- والذين أصدروا بعض الكتب والمطبوعات التي تمثل هجوما مكثفا على الشريعة وعلى التيار الإسلامي كله، متذرعة ببعض الممارسات التي صدرت عن عدد من الفصائل وأفراد هذا التيار والتي هي محل إنكار وإدانة من الإسلاميين أنفسهم.

1-Silvia Naef et autres : **Quelques aspects du débat sur la sécularisation des pays musulmans**, opcit P 75.

2- أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب (تحليل ودراسة)**، م.س.ذ

3- **http :www.islamdoor.com/k/377/html**2008/01/15 ،

* في إحدى المناسبات قال حسين أحمد أمين أنه يشعر بالفرح والغبطة عندما يعثر في كتب التاريخ على مثالب " هؤلاء " السلف الصالح، التي تدلل على أنهم بشر مثلنا لهم ضعفهم وأخطائهم، وأنهم ليسوا بالمثالية والنورانية التي يحاول البعض أن يحيطهم بها، فقفزت إلى ذهن " فهمي هويدي " فكرة البحث في القمامة، لكنه استحى أن يصرح بها أمام الآخرين فاكتفى بإشارة إلى المعنى وقال: " هكذا يفعل موظفو البلدية الذين يجوبون الشوارع والأزقة لا تقع أعينهم إلا على مخالفات النظافة "، ومن هنا أطلق فهمي هويدي هذا الإسم على هذه الشلة من الباحثين والمفكرين العرب.

حيث نقرأ في هذه الأدبيات:

- أن هدف التيار الإسلامي هو " الإسهام في تركيع الإنسان العربي وهزيمته وفرض الهيمنة الإمبريالية الصهيونية- في غيبة العقل والديمقراطية- على الوطن العربي.
- إن الحركات الدينية القائمة الآن هي – في جوهرها- خاضعة للقطب الاستغلالي في عملية الصراع الطبقي.
- إن تنامي التيار الديني (لا التعصب ولا التطرف) قد نشأ في غيبة العقل العربي وفي ظل عقمه.
- إن الحركات الإسلامية لا تمثل هويتنا الحضارية، بل إن هذه " اللعبة " التي تساهم فيها قوى خارجية، هي عملية تهدف إلى إضاعة هويتنا الحضارية [1].

ومن بين هذه الكتب:

1- " **حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية** " لحسين أحمد أمين حيث قال:

- أما شواغل النظام الإسلامي فلا علاقة لها بالعمل أو الإنتاج أو حل مشاكل الناس إذ أنه " ما من آية واحدة في القرآن الكريم، ولا حديث شريف واحد، قد أمر المسلمين فيها أو فيه بإصلاح المجاري، أو ضمان استمرار تدفق المياه، وسريان الكهرباء "، لكن شواغلهم الحقيقية تتراوح ما بين التحقيق من تأثير صبغة اليود على الوضوء، هل تنقضه أم لا؟ وما إذا كان ظاهر قدم المرأة عورة أم لا؟ وما إذا كان النقاب الصحيح يظهر العينين أم عينا واحدة ".
- الكثير من أحكام القرآن والسنة كان القصد منها علاج شرور المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية، أي لا علاقة لها بالعصر الذي نعيشه ولا بما يتجاوز الجزيرة العربية.
- كان الخلفاء الراشدون يرون أن من حقهم سن تشريعات جديدة، بصدد أمور مستجدة لم يرد بها نص، بل وتغيير أحكام أوردها القرآن والسنة.

1- فهمي هويدي: **تزييف الوعي**، م.س.ذ ص 22-23.

- في كتابه استتكر المؤلف على أمة المسلمين أن يكون لهم سلف صالح فأشار إليه بعبارة " السلف الذي ينعت بالصالح ".
- أما رموز التاريخ الإسلامي فلهم نصيبهم من النقد والتجريح، فوصف الأئمة والفقهاء بقلة الأمانة واللؤم ثم صنفهم في مربع الجبناء، وعثمان بن عفان هو الصحابي الرأسمالي المجرح في ذمته، وسعد بن أبي وقاص لم يكن يحسن إقامة الصلاة، وعمر بن عبد العزيز جاهل بالإدارة، وابن تيمية – شيخ الإسلام- لا عقلاني وساذج وعدو للفكر الناضج، والغزالي – حجة الإسلام- سبب تأخر العالم العربي، وتحدث عن مجتمع المسلمين بحسبانه أرض النفاق في عنوان بارز.
- حول اتهام عمر بن عبد العزيز بالجهل وإسناد إليه خراب الدولة الأموية يقول حسين أحمد أمين أن والي حمص كتب إليه يستأذنه في إصلاح حصن المدينة، فرد عليه قائلا: " حصنها بالعدل "، ثم علق الكاتب على الرواية قائلا أنها – رغم ما فيها من بلاغة تستهوي العرب- فهي تستوجب المؤاخذة البرلمانية في أي نظام حكم ديمقراطي.
- أراد الكاتب أن يدلل على تهالك كتب الفقه وتنوع مادتها فقال أنها تحدد لنا الآلات الموسيقية المشروعة والمحرمة، حكم دية الكلب، رضاع الرجل الكبير، حكم من كسر عظام الميت، حكم من أتى بهيمة... وغيرها من العناوين الشاذة!.
- وعندما أراد أن يدلل على خصب الفكر العربي لم يجد سوى كتابين اثنين يشهدان لذلك الخصب هما: " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ علي عبد الرازق، و " في الشعر الجاهلي " لطه حسين[1].

2- " **المجتمع والشريعة والقانون (كتاب الهلال)** " لمحمد نور فرحات: بالنسبة إليه فهو يجاملنا في العقود الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي ويقبل على مضض

1- فهمي هويدي: **تزييف الوعي**، م.س.ذ ص [29... 32].

اعتبارها عصرا زاهيا، أما القرون التالية التي أعقبت القرن الهجري الأول فهي صفحات سوداء ينبغي أن نخجل منها وألا نشير إليها بطرف، فبالنسبة إليه ما أصاب الإمام أحمد بن حنبل (في عصر المأمون) خليق بأن يكون درسا لمن يتشدقون بعصور ازدهار الفكر الإسلامي في عصر الخلافة العباسية.

- خلال القرون الثلاثة عشر (13) من عمر الإسلام لم تخاطب المعارضة إلا بالسيف، حتى أصبح حديث السياف والنطع جزءا لا يتجزأ من تراث التاريخ لسيرة تلك الدول.
- قال عن عصر أبي بكر الصديق: " إن البعض في تلك المرحلة امتلأت خزائنهم بالأموال، وبيوتهم بالسبايا الفاتنات، يعيشون حياة باهرة من البطالة، الفتوة، الثراء والمتاع..."، ويلخص الحالة في عصر أول الخلفاء الراشدين في تلك العبارة: " أموال، ضياع، نساء... وشراب أيضا ".
- إلى جانب أفكار وتساؤلات بعضها من قبيل الهزل في موضع الجد وبعضها يمثل ذلك الغمز في الشريعة، منها الفقرات التالية:

1. تطبيق الشريعة ليس قضية مطلقة، ولكنها قضية محددة بمشروعات قوانين معدة بالفعل... نجد منها مثلا قانون تطبيق حد الزنا بالعصا الرفيعة على من بلغ سبع سنوات!.
2. هل يقبل الإسلاميون وضع نص في قانون العقوبات مقتضاه: " إذا نطق المتهم قبل الحكم بالعقوبة بأبيات من الشعر الطويل أو السريع حازت إعجاب القاضي فله أن يوقف التنفيذ ؟
3. إذا وقفنا عند ظاهر النصوص بغير اجتهاد فلربما خصصنا فرقة من السيافين تقف أمام مؤسسات السيرك القومي التي ترعاها الدولة لتضرب رؤوس مروّضي الوحوش والحواة والراقصين على ألسنة اللهب، استنادا إلى قول منسوب إلى النبي (ص) يقضي بأن حد الساحر ضربه بالسيف!.

ويلخص في الأخير إلى أن: " التغريب التشريعي أمر ألحت عليه الظروف الاجتماعية، الاقتصادية والحضارية، لذا فلا بد منه "[1].

1- فهمي هويدي: **تزييف الوعي**، م.س.ذ ص38- 39.

3- " **الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة** " لفؤاد زكريا:

- انتقد فكرة " الإحسان " في الإسلام وقال إنها لا تصلح كقيمة في المجتمع المعاصر، وأراد أن يدلل بها على اتساع وترهل التعاليم .
- التاريخ الإسلامي ما هو إلا صحيفة سوابق تشهد على أمة الإسلام بالعجز والإفلاس وسوء السمعة، كما أن التطبيق الإسلامي لم يكن إلا سلسلة طويلة من الفشل.
- يتساءل ببراءة شديدة: " ماذا نفعل إذا كانت جميع حالات التطبيق التي نعرفها طوال التاريخ القديم والمعاصر باستثناء البداية الأولى التي كانت لها ظروف خاصة لن تتكرر، قد أخفقت في إقرار العدل وتبديد الظلم، وإقامة مجتمع يختفي فيه استغلال الإنسان واضطهاده لأخيه الإنسان.
- إن الدعوة إلى تطبيق الشريعة ظاهرة جديدة ودخيلة على التدين العربي العاقل الهادئ.
- حول مسألة صلاحية الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان... فليس هناك في أمور البشر ما يسمى قاعدة من هذا النوع، وتلك قضية علمية لأن البشر متغيرون وظروفهم متغيرة، ثم أن فكرة الصلاحية في حد ذاتها ينقدها أمران:

الأول: أن الإنسان كائن متغير ومن ثم ينبغي أن تكون الأحكام التي تنظم حياته متغيرة.

الثاني: أن الالتزام بالمبدأ يعني الحجر على الإنسان والحكم عليه بالجمود الأبدي[1].

دون أن ننسى صلاح جاهين الذي كتب يوما في حق الرسول (ص) عبارة " **محمد أفندي والزوجات التسع !** "[2] .

1- فهمي هويدي: **تزييف الوعي**، م.س.ذ ص[45... 47] .

2- **من هي الدولة العربية الأكثر ثقافة حاليا؟**، http://abdi3.jeeran.com/archive/2007/12/416770.html، 2008/04/06.

وهكذا وإن كنا نقصد أدب التمييع والانحلال: مؤلفات مسخرة للسفور والفجور فنحن مثقفون، وإن كنا نتباهى ببعض كتابنا الذين باعوا أقلامهم للغرب طمعا في الشهرة والجوائز فنحن مثقفون، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الغرب لم يكن في يوم من الأيام سخيا في تقديم جوائزه، بل هو ينتظر المقابل والمقابل عنده مؤلف يحمل الضر بين ثناياه، وقد تتفاوت نسبة الضر من دعوة للتحرر أو للمساواة بين الشاذ والصالح، أو تغريب وحداثة، أو إلى علمانية وعز الطلب هو إلحادية، كما كان الحال بالنسبة لسلمان رشدي الباكستاني الذي احتضنته بريطانيا، وإن لم يكن الأمر كذلك فالكتب المتداولة هي إما للطبخ أو للأبراج أو لتعلم اللغات في ظرف أسبوع!!، أو هي كتب الإثارة الجنسية الرخيصة[1]، هذا الأدب المكشوف أو ما يصطلح عليه بانعدام الأدب الهادف يؤدي إلى الانحطاط بالنفس الإنسانية إلى مراتب دنيا من الهمجية الحيوانية لتدنيس كل عفيف طاهر، خاصة وأن هذا الأدب تروّج له الصهيونية العالمية، وتسعى إلى نشره في العالم ليعم الفساد وهو مل يسهل عليها تقويض الأديان للسيطرة على العالم، وقد جاء هذا النص في أحد برتوكولاتهم: " يجب علينا أن نعمل على انهيار الأخلاق في كل مكان، وسيظل فرويد يعرّي الإنسان ويعرض علاقته الجنسية إلى ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ولا يبقى لدى الشابات أمر يستحين من إتيانه، ويصبح هم النساء والرجال آنذاك إرواء الغريزة الجنسية، وحينئذ تنهار الأخلاق، وتسهل سيطرتنا على العالم "[2]، فهاهو إحسان عبد القدوس يعتبر الشرف تقليدا من التقاليد، ونوال السعداوي التي تريد للمرأة أن تتحرر من الدين، القيم والأخلاق، وأن تمارس الجنس بحرية قبل وبعد الزواج ومع عدة رجال في سبيل إشباع رغبتها الجنسية، إذ اعتبرت " فردوس " بطلة قصتها " امرأة عند نقطة الصفر " بطلة، لذا طالبت بتعدد الأزواج ومجدت المومس ونادت بالإباحية الجنسية[3].

1- **من هي الدولة العربية الأكثر ثقافة حاليا؟**، م.س.ذ.

2- سهيلة زين العابدين: **الأدب المكشوف وأثره على المجتمع**،
www.lahaonline.com/index.php?option=content&id=2273&task=view&sectionid=1 ، 2008/04/23.

3- نفس المرجع السابق.

وهكذا فقد حقق هؤلاء الأدباء " المنحلون " ما جاء في بروتوكولات صهيون وتبنوا الفرويدية والعلمانية والوجودية الماركسية وما تمخض عنها من أدب مكشوف، وهذا ما قصده البروتوكول الرابع عشر (14) الذي جاء فيه هذا النص: " وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغثي النفوس، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب"[1].

وبالحديث عن سيطرة اليهود على الأدب المكشوف العالمي، ولأن الأدب يعتبر مرآة العصر الذي يعبّر عنه، ولأن لليهود أهمية ودور فعال في الولايات المتحدة الأمريكية في جميع المجالات، فمن الأهمية بما كان إلقاء الضوء قليلا على شكل الأدب الذي يكتبه اليهود هناك... فاليهود يميلون إلى فن الرواية أكثر من فنون الكتابة الأخرى لأنها الأكثر انتشارا وتأثيرا، بالنظر إلى امتلاك اليهود لأكبر وسائل الإعلام قوة وتأثيرا، الأمر الذي يساعد على تحويل هذه " الإبداعات " إلى أعمال ضخمة الإنتاج، مثل ضخامة إنتاج المسلسل التليفزيوني " هولوكوست " أو أفلام مثل : " يوميات آن فرانك "، " بن هوز "، " الوصايا العشر " أو غيرها، ولعل من أشهر الروائيين اليهود المتصهينين في **الولايات المتحدة الأمريكية**:

1. جيرالد غرين: صاحب رواية " هولوكوست " الشهيرة.
2. إيراليفين: الذي يصنف من أذكى الروائيين اليهود.
3. صول بيللو: صاحب العبارة الشهيرة: " كي تكون محبوبا من كل الناس، عليك ألا تجادل حول إسرائيل، فوجود إسرائيل لليهود لا جدال فيه ".
4. بن هينجت: أكثر الأدباء اليهود فخرا بيهوديتهم.
5. نثنائيل ويست: المتأثر بعقدة الجيتو اليهودية.

فرنسا: أو كما يسميها أحد الأدباء اليهود: "البلد اليهودي الأول "- فباريس كما صرح أحد الشعراء اليهود مدينة نصف يهودية- بدورها تبرز فيها قيمة الرواية اليهودية، ومن أبرز النماذج في الرواية اليهودية الفرنسية:

1- سهيلة زين العابدين: **الأدب المكشوف وأثره على المجتمع**، م.س.ذ .

1. **ألبرت كوهين:** الصهيوني الذي يعلن صهيونيته ويهوديته بصراحة وفخر حيث يقول: " أؤمن ببساطة بأن أصبح ملكا لإسرائيل "، حيث ومن خلال رواياته تبدو الشخصية اليهودية كريهة تكره كل الأجناس من حولها خاصة العربية منها.
2. **ميشيل تونييه:** وجه يهودي آخر وعضو بارز في أكاديمية جونكور الأدبية[1].

ناهيك عن الصورة السلبية للعرب في الأدب العبري، فالذي يتصفح القصص العبرية يجد أن كتابها يطلقون على العرب صفات لا تليق بالإنسان، فهو في نظرهم سارق، كاذب، منافق، ذو وجهين، مغتصب للنساء، معقد، يفتقد المبادئ، توجهه غريزته الجنسية، أضف إلى ذلك أنه لا يفي بوعده وحب للمال ومرتش، ولدينا نماذج كثيرة للتدليل على ذلك نذكر منها ما كتبه " ناتان شاحم " في قصته " غبار الطرق"، حيث يسوق حديثا عن العرب يدور بين يهوديين، فيقول أحدهما في تعريف العربي أثناء الحديث: "... العرب مثل الكلاب فإذا رأوا أنك مرتبك ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم يهجمون عليك، أما إذا قمت بضربهم فهم سيهربون كالكلاب..."، ويضيف الآخر في موضع آخر من القصة: " إن أفضل عربي هو العربي من دون نقود... الحقيقة أن العربي الجيد هو العربي الميت "[2].

أما في مجال التبادل الدولي للكتاب فنجد أنه من أصل 500 ألف كتاب مصدر سنويا في العالم، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تصدر نصف هذا العدد، وتصدر دول أوروبا الواقعة على البحر المتوسط 125 ألف كتاب أي ما يعادل 25% من المجموع العام، في حين لا تصدر الدول العربية مثلا إلا 2% من الكتب، أي حوالي 10 آلاف كتاب[3].

وهذا ما يؤكد أن دول العالم الثالث ومنها الدول العربية لا تنتج ولا تصنع أخبارها وثقافتها بمفردها، بل أصبحت دولا أخرى تتولى عنها هذا الاختصاص

1- محمد علي حوات: **الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية**، م.س.ذ ص [141... 158].

2- محمد محمود ذهبية: **الإعلام المعاصر**، م.س.ذ ص 161.

3- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 239.

بكل ما تحمله هذه الثقافة من قيم ثقافية وتربوية وسلوكيات اقتصادية وسياسية وثقافية وما تقوم عليه من لغة.

المطلب 03- الوسائل الالكترونية:

وتتمثل في شبكة الإنترنت.

1- الإنترنت:

تقدم لنا التكنولوجيا كل يوم شيئا جديدا من ابتكارات واختراعات متماشية بذلك مع الواقع المعاش وما يحدث فيه من تطورات في كافة المجالات، ولعل آخر ما قدمتها التكنولوجيا من وسائلها المتطورة ما يطلق عليها بشبكة الإنترنت التي انتشرت كما يقال: " انتشار النار في الهشيم "[1]، ذلك أن شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) قد انتشرت في كل أنحاء العالم، وبدا الجميع – وبخاصة الشباب- يتعاملون معها ويقضون وقتا طويلا أمامها، خاصة بعد أن أصبح الكومبيوتر هو " لغة العصر "[2].

وإذا كانت شبكة الإنترنت كما يقول بلقزيز هي قمة ما وصلت إليه ثورة التكنولوجيات الحديثة للاتصال ومختلف ابتكاراتها، فإنها (الإنترنت) تعتبر الوجه التطبيقي للعولمة* وأداتها الفعالة التي من خلالها تسعى إلى توسيع نفوذ الدول القوية وإبقاء العالم تحت السيطرة الدائمة، فشبكة الإنترنت لا تعترف بالحدود القومية للشعوب، ولا تعير أدنى اعتبار للخصوصيات الثقافية، فهي وسيلة لسيطرة

1- مجتبي العلوي: قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات، م.س.ذ.

2- نيافة الأنبا موسى: الشباب...والإنترنت، http://www.cyuegypt.com/cyc/youth_more.asp?subjectid=62 ، 2008/03/17.

* هذه العولمة التي عرفها على أنها: " فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، إنها أيضا الاختـراق الثقافي الذي يجري بالعنف المسلح والتقنية ".

الشركات المتعددة الجنسيات على التجارة الالكترونية، وهي وسيلة لتعزيز التوجه الليبرالي اقتصاديا وسياسيا وتكريسه[1].

ويؤيده في فكرته " وليم جريدر " حيث يقول في تعريفه للعولمة: " إنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، إنها قادرة على الحصاد وعلى التدمير، إنها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، وبقدر ما هي منعشة فهي مخيفة، لا يوجد ما يمسك بدفة قيادتها، ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهها، وهي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني دون اعتبار للأنظمة، الحضارات، الثقافات، القيم أو الحدود السياسية والجغرافية القائمة في العالم "، ولاشك أن هذا الرصيد المعلوماتي في تدفقه المستمر من خلال المواقع المختلفة في شبكة الإنترنت يتطلب قدرة نافذة لجمع المعلومات المستخدمة لأنها قد تحمل أمورا مبهمة ومعقدة، كما أنها قد تتسم بالاتساق وبالتناقض، بالوقائع والتخيلات، بالأخلاقي وبغير الأخلاقي، بالصحيح وبالزائف، بالعلمي وبالتجاري، لهذا يتضمن أي مقرر في مجال استخدام الإنترنت تدريبا على الالتفات لمخاطر المعلومات فيها تقييما لمصادرها ومضامينها شكلا ومضمونا[2]، ذلك أن شبكات المعلوماتية تشكل سلاحا بالنسبة للذين يحسنون استعمال خدماتها بذكاء، حيث أن الشعوب القوية تتقارب ثقافتها على عكس المجتمعات الضعيفة التي تزداد ضعفا بفعل الثقافة الخارجية المفروضة عليها بالقوة، نظرا لأن: " التكنولوجيا الحديثة في مجتمعاتنا لازالت مستوردة بالكامل، إنها تحمل معها بالضرورة بذور وجينات الثقافة الأجنبية، وبالتالي فهي حين نستوردها تؤثر حتما على الثقافات الوطنية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة "[3].

1- إبراهيم طوبال: **الإنترنت، الثقافة والمجتمع: دراسة سوسيولوجية ميدانية لاستخدام الإنترنت في الفضاء العمومي " الميدياتيك"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2003 ص 86.

2- حكيمة بوبعيو: **واقع العولمة وأبعادها : دراسة في المتغيرات**، م.س.ذ ص 206.

3- إبراهيم طوبال: **الإنترنت، الثقافة والمجتمع: دراسة سوسيولوجية ميدانية لاستخدام الإنترنت في الفضاء العمومي " الميدياتيك"**، م.س.ذ ص 73-74 .

ولا تعتبر شبكة الإنترنت بمنأى عن هذه الأخطار، فقد تسبب هذه الشبكة أضرارا قد تنجم عن الاستعمال السيئ والخاطئ وغير الواعي لها، فقد تكون الإنترنت دمارا للنفس البشرية بما تسببه من أضرار نفسية وبدنية وعقلية خاصة إذا أدمن المرء عليها بالجلوس الطويل أمام الشبكة يتسكع بين مواقعه، ويعيث فيها خبطا وعشوائية، دون هدف أو غاية، وفي هذا الصدد أطلق " دافيد هوب " أسقف يورك البريطاني تحذيرا من أن: " شبكة الإنترنت قد تصبح أداة للشر، وأن سحر الكومبيوتر سيوجد مجتمعا بلا روح... فهي قد تسهم مع غيرها من وسائل العولمة في تبديد حياة الإنسان في العالم المتخلف وتسلب ما تبقى له من مقومات بقاءه على قيد الحياة "[1].

ولعل من أهم تلك الأخطار:

- تلعب الإنترنت دورا خطيرا في دمار الخُلق وانحطاط القيم، وذلك بعد ظهور مواقع إباحية كثيرة تروج الفواحش وتجعلها في متناول الجميع من خلال مواقع جنسية، تهدف لإثارة الشهوات بين الشباب وتسهيل موادها، فتفتح بذلك طرقا معبدة للرذائل بنشر صور فاضحة في قمة القذارة والخلاعة لعراة المادة – جمع المال- المادة التي جعلت بهيمة تباع وتشترى في سوق الجنس والعرى[2]، بل وظهرت مواقع تدعو للشذوذ الجنسي وممارسة الزنا حتى مع البهائم، وما يُبث يثير الاشمئزاز في النفس السوية التي لا تقبل بطبيعتها السليمة سلوك طريق التفسخ والانحلال[3]، بالإضافة إلى الأفلام المخلة بالآداب والمثيرة للغرائز Pornographie وما أكثر مواقعها على الإنترنت[4].

1- محمد علي حوات : **العرب والعولمة، شجون الحاضر وغموض المستقبل**، م.س.ذ ص 82.

2- مجتبي العلوي: **قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات**، م.س.ذ.

3- **الإنترنت سلاح ذو حدين**، http://www.fadak.org/MOSHARAK/521.html ، 2008/03/17.

4- نيافة الأنبا موسى: **الشباب...والإنترنت**، م.س.ذ

- الإنترنت دمار للدين سما بعد ظهور مواقع تهدد ديننا الحنيف وترسم له صورة مشوهة بعيدة كل البعد عن حقيقته الساطعة، حيث تبث سمومها القاتلة من خلال نشر أفكار مضللة وأباطيل زاهقة تدعو على الشرك بالله تعالى والنيل من الرسالة المحمدية في محاولة لتشويه الحقائق الثابتة، وتزييف الوقائع الراسخة بل تحاول أن تصوّر الإسلام بصورة مغايرة تماما، فتصفه بأنه دين منتشر بقوة السلاح لا بقوة الحجة والمنطق وتاريخه تاريخ دموي مسفوك بدماء الأبرياء، كل ذلك من أجل الحط من منزلة هذا الدين العظيم[1]، بل وصل الأمر ببعض المواقع الموجودة بالولايات المتحدة إلى ابتداع سور قرآنية أو تحريف سور أخرى، جعل الأزهر يتحرك لاتخاذ الإجراءات القانونية برفع دعوى قضائية ضد الشركة القائمة بهذا التشويه[2]، ومن أمثلة هذا التشويه قولهم: " هي من عند الله، ليشتروا بها ثمنا قليلا..."، كما ظهرت فرق ضالة تدعو على عبادة الشيطان الرجيم، ففتحت أبوابا للانحلال بإباحة المحرمات وممارسة الموبقات علنا وجهرا... ليندمج معهم الشباب المسلم ويغرق في بحر المجون فيكون بمنأى عن دينه "[3].
- وجدت ثلة فاسدة من الانترنت وسيلة فعالة لمزاولة هوايتها في السب وقذف الناس بهتانا وزورا وبألفاظ بذيئة في غاية الانحلال الخُلقي، وذلك من خلال الصفحات الحوارية التي أعدت من أجل تعلم فن الحوار والمناقشة الموضوعية الهادفة، وانتشرت في مجتمعاتنا العربية بعض الصور التي لا تتناسب وقيمنا وعاداتنا أخطرها ظاهرة الغزل الالكتروني وتبادل الصور بين الشباب والشابات، والخوف من تطور تلك العلاقة إلى ما لا يحمد عقباه، فقد تسير نحو الأسوأ باتخاذها شكلا غير شرعي أو خلقي، وهذا يفتح مجالا كبيرا أمام شبابنا لتقليد الغرب في علاقاتهم الغرامية فتتسع هوة الانحراف والفساد في مجتمعاتنا العربية[4]،

1- مجتبي العلوي: **قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات**، م.س.ذ.

2- كمال راشدي: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، م.س.ذ ص 248.

3- **الإنترنت سلاح ذو حدين**، م.س.ذ.

4- مجتبي العلوي: **قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات**، م.س.ذ.

حيث يعتبر الجنسان – على حد قول عزي عبد الرحمن – أن التواصل مع الجنس الآخر عبر الإنترنت سلوكا جذابا يوفر الأمن الشخصي... كما أن هؤلاء الشباب – حسب إحدى الدراسات –يرون أن علاقاتهم مع الجنس الآخر عبر الإنترنت ليست بغرض تكوين علاقات حقيقية كالزواج مثلا، وإنما يرونها حالة مؤقتة غير جدية في كل الأحوال[1]، كما تؤكد شهادات شجاعة لبعض الشباب أنهم يتبادلون مع الأصدقاء مشاعر الحب ومواعيد اللقاء على شبكة الانترنت في حضور الآباء الذين لا يعرفون شيئا عن هذه التكنولوجيا[2].

- الدفع إلى تعاطي المخدرات... السموم القاتلة التي تفتك بالجسد بل وتدمر خلايا الدماغ لتدفع بالمدمن نحو الجنون أو الموت ببطء، فأصبحت الإنترنت وسيلة ترويجية ودعائية لبعض المنتجات العالمية خاصة المسكرات والمخدرات، حيث تروج بطرق جذابة تثير الجميع حتى الأطفال والمراهقين الذين يدفعهم حب المغامرة والتقليد على خوض غمار التجريب... تجريب كل غريب وجديد في عالمهم الصغير[3].
- لم تقتصر بعض الواقع على نشر أسباب الموت البطيء بترويج السموم فحسب، بل ظهرت مواقع تنشر الموت السريع باسم الانتحار، وذلك بتشجيع كل من تسلل الإحباط والاكتئاب إلى نفسه المزعزعة للتخلص من شقائه بقتل نفسه (التي حرم الله قتلها إلا بالحق المبين) في دعوة جهرية معنونة ب " أقتل نفسك بنفسك " لتشهد نفسه بعد القتل عالما آخرا حيث السعادة الحقيقية تنتظر الأشقياء في هذا العالم الكئيب، فتبيع تلك المواقع الوهم للضائعين المكتئبين برسمها لطريق الأحلام الكامن خلف الانتحار، وقامت مواقع أخرى بشرح طرق انتحار مختلفة بالتفصيل وعنونت صفحتها ب " 15 طريقة رائعة لقتل النفس، وكما يحلو لك"[4].

1- عزي عبد الرحمن: **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية**، م.س.ذ ص 78.

2- علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، م.س.ذ ص 37.

3- مجتبي العلوي: **قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات**، م.س.ذ.

4- **الإنترنت سلاح ذو حدين**، م.س.ذ.

- سوء استخدام الإنترنت يؤدي على تنمية النزعة الاستهلاكية وتعزيزها، ذلك أن الشبكة تعج بالإعلانات والرسائل الفجائية (Pubs up) وإذا كان الإعلان في حد ذاته ظاهرة تجارية عادية تربط المستهلك بالسلعة وتدر الفائدة على الطرفين فإن كثرتها قد تجعل الفرد يستهلك ما لا يحتاجه وبكلفة قد لا يقدر عليها، كما أن الكثير من الإعلانات تخل في شكلها أو مضمونها بالقيم كالصور نصف العارية مثلا[1].
- تعد اللغة هي المدخل المثالي لتقويض بنية الثقافة، فمثلا يلاحظ أن اللغة المستخدمة والسائدة في الإنترنت هي اللغة الإنجليزية، إضافة إلى أن أغلب المعلومات الواردة في الشبكة واردة من الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي يخلق حالة من الاعتماد على استخدام اللغة الأجنبية محل اللغة الوطنية من قبل أجيال الشباب، حتى تصبح اللغة الوطنية غريبة على أجيال عديدة في وطنهم[2].
- إن سوء استخدام الإنترنت يؤدي إلى تقليص المحلي و توسيع العالمي، فالكثير من المحتويات التي تنتجها الشبكة ليست بالضرورة عن الواقع المحلي لمستخدمها، بل عن ظواهر عالمية ترتبط بالمجتمعات الأخرى، خاصة الغربية والحاصل أن مثل هذا يقلل الاحتكاك بالمجتمع وكل ما هو واقعي (من الوقع المعاش)، ويجعل الفرد مرتبط أكثر بما يجري في العالم الخارجي من أحداث وتطورات في شتى المجالات، وتقول تأويلات أن هذا التعرض سيكوّن مع الزمن وعيا وانتماء عالميا لدى الفرد، وفي كل الحالات فإن هذا الاستخدام العولمي سيكون على حساب المحلي، ويساهم في "تكسير" وتيرة المجتمع[3].
- سيطرة الخطاب الثقافي اليهودي عبر الإنترنت على معظم عناصر منظومتي الثقافة والحضارة :

1- عزي عبد الرحمن: **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية،** م.س.ذ ص 80.

2- علي ليلة: **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب،** م.س.ذ ص 41.

3- عزي عبد الرحمن: **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية،** م.س.ذ ص 77-78.

- ❖ من الفلسفة إلى الفلكلور، من نظرية الأدب إلى قصص الأطفال، من معالم التراث الثابت إلى أيقونات المعابد وطقوس المناسبات من التاريخ، سحيقه، قديمه وحديثه إلى قضايا الحاضر.
- ❖ حشد التأييد للشعب اليهودي وقضاياه، وذلك بإقحام العنصر اليهودي قسرا في معظم الأمور التي تحظى بالتعاطف العالمي، فكل ممارسة إنسانية ضد حقوق الإنسان يختلق لها شقها الخاص لمعاداة السامية، ناهيك عن قيام هذا اللوبي الثقافي اليهودي بتكثيف حدة العداء ضد الإسلام والمسلمين بافتعال وجود الصلة بين الإسلام ومعظم مشاكل العصر، وإرجاع كثير من الممارسات المرفوضة إنسانيا إلى جذور عربية وإسلامية.
- ❖ تسعى إسرائيل إلى هندسة صورتها الثقافية على أنها: " موزاييك من الناس، الأفكار، الثقافات واللغات "، وعلى حد قولهم فإن إسرائيل تجمع بين القديم (قديم القدس بالطبع) والجديد (جديد تل أبيب بالمقابل)، بين روحانيات الشرق وثقافة الغرب، ناهيك عما تزعمه من كونها مهد الحضارات وصاحبة التاريخ التليد عبر كل العصور والممالك[1].

أي أن إسرائيل تتحرش بالثقافة العربية والإسلامية عبر الإنترنت، وقد نجحت فعلا في إقامة شبكة ممتدة من التحالف الثقافي والديني الرسمي وغير الرسمي لحشد العداء ضد العرب والمسلمين، وتشير دلائل عديدة إلى نية إسرائيل في استخدام تكنولوجيا المعلومات لتشويه تراثنا الثقافي القريب والبعيد[2].

وهكذا ورغم الأهمية الكبرى التي تحظى بها الإنترنت باعتبارها تقوم مقام ثلاثة أجهزة في آن واحد، فهي تجمع بين وسائل الإعلام بكافة صورها: المرئية والمسموعة والمقروءة، باعتبار أنه يمكنك سماع المذياع ومشاهدة التليفزيون وقراءة الصحف والمجلات بل وتقوم مقام الهاتف حيث يمكنك مخاطبة شخص ما في أي مكان في العالم صوتا وصورة من خلال نظام الدردشة المعروف ب" الشات" Chat ،

1- نبيل علي: **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، م.س.ذ ص 158.

2- نفس المرجع السابق ص 58.

بالإضافة إلى متابعة المحاضرات من أي مكان عبر النقل المباشر للشبكة والدخول في مناقشات وحوارات حول أي قضية أو مشكلة لإبداء الرأي.

بالرغم من كل هذا إلا أن التكنولوجيا من حيث هي بناء متكامل تبقى تعكس الإطار الاجتماعي، الثقافي والحضاري الذي أُنشئت في ظله، وهذا ما يجب أن تأخذه المجتمعات النامية بعين الاعتبار، ولا ينبغي عليها بوجه خاص أن تبادر إلى وضع خططها لكي تتقاسم مزايا التكنولوجيات الحديثة، وتكييفها مع حاجاتها وظروفها الخاصة.

ملخص الفصل الثاني:

في المبحث الأول لهذا الفصل تطرقنا إلى ثلاثة مفاهيم تعتبر بمثابة وجه آخر لمفهوم التغريب الثقافي، أو مسميات أخرى لنفس المضمون وهي: العولمة الثقافية، الصناعة الثقافية والثقافة الجماهيرية مبرزين أوجه التداخل بينها وبين مفهوم التغريب.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا موضوع وسائل الإعلام من خلال إدراج مدخل بسيط إليها ففي المطلب الأول تناولنا مكانة وسائل الإعلام في حياتنا مبرزين أهم الأدوار والوظائف التي تلعبها هذه الوسائل في حياة الأفراد، ثم اتجهنا إلى إدراج أهم التأثيرات التي تمارسها وسائل الإعلام على حياة الأفراد والمجتمعات وفي مختلف المستويات القيمية، السلوكية والعقائدية، بعدها اخترنا نظرية الغرس الثقافي لجورج جربنر واعتمدناها كدعامة نظرية تخدم دراستنا هذه، باعتبار أن هذه النظرية هي الأقرب – من خلال وجهة نظرنا- لفحوى الدراسة وهدفها.

ليأتي المبحث الثالث الذي تعرضنا فيه بالتفصيل إلى وسائل الإعلام المختلفة ودورها في نشر التغريب سواء السمعية البصرية متمثلة في التليفزيون من خلال مضموني الإعلان و الموسيقى (الفيديو كليب)، الإذاعة والسينما، أو وسائل الإعلام المكتوبة وهي الصحافة المكتوبة والكتب، أو وسائل الإعلام الالكترونية متمثلة في الإنترنت، موضحين خطورة كل وسيلة وانعكاساتها السلبية على مستعمليها أو المستقبل لمضامين رسائلها الثقافية.

الفصل الثالث

القنوات الفضائية العربية في عالم متغير

في هذا الفصل سنتطرق أولا للدوافع الأساسية الكامنة وراء تأسيس القنوات الفضائية العربية، والتي حصرتها في دافعين هما الانتشار المذهل للقنوات الفضائية الأجنبية بالمنطقة العربية وأيضا قصة المؤسسة العربية للاتصالات (عربسات) والتطورات التي صاحبت الأقمار الخاصة بهذه المؤسسة، ثم تنتقل بعد ذلك إلى عرض مختلف التطورات التي طرأت على الفضائيات سواء من حيث الكم أو النوع و المضمون في شكل سرد كرونولوجي لهذه الأخيرة، لتصل في الأخير الباحثة إلى قراءة مستوفية للمشهد الثقافي والإعلامي للقنوات الفضائية العربية مدعمة ببعض الآراء والانطباعات والملاحظات التي أبداها عدد من المختصين، الباحثين والمتبعين لهذه القنوات الفضائية.

المبحث الأول

دوافع نشأة القنوات الفضائية العربية:

المطلب 01: القنوات الفضائية الأجنبية بالمنطقة العربية:

إذا كانت الصورة في النصف الأول من القرن الماضي تتطلب جهودا كبيرة كي تصل إلى أجزاء داخل البلد الواحد، فإن عالم اليوم أصبح يعيش حالة انفتاح إعلامي بسبب ما حققه استخدام الأقمار الصناعية من تطور هائل في عصر ما أسماه الدليمي بعصر الشبكات والفضاء المفتوح من خلال جعل عملية إيصال الصورة والصوت واللون إلى أي بقعة من العالم أمرا ميسورا لا يتطلب أكثر من جهاز استقبال تليفزيوني، حيث أصبح بمقدور أفراد الأسرة الواحدة أن يتعاملوا مع مئات من القنوات التليفزيونية الوافدة إلى منازلهم، وأصبح الفرد كما يقول هذا

الباحث هدفا لكم من البرامج والمواد الإخبارية، الأفلام والمسلسلات بل إلى هجوم واسع من الإعلانات التي أخذت تطارده بما تقدمه له من مزايا ومغريات لسلع وخدمات وبضائع و...و... ، ويخضع هو وأفراد أسرته لضغوطاتها التي قد تكلفه أن ينفق الكثير لكي يستجيب لبعض منها إرضاء وإشباعا لحاجاته ومتطلبات أسرته. يحدث كل هذا دون أن تكون هنالك مواقع قانونية أو اتفاقات دولية تمنع هذه التجاوزات، رغم أن هذه المشاكل لم تغب عن جدول أعمال اللجنة الدولية ففي عام 1980 مثلا تبنت الأمم المتحدة من خلال جمعيتها العامة قرارا صريحا دعت فيه إلى نظام معلوماتي جديد، إلا أن هذه الدعوة وغيرها لم تجد طريقها للتنفيذ بشكل واضح ومحدد، الأمر الذي جعلها في أكثر الأحيان حبرا على ورق[1] .

ويرى الدليمي أن البث التليفزيوني المباشر يمكن اعتباره حربا وصراعا سياسيا، ثقافيا، تقنيا وإعلاميا بين القوى الموجهة المالكة للأقمار الصناعية والبث المباشر وبين شعوب العالم الثالث لاسيما العرب منهم، فقد أصبح هذا البث يشكل تحديا للقيم السائدة في المجتمعات النامية والتي من ضمنها الأقطار العربية التي أصبحت متلقية ومستوردة للاتصال، وعلى هذا فإذا افترضنا أن لهذا التيار الاتصالي الواسع آثارا كبيرة في الغد، فإن ذلك يعني أن هنالك أطرافا أجنبية أو غربية تشارك في صنع مستقبله، وخطورته أنه يعتبر الظاهرة الاتصالية الكبرى التي يتعرض لها العالم الثالث في الوقت الحاضر، إذ أنها تتعامل مع عقول الناس من دون المرور عبر الرقيب أو حارس البوابة فهو- حسبه- يمثل إحدى الأساليب التي يراد بها تشكيل سلوك الأفراد في المجتمعات البشرية قاطبة بغض النظر عن كونها تنتمي إلى العالم الغربي أو العالم الشرقي، إذ يطرح من خلاله نموذج الحياة الأمريكية بوصفه النموذج البديل، وهو لا يهدف إلى تحقيق الاتصال السريع ونقل حضارة العالم المتقدم بل يهدف إلى إلغاء الهوية الثقافية ليتسنى للقائمين على برامج البث طرح

1 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص64-65

الأيديولوجيات التي تناسبهم وتخدم مصالحهم ومن ثم تشكيل سلوك الأفراد باتجاه تفضيل هذه الأيديولوجية وما يتبعها من إجراءات[1].

ولرصد تطور عملية البث التليفزيوني المباشر في العالم العربي نجد أن عملية الاستقبال -حسب بوعلي- مرت منذ منتصف الثمانينيات بفترات تردد امتدت إلى المنع أو مراقبة الاستيراد وتحديد الاستعمال الجماهيري، وهذا ما أدى إلى محدودية استقبال ما كان يرد من البرامج الأجنبية وحصره في فضاءات الفنادق، السفارات والإدارات إضافة إلى بعض الأفراد، وترجع هذه المحدودية إلى عوامل قد يكون أهمها التخوف من سلبية التأثير في مواقف وسلوك المشاهدين، وتعتبر سنة1990 موقعا زمنيا ذا دلالة في تاريخ اتساع الحقل الاجتماعي للتعامل مع القنوات الفضائية بواسطة الهوائيات المقعرة* .

وتعتبر فرنسا في مقدمة الدول الأوروبية السباقة في مجال البث التليفزيوني المباشر المستهدف للوطن العربي، حيث عملت منذ مؤتمر جنيف سنة 1977 الذي نظم عملية الاستفادة من استغلال الفضاء في مجالات الاتصالات، أما الأقطار العربية الأكثر تعرضا لإرسال البث الفضائي فهي -حسب نفس الباحث- تلك الواقعة في شمال إفريقيا(المغرب، تونس والجزائر) تليها ليبيا، مصر والدول العربية الواقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط: سوريا، لبنان والأردن، علما أن هذا لا يمنع وصول الإرسال المباشر إلى بقية الأقطار العربية، إذ تصلها برامج القنوات الأولى TF1، والقناة الثانية F2 ،والثالثةF3 ، والقناة الخامسة TV5، وبرامج المؤسسة الإسبانية العمومية للتليفزيون، وبرامج القناة الأولى لشبكة Rai-1 الإيطالية، والقناتين البريطانيتين SKY CHANNEL وSUPER CHANNEL ، والقناتين الألمانيتين SAT-1 و SAT -2.

---

1 - نفس المرجع السابق ص 63-64

* ولقد فسر البعض تفجر هذا الاهتمام بالحدث السياسي الذي هز العالم إعلاميا حينما اندلعت حرب الخليج، والذي مثل دافعا أساسيا لاستقبال ما كان يرد من الصور عبر الأقمار الصناعية.

بينما تنفرد تونس بوضع خاص بين الأقطار العربية فمنذ عام 1960 فتحت أبوابها لاستقبال الإرسال الأجنبي، بل وعمدت إلى تعزيزه عندما سمحت لهيئة التليفزيون الإيطالية أن تقيم هيئة لتقوية الإرسال وبث البرامج الإيطالية مباشرة من العاصمة التونسية، وأقامت الجزائر مصنعا للهوائيات المقعرة اللاقطة باسم TELE MICRO VIDEO في الجزائر العاصمة، حيث عرض هذا المصنع النماذج الأولى لإنتاجه في معرض أقيم في نوفمبر عام 1987 تحت رعاية وزارة الثقافة الجزائرية.

وتعد المملكة العربية السعودية إحدى أهم دول الخليج العربي وأكثرها تأثرا بظاهرة البث الفضائي المباشر، حيث أن انتشار الهوائيات المقعرة انطلق منذ 1990 بين العامة من الناس ذلك أنه قبل هذا التاريخ كان استخدامها مقتصرا على الوزارات والشركات والأفراد ممن لهم حق القرار السياسي[1].

وهكذا أصبح الوطن العربي يستقبل ما أسماه الدليمي ب"ظاهرة الإغراق التليفزيوني الفضائي" وهي عبارة عن كم من المحطات الأوروبية، التركية، الهندية، الإسرائيلية، الأمريكية وغيرها من المحطات التي تبث سموما وبرامج لا تتوافق مع عادات وتقاليد وقيم المجتمع العربي، بل تسيء للإنسان وتحط من كرامته وشخصيته أيا كان، ويلاحظ الباحث أن إقبال بعض مناطق الوطن العربي على استهلاك الأطباق مميزا أكثر من سواها، وربما مبرر ذلك- حسبه- أن استخدام هذه الوسيلة قد وفر للمواطنين فرصة لإشباع حاجاتهم من الأخبار والمعلومات التي لم تكن متاحة لهم سابقا، في حين استمرت دول عربية أخرى إلى فترة قريبة تمنع استخدام الأطباق لأسباب تتعلق بظروفها وأوضاعها وعلاقاتها السياسية الدولية، سيما وأن قسما منها كان هدفا سياسيا مباشرا من قبل الدول المهيمنة على مقدرات العالم كالولايات المتحدة الأمريكية[2].

---

1 - بوعلي نصير : **أثر البث التليفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري: دراسة تحليلية وميدانية**، م.س.ذ ص60-61.

2 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 68-69

ولأن مسألة البث الفضائي المباشر قد استقطبت- حسب بوعلي- منذ بداية التسعينيات اهتمام الجميع من سياسيين ومفكرين وباحثين اجتماعيين وعلى رأسهم المختصون في مجال الإعلام والاتصال، فقد أثارت هذه القضية ولازالت تثير إلى حد الآن جدلا واسعا حول تأثيراتها الإيجابية والسلبية على أفراد المجتمع وبالأخص الشباب منهم[1].

وهكذا وعلى ما يبدو فقد استأثر موضوع البث التليفزيوني المباشر بالاهتمام غير الاعتيادي في السنوات الأخيرة الماضية، وانعكس هذا على مختلف الدوائر الإعلامية، وبلغ ذروته بعد أن غطى هذا البث المناطق العربية، والحقيقة حسب- الدليمي- فقد تعرضت الأمة العربية ولا تزال لحملات مخططة ومدروسة لتشويه معالمها الرئيسية، ومسخ هويتها الحضارية منذ فترات طويلة، وتجسد بشكل واضح الغزو والاستعمار الغربي للوطن العربي منذ القرن التاسع عشر (19) وحتى الآن، وهذا يعني أنه هدف لحملات التيار المعادية التي تنطوي على مجموعة القيم والسلوكيات التي تتناقض مع الهوية الثقافية العربية في محاولة لتحطيم الشخصية العربية وتفكيك وتسفيه قيمها وتقاليدها وإظهارها بشكل عاجز وسلبي[2].

وهكذا فالمشاهد العربي حسب- الدناني- يتعرض على مدار اليوم لقصف هائل من القنوات الأجنبية التي تستخدم أقمار الاتصال وتغطي الوطن العربي، والتي تحمل في طياتها نموذجا ثقافيا وحضاريا مختلفا عن النموذج العربي في مقوماته وأدبياته، قناعاته وأهدافه[3]. فما يقدم في الفضائيات الأجنبية حسب نفس الباحث هو تراكم كمي للمعلومات يخاطب العين بدل العقل ويجعل من الثقافة

---

1 – نصير بوعلي: **أثر البث التليفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري: دراسة تحليلية وميدانية**، م.س.ذ. ص01

2 – عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 70

3 – عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006 ص315.

سلعة، بل إن الحقيقة في عصر البث المباشر ومحطات الاستقبال والإرسال ليست الحقيقة بل الصورة التي يقال للمشاهد أنها الحقيقة، ولابد من الاعتراف بأن الشباب العربي هو أكثر تأثرا بهذا البث الوافد، الذي لا يكف عن ضخ كم هائل من مخلفات الثقافة الغربية، ثقافة أولئك الذين درجوا على أن لا يتبرعوا بفوائدها بل يسوقونها لنا بالعملة الصعبة، ويسعى البث الفضائي الوافد إلى أن يكون المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز وأدوات لتشكيل الوعي و الوجدان والذوق الخاصة بالإنسان، وتقوم بتقديم ثقافة معلبة الصنع تتضمن مجموعة أو منظومة من القيم تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية وغرس قيم الأنانية والفردية والروح النفعية[1].

ويوضح ذلك الدليمي حيث يقول أن القنوات الأجنبية تقدم ثقافة استهلاكية يتم اعتمادها كتجاوز للثقافة النخبوية تحت شعار كسر احتكار المعرفة وحق الجماهير في الثقافة البسيطة، ولكنها في الواقع العملي ليست سوى تحويل الثقافة إلى سلعة للاستهلاك الجماهيري تتبعها عملية تحرير لها لصالح قيمتها الاستخدامية، أي عملية نقلها من التركيز الثقافي إلى التركيز المادي، سلعة تنتج، تباع، تشترى ويتم تبادلها، تسيطر عليها الشركات متعددة الجنسيات[2]. هذه الشركات التي ليس لها ثقافة أو جذور تراثية ضاربة في العراقة والقدم كما يقول العايد ... ولا تعرف إلا الربح فقط، وإن جاع أكثر من نصف سكان العالم[3]، فالأفلام الأمريكية- مثلا- تسعى إلى تشكيل عقلية الأجيال القادمة وممارساتهم وحتى ملابسهم في إطار شاشة صغيرة تضم العالم كله مدخلها - حسب الدناني- تلك الإشارات والومضات الالكترونية التي تظهر من خلال شاشات القنوات الوافدة المليئة بالوهم والخيال[4].

1- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 317.

2 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 74.

3 - حسن عبد الله العايد: **أثر العولمة في الثقافة العربية**، م.س.ذ ص 152.

4- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 329.

وهكذا نجحت القنوات التليفزيونية الوافدة –حسب رأي الدليمي- في نشر الأذواق الاجتماعية والثقافية للبلدان المتقدمة على نطاق واسع، بحيث غدت مألوفة وتحظى بإعجاب الكثيرين ما حدا بجمع من الناس إلى تقليدها كمعيار للسلوك البشري في تلك البلدان بعيدا عن الأخذ بثقافته الوطنية أو قيمه أو مصالحه وحاجات تطوره بعين الاعتبار، إن الصورة التي تقدمها لنا أجهزة الإعلام الجماهيري للواقع الاجتماعي هي صورة ثانية تتضمن حقيقة موصوفة بالحقيقة الالكترونية*، وتسعى الولايات المتحدة إلى السيطرة على العالم من خلالها (الصورة)، وعموما يلخص الدليمي فكرته هذه في أن السيناريو الاتصالي القادم يتجسد في حضارة التليفزيون التي تعمل على ترسيخ النموذج الأمريكي والغربي، فعن طريق المواد الإعلامية يتم التأثير في عقول المتلقين وصبها في قالب الفكر الغربي لا سيما في العالم الثالث[1].ويواصل الباحث فكرته حيث يؤكد أن حقيقة النظرية الإمبريالية التي تقوم التي خلق التبعية، حيث تعمد القوى الغربية ومن خلال الشركات متعددة الجنسيات لاختراق العالم الثالث وإخضاع شعوبها لأنماط المعيشة الغربية من خلال المواد الإعلامية كالأخبار، الأفلام والبرامج الترفيهية الأجنبية، وهي نظرية عدوانية تنطلق من الاستهانة بحضارات الشعوب الأخرى، حيث تراها بدائية يتوجب القضاء عليها لأنها لا تقف ضد المنظور الأمريكي، أي أن أمريكا تسعى إلى تكريس الهيمنة الثقافية الأمريكية، والقضاء على النماذج الثقافية الأخرى وهو ما عبر عنه المفكر الفرنسي "بول فريتيول" Paul Veritiol بعهد السيطرة الشاملة على العالم والشعوب تحت إرهاب الأقمار الصناعية[2].

* فالصورة غدت اليوم الأداة الثقافية الأكثر استهلاكا والأقدر على الفتك بنظم المناعة الثقافية الطبيعية لدى الشعوب العربية والإسلامية، وهو ما لم تستطعه المادة التقليدية المكتوبة على الرغم من سحرها المعرفي والجمالي، كما أنها مادة مكتنزة بالخطابات والرسائل والدلالات، تقدم للمستهلك بدرجة كبيرة من الجاذبية والإغراء.

1 – عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص 74-75.

2- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص74 .

وعليه ومن خلال كل ما تقدم نصل إلى الإقرار بأن الفضائيات الأجنبية تسعى إلى إعادة تشكيل Réforme الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية، وحثها على المشاركة فيها على نحو نشط يحقق على المدى البعيد قولبة الإنسان بحسب النموذج الاجتماعي الغربي، وذلك بزرع مفاهيم الاختيار الشخصي، النزعة الفردية وتغييب الصراع الاجتماعي والتركيز على أسطورة التعددية الإعلامية، وتأسيسا على ما ذهب إليه علماء النفس من أن خصائص السلوك والاتجاهات والمنظومة القيمية لا تولد جاهزة بل يكتسبها المرء من محيطه، لذلك فلا مناص من التسليم بالدور الذي يلعبه المجتمع بكل متغيراته والبيئة المحيطة بكل مستجداتها على الفرد في تكوينه المعرفي، الانفعالي والطبيعي، ولأن وسائل الإعلام تشغل حسب الدليمي حيزا كبيرا في التكوين المعرفي له، وبالتالي تؤثر في سلوكه و نمط حياته[1].خصوصا إذا تعلق الأمر بالفضائيات المتعددة الوافدة على مدار اليوم، والتي تتميز بقوة طرق تقديم المواد التليفزيونية، جاذبيتها، جدة الموضوعات التي تطرحها، حيويتها، فضلا عن ضعف مستوى المواد التليفزيونية المحلية[2].

فما هي التأثيرات التي يمكن أن تحدثها هذه الفضائيات الأجنبية الوافدة؟ هذا إذا علمنا أن الوطن العربي محاط ب31 قمرا صناعيا مخصصا للاتصالات تبث عليها طبقا لإحصائيات سنة 1995 ما يعادل 500 قناة أوروبية، 150 قناة أمريكية، 12 قناة تركية، 5 قنوات إسرائيلية إضافة إلى عشرات القنوات الآسيوية الأخرى[3].

أما الدناني فيرى أنه بالرغم من أن القنوات الوافدة تشكل لقاء الجمهور العربي بالفكر الغربي والحضارة والثقافة الغربيتين، إلا أن هذا اللقاء لا يشكل حوارا بين طرفين، إذ يتحدث طرف واحد فقط، بينما يبقى المشاهد العربي مجرد

---

1 - نفس المرجع السابق. ص 79

2 - عبد الملك الدناني:**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص315.

3- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 93.

مستقبل، وهكذا فالقنوات الفضائية تشكل تيار تحد فكري، حيث لم يألف الإنسان العربي مثل هذا التدفق في المعلومات والأفكار الذي يجد فيه كثيرا من الاختلاف عما هو مألوف، لذا فمن المحتمل أن يحدث هذا التيار...هزة في تفكيره تنعكس على مختلف سلوكياته وقيمه[1].

وهكذا فإن مضمون البث الفضائي الوافد إلى الوطن العربي يمكن أن يخلق الكثير من المشاكل منها- حسب مجموعة من الباحثين- :

1- إضعاف دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وانشغال أفرادها بمتابعة قنوات البث الفضائي، مما يقلل من فرص الاهتمام بالواقع ويؤدي إلى الهروب منه بدلا من مواجهته[2]. ويفسر ذلك الدليمي بكون الفضائيات الأجنبية الوافدة التي تنقل واقعا غربيا اجتماعيا واقتصاديا متقدما لها آثار سلبية على الأسرة العربية أسفرت عن تخلخل منظومة القيم الأسرية، حيث توارت معظم القيم الأخلاقية وبرزت أهمية الاعتبارات المادية على حساب القيم العاطفية والنفسية والتضامنية، وبالذات لدى الأجيال الجديدة من الشباب[3].

2- التأثير المباشر على القيم، الأفكار، المواقف والاتجاهات والسعي لمحو القيم المحلية واستبدالها بأنماط جديدة من السلوك والقيم الأخلاقية والعقائد التي قد تتعارض مع طبيعة المجتمع العربي الإسلامي وحياته[4]، فالقنوات الفضائية الأجنبية - على حد رأي الدليمي- تسعى إلى تقويض أسس النظام القيمي ومرتكزات التوازن الثقافي، الذهني، والخيالي التي تعوّد عليها المجتمع العربي، كما تسعى إلى تفتيت التوازنات التقليدية التي تشكل العصب الحساس بالنسبة للمجتمع العربي مثل: قدسية الأسرة، ترابط الأجيال وتكاملها، التقسيم

1- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 315-316.

2- نفس المرجع السابق ص332.

3- نفس المرجع السابق ص 78-79.

4- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص332.

التقليدي للعمل، التضامن الاجتماعي ومركزية المقدس الديني[1]، ذلك أن هذا البث يتوجه إلى عقول العرب بهدف إعادة تشكيلها بشكل ينسجم والمصالح الغربية، حيث وفرت التكنولوجيا المتقدمة فرصة لأصحابها لتطويع إرادة الشعوب ومنها العربية بحيث تتطبع شخصيتها بنفس السمات والخصائص التي صاغتها الدول الغربية، وهكذا فإن ضعف أو غياب الإرادة وانحراف المقومات الأخلاقية للشعوب يتيح المجال واسعا للإمبريالية وتحقيق أهدافها في ربط الأقطار العربية في عملية حركتها، وهذا ما ينعكس على تقويض أركان البناء الاجتماعي وتماسكه في الوطن العربي إضافة إلى تنمية الروح الفردية وتشجيع التمرد وإضعاف ولاء الإنسان لمجتمعه وثقافته، وإبراز حالة فقدان الذات المقرونة بعدم الرضا الأمر الذي يؤدي إلى شخصية ناقصة، غائبة، سلبية، ضعيفة، فاقدة للثقة بمجتمعها، تعاني من النقص، الإحباط، الإحساس بالدونية والاغتراب يضيف الدليمي[2].

3- ازدياد الانحراف الاجتماعي بين الشباب بسبب طبيعة المضامين الإعلامية للفضائيات الواردة، إذ تزداد أفلام الجنس والعنف والمخدرات وأساليب الجريمة الحديثة في ساعات البث اليومي لها[3].

4- إحداث خلل في التوازن التنموي وسيادة الروح الاستهلاكية وطغيان عادات وقيم مجتمعات تختلف بشكل كبير عن المجتمعات العربية والإسلامية[4].

والواقع- حسب الدليمي- أن التحدي الكبير الذي يواجه الثقافة العربية هو تصادم البنى القادمة إلى الوطن العربي من الخارج مع بيئة الثقافة العربية عبر النمط الاستهلاكي الشائع الآن، باعتباره وسيلة اتصالية تثير الانبهار لدى المشاهد، وتكمن خطورة النموذج الاستهلاكي في الوطن العربي في أنه يمارس

1- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص 78.

2- نفس المرجع السابق ص 70.

3- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص332.

4- نفس المرجع السابق ص332.

وظيفة اتصالية كجزء من بنية أساسية تسعى إلى خلخلة بنية هذه الثقافة وتمزيقها ، إنها سيادة المنتج المسيطر على عبودية المستهلك وما بين الطرفين تمارس أدوات الاتصال الجماهيري دورها في تحقيق الإستيلاب وتعميق احتقار الذات في ظل تردّ واضح للوضع السياسي الاقتصادي العربي، حيث تكون المجتمعات العربية جهاز استهلاكي ذيلي يتحرك وفقا لمشيئة الرأس (الإمبريالية الغربية)[1]. أو كما عبر عنه ندا بتشجيع نمط عالمي موحد للسلوك الاستهلاكي فتحت شعار " الجديد...الجديد دائما" يتم استيراد آخر التقليعات الأمريكية ، وفي كل يوم يرمى القديم في "المزبلة" ليحل محله "الجديد" المربح تجاريا للدول الغازية (الباثة)[2].

5- عدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية التقليدية ،وربما حدوث اضطرابات اجتماعية[3] ، ويوضح الدليمي ذلك حيث يقول أن القنوات الأجنبية تسهم وبشكل فعال في إبقاء فكر الغرب حيا في نفوس الكثيرين من خلال سعيها إلى تسويق النموذج الغربي والأمريكي على وجه الخصوص وتعزيزه في الذهنية العربية ، باعتباره المنقذ الوحيد للعرب من واقعهم المتخلف فتنتقل الصور الزاهية عن الواقع الغربي وحالة الاستقرار والتفاؤل بالمستقبل، وهذا ما يتيح الفرصة لتسريب الدعاية إلى عقل الإنسان العربي فتجعله يستسلم لها ، وينظر إلى الأمور بنظرة غربية ، هذه الظاهرة تحولت فيما بعد على المستوى الاجتماعي إلى نوع من التباهي بنوعية أجهزة استقبال القنوات الفضائية العادية والرقمية Numériques ، هذه المظهرية التي توحي باحتمالية بروز ملامح طبقية ذات مستويات معيشية متباينة ، مما قد يثير تحسسات عند بعض أفراد المجتمع يدفعهم إلى تحديد علاقاتهم بمن يتشابهون معهم في ظروف العيش ونمط الحياة ، وهذا الأمر يشكل عامل تقليص للعلاقات الاجتماعية بين أفراد

1- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص 75.

2- أيمن منصور ندا: **دراسات في الاتصال الكوني**، م.س.ذ ص117.

3- عبد الملك الدناني:**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص332.

المجتمع، فمن يمتلك مثل هذه الوسائل هم الأكثر رقيا، والأقدر على تحليل مقتضيات الواقع والإسهام بآراء ناضجة حوله، وبما أن الجوانب المادية للمجتمع الاستهلاكي ليست متاحة إلا لفئة قليلة في بلدان العالم الثالث، فإن الوضع خلق شعورا بالإحباط لدى غالبية الناس، وأصبح يثير حقد الفئات الوسطى ويشكل نوعا من عالم القصص الخيالية بالنسبة للفقراء المعوزين[1].

وقد لخصت ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي أهم سمات البث الفضائي الأجنبي والتي كثيرا ما يتميز بأنه لا يتناسب وطبيعة المشاهد العربي وأفكاره، ولعل أهم تلك السمات تتمثل في شيوع القيم الآتية:

- **الخضوع والخنوع Conformisme**: حيث يلاحظ أن كثيرا من الأعمال الدرامية الأمريكية تظهر هذه السمة في كثير من الشخصيات، وتحاول أن تجعل هذه السمة حالة اعتيادية.
- **روح المغامرة والمقامرة Aventurisme**:تعتمد العديد من الأعمال الدرامية على المغامرة والمشاهد المثيرة في سيرة بطل الفيلم، من خلال المواقف الخطيرة جدا كالهبوط بالمظلة من الطائرة بشكل غير طبيعي والسقوط والتسلق لمواقع مرتفعة، ناهيك عن إبراز مشاهد عديدة لمقامرين لتطبيعها بالمجتمعات وغيرها من مشاهد الإثارة والإبهار.
- **العنصرية Racisme**: وهي صفة قديمة كانت ومازالت في المجتمعات الغربية وقد أثارتها وسائل الإعلام كثيرا.
- **الإيمان بحكم النخبة أو الصفوة Élitisme**: بأن هناك شخصيات مميزة، كأن تكون خارقة وثاقبة مثل: جيمس بوند أو رامبو وغيرها من الشخصيات الأمريكية التي تظهر أنها ذكية وسديدة في الرأي ووسيمة وتدافع عن الحق وغيرها من الصفات المميزة، فلابد أن تكون تلك الشخصيات هي التي تقود وهي التي تحدد الصواب والخطأ لتكون فيما بعد صاحبة القرار.

1 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 77-78.

- **المادية Matérialisme:** وهي أن تكون المادة أساس كل شيء، أي أن تكون الحياة مبنية على أسس النفع والربح المادي، بأن ليس هناك وجود للإنسانية والعمل الصالح من أجل المبادئ والقيم السماوية.
- **العدوانية Agressivité:** من خلال ترسيخ وجود الأعداء في المجتمعات ولابد من مواجهتها وتصفيتها.
- **الروح الانهزامية:** إن إبراز الشخصيات الخارقة ذات المواصفات المميزة وإبراز التقنيات المتقدمة جدا والمعالم النادرة والعملاقة في جوانب محددة فقط للغرب يولد الإحباط والانهزام عند الشرق.
- **الرومانسية Romantisme:** إبراز الاستمتاع بالغرائز البشرية والانفعالات بدل الدعوة إلى القدرات العقلية.
- **روح المحافظة والتخلف Conservatisme:** وذلك من خلال القيم والتقاليد والأعراف عند الأقوام والتقاليد التي تظهر سلبياتها فقط لتكون معارضة ومتعاكسة مع التقاليد الغربية الحديثة[1].

إلى جانب كل هذه التأثيرات(الخطيرة) التي يمارسها البث الفضائي الوافد، إلا أنه توجد بعض الملاحظات تنبه إليها منصور ندا لابد من إيرادها وهي:

- أن الشباب هم أكثر الفئات التي يمكن أن تنساق وراء القيم والعادات التي تبثها هذه الفضائيات الأجنبية، وذلك بحكم طبيعته الرافضة، ورغبته في الحصول على المعرفة من أي طريق، وفي أن يختار بنفسه قيمه وسلوكياته بغير أن يكون مسلحا بالمعرفة الصحيحة لقيم مجتمعه واحتياجاته وتراثه الحضاري والثقافي.
- إن التعرض لهذه الفضائيات (البرامج) الأجنبية يمكن أن يكون- على الجانب الآخر- وسيلة هروبية يلجأ إليها الشباب للهروب من الواقع الصعب الذي يعيشه، أو من تخلف الأشكال الإعلامية المحلية، وبهذا تصبح مشاهدة هذه المواد الأجنبية حيلة هروبية أو انسحابية مثلها مثل الهروب إلى الماضي، أو

1- عبد الباسط سلمان :**عولمة القنوات الفضائية**.م.س.ذ ص54-55.

الاستغراق في أحلام اليقظة أو اللجوء على العنف كمظاهر لرفض الواقع وتحديه.

- إن تأثير مواد البث الوافد على الثقافة الوطنية ليس موحدا بل يختلف من دولة إلى أخرى، وذلك حسب أنماط المشاهدة، نوعية المشاهدين، خصائصهم، البيئة الثقافية المحيطة، وغير ذلك من الأسباب بيد أن الاختلاف في التأثير لا ينف وجوده، خاصة في ظل تزايد عدد الساعات البرامجية التي تصدرها الدول المتقدمة إلى الدول النامية حيث تتراوح عدد الساعات التي تصدرها الولايات المتحدة الأمريكية فقط بين 100و200 ألف ساعة سنويا[1].

المطلب02: قصــة عربســات

يعتبر محمد الخموسي الإعلام أنه من أهم الأسلحة وأكثرها خطورة في هذا العصر وأبعدها أثرا على الإطلاق، بما وصل إليه من تقنيات مطورة لها تأثيرها المباشر و السريع على المتلقي وخاصة جهاز نقل الصورة عبر القنوات الفضائية الموجهة إلى الوطن العربي وغيره من أقطار العالم، ونظرا لضعف هذه الوسائل وتخلفها في الوطن العربي، فقد استطاعت تلك القنوات وبكل يسر فرض نفسها على الساحة الثقافية العربية، وأن تستقطب اهتمام المواطن العربي حيثما كان، وتمرر إليه ما تشاء من أخبار ومعلومات وأدبيات و... ويواصل الباحث:"... لقد تمكن هذا السلاح الرهيب في غياب المواجهة وفي زمن قصير من أن يحتوي الشباب العربي، وأن يستحوذ على فكره وشعوره وتجعله يزهد في إعلامه الوطني ويقاطعه إلا في أضيق الحدود[2]".

1- أيمن منصور ندا: **دراسات في الاتصال الكوني**، م.س.ذ ص135-136.

2- محمد الخموسي الحناشي: **واقع الثقافة العربية والتحديات الإمبريالية الراهنة**، أبحاث ندوة عمان حول وحدة الثقافة العربية، منشورات الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الطبعة الأولى، الأردن، 1995. ص139.

ودعما لهذا التوجه سعت الإمبريالية إلى ربط بعض قنواتها بشبكات الإرسال التليفزيوني لعدد من الأقطار العربية، هذه الوسيلة التكنولوجية الخارقة التي تمكنها من مخاطبة الشعوب فردا فردا وبوتيرة منتظمة يوميا، وبأساليب متنوعة تتراوح بين إذاعة الأخبار، تغطية الأحداث عبر العالم بسرعة مذهلة بالصوت والصورة، عرض مختلف أنواع برامج الترفيه، التسلية، الرياضة والألعاب، وهو الشيء الذي يكرس في الأذهان والنفوس النموذج الغربي في مختلف المجالات، سواء الفنية أو الفكرية أو المنتجات الصناعية أو في غير ذلك، ومع الوقت تستطيع -حسب منور- من سلب كل إرادة لدى الشعوب، وتقضي على أي نوع من المقاومة لديها للنموذج الغربي الرأسمالي، وبذلك فلن تكون في حاجة إلى استعمال السلاح النووي أو غيره من الأسلحة الفتاكة التي تمتلكها هذه الدول الرأسمالية[1].

ولأنه كما يقول كلارك أرتور بأن الملكوت الذي تفتحه اليوم مركبات الفضاء هو أكبر من كل البراري والبحار الموجودة على وجه الأرض بنسبة لا سبيل معها إلى أية مقارنة، باعتبار أن مركبات الفضاء لن تجعل الكواكب السيارة قريبة المنال فحسب بل ستسهم في إدخال تغييرات ثورية على حياة البشر[2].

وانطلاقا من هذين المبدأين بدأت اهتمامات الدول العربية التي تنتمي إلى مجموعة الشعوب النامية بالاتصال الفضائي، والبداية كانت من مؤتمر وزراء الإعلام العرب الذي انعقد في مدينة بنزرت بتونس في 27 سبتمبر 1967 بعد مؤتمر القمة العربية. الشهير الذي انعقد في الخرطوم بالسودان في 29 أوت 1967*، وكان

1- أحمد منور: **الغزو الإعلامي الغربي عبر البث التليفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية (منطقة المغرب العربي نموذجا)**، أبحاث ندوة عمان حول وحدة الثقافة العربية، م.س.ذ ص192-193.

2- الطيب الجويلي: **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، م.س.ذ ص 25.

* وقد كان يخيم على الجو العربي العام الشعور بالمرارة من الهزيمة أو النكسة التي حلت بالأمة العربية في الخامس من جويلية 1967، نتيجة للهجوم الإسرائيلي الغادر على كل الجبهات العربية المتاخمة للكيان المحتل...وأصيبت

هذا المؤتمر ساخنا حدثت فيه مساجلات عنيفة، وسيطر على أجندته موضوع تقويم الأداء الإعلامي قبل النكسة والنتائج والعبر التي يمكن استخلاصها منه، ثم التفكير الجاد في وضع إطار جديد للهيكل الإعلامي العربي وانتهاج أسلوب مغاير لذلك الذي كان متبعا في الماضي في قطاعي الإعلام الداخلي والخارجي... ولعل أهم القرارات التي خرج بها هذا المؤتمر هي تلك القاضية بان تدرس الأمانة العامة سبل التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال، وخاصة الأقمار الصناعية لغرض الاستفادة منها في مجال الدعوة العربية[1].

وفي 19 فبراير 1969 انعقد في الخرطوم الاجتماع التأسيسي لاتحاد إذاعات الدول العربية، حيث أن أبرز ما عالجه هذا المؤتمر كيفية إطلاق قمر صناعي عربي، تمخض عنه طلب الاتحاد من اليونسكو المساعدة في القيام بدراسة جدوى هذا الموضوع، وقد وافق هذا الأخير وقرر تكوين فريق من الخبراء برئاسة الخبير السويسري إدوارد بلومان Edward Ploman، حيث قام الفريق عام 1970 بزيارة إلى غالبية الدول العربية** وأعد تقريرا نهائيا أوصى فيه بجدوى مشروع القمر الصناعي العربي نظرا للحاجة الماسة إليه وللفوائد الجمة التي يمكن أن تعود على هذه الأمة من خلاله، هذه الأمة التي بينها من الصلات والأواصر ما يفوق أي تجمع

الأمة كلها بخيبة الأمل و الإحباط للنتيجة التي لم يكن يتوقعها أحد، وخاصة أولئك الذين يتتبعون الإذاعات العربية ويؤيدون وحدة الصف العربي، ويستمعون إلى تصريحات القادة العرب، والتي كانت توحي بالقوة والمناعة والقدرة على إنزال هزيمة ساحقة بإسرائيل في حالة نشوب أي حرب بينهما، وعندما أفاق الناس من هذه الصدمة بدأوا يبحثون عن الأسباب وعن الجهة التي يحملونها مسؤولية هذا الموقف المحزن الذي آلت إليه الأمة فلم يجدوا غير الإعلام... فاتهموه بالكذب والتضليل والإثارة وتزييف الحقائق ودعوا إلى عقد اجتماعات لمحاسبته وإدانته وتحميله المسؤولية الكاملة عن نتائج النكسة فكان مؤتمر بترت.

1 - علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، دار القومية العربية للثقافة والنشر، مصر، 1999 ص152-153.

** حيث التقى هناك بوزراء: الإعلام، التربية والتعليم، الزراعة والصحة.

إقليمي آخر[1]، رفع الاتحاد الموضوع إلى اللجنة الدائمة للإعلام في الجامعة العربية ثم إلى إدارتها ثم مجلس وزراء الإعلام العرب الذي استحسنه وأشاد به ووافق عليه وكان ذلك في 1971، ولأن مشروع القمر الصناعي كان قائما على أساس أنه قمر للاتصالات يؤدي خدمة إنسانية في مجال الإعلام، التعليم، التنمية الريفية، الصحة بعيدا عن الجدوى الاقتصادية والمادية التي تقابل التكلفة ويحقق الربح للمساهمين، مما دفع الإذاعيين ووزراء الإعلام لطرح الفكرة من الأساس، وبالتالي لم تنجح الجامعة العربية ممثلة في وزراء الإعلام العرب من إقناع الحكومات العربية بتمويل هذا المشروع (لارتفاع كلفته وعدم قدرته على تحقيق العائد المناسب...) وهكذا ظل المشروع حبرا على ورق، وبقي كذلك إلى أن أحيل الأمر إلى وزراء الاتصالات العرب عام 1976، وبعد أن أدخلت عليه بعض التعديلات التي جعلت منه مشروعا اقتصاديا واستثماريا لأغراض الاتصالات بصفة عامة، ويستطيع تحقيق عائد مناسب و يوفر الخدمات الاتصالية للمواطنين العرب في مجالي الراديو والتليفزيون، وهكذا أخذت فكرة إنشاء قمر عربي تأخذ طابعا جديدا يتسم بالجدية والحرص على التنفيذ، ومن ثم بدأت الدول العربية في الدخول إلى عصر تكنولوجيا الاتصالات واستخدام التوابع الصناعية لأغراض الاتصال[2].

وبدأت الخطوات العملية لتنفيذ مشروع الشبكة العربية للفضاء "عربسات"**ARABSAT** في 1981، عندما قررت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (ASCO) توقيع عقد مع شركة أيرو سباسيال Airo –Spatiale الفرنسية لتصنيع ثلاثة أقمار صناعية* متماثلة لتكوين نظام فضائي عربي[3].

1- علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص154.

2- نفس المرجع السابق. ص 154-155.

* تكون الأقمار الصناعية في الفضاء على ارتفاع **36000كلم** فوق خط الإستيواء، وهي تغطي المنطقة العربية كلها وتستخدم الحيزين **C**و **S** (**C and S Bands**).

3- علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص156.

والجدول التالي يمثل نظام عربسات بمختلف أجياله:

القمر	تاريخ الإطلاق	الموقع	الوسيلة	المهام والملاحظات
عربسات الأول A-1	1985/02/08	خط طول 19° شرقا	بواسطة الصاروخ الأوروبي آريان في غويانا الفرنسية	الاتصالات الهاتفية، التلكس، التلغراف، التوزيع التليفزيوني، الإقليمي، المحلي والجماعي، تراسل المعطيات بين الحاسبات الالكترونية.
عربسات الثاني B-1	1985/06/17	خط طول 26° شرقا	بواسطة المكوك الأمريكي ديسكفري	نفس المهام يحوي 25 قناة صالحة للعمل
عربسات الثالث* C-1	1992/02/28	خط طول 31° شرقا	بواسطة الصاروخ آريان	يتميز بأنه يحمل وقودا أكثر من القمرين الأولين ويمكنه البقاء والاستقرار في الفضاء وفي وضع تشغيلي لأكثر من الفترة التي قضاها القمران الأولان، استمر 7 سنوات.

ملاحظة: الجدول هو من إعداد الباحثة استنادا إلى معلومات تم جمعها من عدة مراجع.

وجدير بالذكر أن الفترة الأولى لتشغيل الجيل الأول لعربسات عرفت صعوبات كثيرة وظروفا عصيبة، جعلت بعض المتشائمين يطلقون بعض التصريحات حول فشل التجربة، متعللين بعدم وجود محطات أرضية كافية في الوطن العربي ليتصل بعضها ببعض عن طريق عربسات، كما أن التعريفة التي حددها عربسات في تلك الفترة لم تكن منافسة لأنتلسات INTELSAT الذي كان يقدم تعريفة أقل، أيضا لأن قيمة المحطات الأرضية كانت غالية الثمن الأمر الذي جعل عددا من الدول العربية عاجزة عن بنائها أو توفير المال اللازم لشرائها..[1].

* قامت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية وبعد مفاوضات استغرقت وقتا طويلا في الرياض و نيودلهي ببيع القمر عربسات C-1 للهند بمبلغ 40 مليون دولار، وبهذا خرج هذا القمر من شبكة الاتصالات العربية للفضاء.

1 - علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص157.

على صعيد آخر فإن الدول الغربية كانت قد أحرزت السبق في ميدان الإعلام عن طريق الوسائل التكنولوجية، التي طورتها وبالتحديد في ميدان الاتصال عن طريق الأقمار الصناعية التي تستخدمها دول العالم الثالث لتحقيق بعض مشاريعها الإعلامية وذلك على مستويين حددهما الجويلي:

❖ **من حيث الكم:** يكون عدد الأقمار العاملة حاليا في خدمة الإعلام الغربي هو السائد، باعتبار أن هذه الأقمار صنعت لخدمة مجتمعات معينة حسب اختيارات سياسية، اقتصادية، وثقافية تهم بالدرجة الأولى دول الغرب بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبا واليابان.

❖ **من حيث الكيف:** فإن الأمر يتعلق برغبة الدول النامية على الحصول على ما تبثه هذه الأقمار من برامج، أو ما يمكن أن تبثه من برامج محلية وقع إعدادها محليا في محيط العالم الثالث.

وقد أثبتت الدراسات أن النسبة المرتفعة من البرامج التي توفرها تليفزيونات الغرب عن طريق الأقمار الصناعية لا يمكن مقارنتها بما تنتجه التليفزيونات المحلية في العالم الثالث لغرض البث عن طريق الأقمار الصناعية[1].

ومن هنا اتضحت مطالب دول العالم الثالث في مؤتمر الاتحاد العالمي للاتصالات (A.T.U)* الذي انعقد عام 1979، حيث أنه في هذا المؤتمر خصص الاتحاد حصص الترددات لخدمات الاتصال تبعا للأسبقية، رغم أن هذا الإجراء لم يعلن عنه ولم يسجل قانونيا، ونتيجة لذلك ظفرت الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي، أوروبا واليابان بنصيب الأسد في مجال أفضل أجزاء الطيف الكهرومغناطيسي وبأفضل المواقع المدارية، ومع هذه الأسبقية، ومع تطور الأقمار الصناعية وازدياد حاجة دول العالم الثالث إلى هذه الوسيلة صدرت احتجاجات من طرف دول إفريقية، آسيوية وأمريكية لاتينية[2]، حيث طالبت بنظام

1 - الطيب الجويلي: **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، م.س.ذ ص49.

* A.T.U: المنظمة المشرفة على تنظيم كافة نواحي الاتصالات الدولية.

2- الطيب الجويلي: **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، م.س.ذ ص30-31.

عالمي جديد للإعلام يضمن لها دورا أساسيا في هذا النشاط حتى لا يكون هامشيا، وذلك بعد أن كشفت بعض الأوضاع عن وجود عجز كمي في تغطية الأحداث في الدول النامية بواسطة المؤسسات الجديدة للأنباء التي أنشئت على قواعد غربية وباتجاه غربي، تقدم صورا سلبية ومشوهة عن حقيقة مجتمعات العالم الثالث ومنها الوطن العربي[1].

وبعدها ومع مرور السنين توالت عمليات إطلاق الأجيال الجديدة من أقمار مؤسسة عربسات، نلخص أهم هذه الأجيال في الجدول التالي:

(للعلم فإن هذه المعلومات الخاصة بأقمار مؤسسة عربسات أخذت مناصفة بين كتابي: "عولمة التليفزيون" لعبد الرزاق محمد الدليمي و "البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية" لعبد الملك الدناني).

السنة	الحدث
1993	تم توقيع عقد بين مؤسسة عربسات ومؤسسة أيروسباسيال الفرنسية لتصميم وتصنيع قمرين صناعيين من الجيل الثاني لمنظومة أقمار عربسات.
1994	حصلت عربسات على قمر احتياطي من مؤسسة تيليسات TELESAT الكندية وهو قمر عربسات (D-1) الذي كان مقدرا له أن يظل عاملا في الفضاء لحين إطلاق الجيل الثاني من أقمار عربسات.
1996	إطلاق القمر الأول من الجيل الثاني عربسات(A-2) ووضعه في مداره بواسطة الصاروخ الفرنسي آريان، حيث يضم 34 قناة قمرية، وهو مصمم لتغطية أراضي الأقطار العربية وأجزاء كبيرة من دول أوروبا وقارتي إفريقيا وآسيا، ويبلغ العمر التصميمي لهذا القمر 12 سنة، ومن مميزاته أن قدرته الإشعاعية أقوى من قدرة أقمار الجيل الأول*.

1- نفس المرجع السابق ص 50.

* كما أنه في 1996 أطلقت مصر أول قمر اتصال عربي نايلساتNILESAT الذي دخل الخدمة عام 1997 والثاني تم إطلاقه في 1999 والذي تبث عليه كل الدول العربية.

السنة	الحدث
1997	انطلق الجيل الثاني من عربسات (B-2) وهو سابع قمر، حيث يستطيع هذا القمر أن يوفر الاحتياجات الأساسية للاتصالات في الوطن العربي وبعض البلاد المجاورة إذ يقدم الخدمات الاتصالية التقليدية فضلا عن الخدمات الرقمية الجديدة، حيث يمتاز هذا الجيل بأنه يسمح بتوفير خدمات بث تليفزيوني عالي القدرة وهذه الأقمار هي أقمار جيوفيزيائية في المدار، حيث عملت على زيادة التغطية الجغرافية لعربسات، كما يمكنها تقديم عدد من الخدمات الاتصالية مثل: اتصالات الهواتف، التلكس، البرقيات، استخدام شبكات الإذاعة والتليفزيون، الاتصالات بطريق الفاكس ميل تقديم الخدمات التعليمية سيما ما يسمى بنظام الجامعات المفتوحة...
1998	ألحق بهم الجيل الثالث يحمل 22 قناة للإرسال المباشر بكل منها 10 قنوات تليفزيونية، رقمية، مضغوطة، يغطي الوطن العربي فضلا عن أجزاء من إفريقيا والقارة الأوروبية بأكملها.
1999	أطلق قمر الاتصال عربسات(A-3)، جميع قنواته مخصصة للبث التليفزيوني المباشر، عمره الافتراضي 15سنة، وعدد قنواته 20 قناة.

المبحث الثاني

تطور القنوات الفضائية العربية

في هذا المبحث سنحاول إلقاء نظرة على مسيرة الإعلام الفضائي العربي من خلال التطرق إلى كيفية وظروف ولوج معظم الدول العربية إلى عالم الاتصال الفضائي بإطلاق قنواتها، بعدها سيتم التعرض لأهداف هذا البث الفضائي العربي، بالإضافة إلى مختلف التقسيمات لأنواع الفضائيات في المنطقة العربية.

يروى عن أينشتاين أنه قال: "هنالك3 قنابل تشكل تهديدا للجنس البشري في القرن العشرين: القنبلة النووية، القنبلة الديموغرافية وقنبلة الاتصالات" وبالفعل فإن الرجل بفضل ما يتمتع به من حدس رياضي نادر المثال قد عبر بكثير من الدقة والإيجاز عن أعظم الأخطار التي يواجهها الإنسان في العصر الحاضر، غير أن العبارة لشدة ما هي مختزلة هي في غاية الغموض لأنها لا تكشف لنا عن مصدر الخطر، ولا توضح نوعية البشر المهددين ولا الكيفية التي يتجسد بها هذا التهديد.

والواقع أن هناك نوعين من البشر يعمرون هذه الأرض حددهما منور في:

- **الأقوياء**: الذين يمتلكون العلم والتكنولوجيا ومن ثم يمتلكون القوة الاقتصادية والعسكرية.
- **الضعفاء**: الذين لا يمتلكون أي شيء من ذلك.

والبشرية المهددة فعلا هي هذه الأخيرة التي لا تملك سلاحا نوويا تدافع به عن نفسها ضد الأقوياء، ولا علما ولا تكنولوجيا تخرجها من حالة التخلف وتحفظ لها كيانها من كل أشكال الغزو وأولها الغزو الإعلامي، ولا حتى وعيا بالخطر الديموغرافي الذي يتهددها من الداخل، ويقضي على كل جهد تنموي بها، وعليه

فإنه تقريبا عشر العالم هم الذين يهددون التسعة أعشار الأخرى من البشرية، ويهيمنون على العالم ويفرضون على الأكثرية شريعتهم الجديدة التي يطلقون عليها مصطلح "النظام العالمي الجديد"، هذا النظام الذي لا يعني في جوهره إلا إعادة تقسيم مناطق النفوذ في العالم بعد انهيار إمبراطورية الشيطان كما كانوا يسمون الاتحاد السوفيتي، وفرض الهيمنة الإمبريالية من جديد على نطاق واسع وبوسائل أكثر ملائمة للعصر من حيث التطور[1]. خصوصا مع الإشكاليات –كما يقول الدليمي- الناجمة عن الاختراقات التي تقوم بها في كل لحظة وسائل الإعلام الغربية الأمريكية والإسرائيلية، سواء المملوكة رسميا من قبل هذه الجهات أو تلك التي تعمل لتحقيق أهدافها بشكل غير مباشر*، وكانت الانطلاقة الأولى السليمة للمواجهة هو قيام إعلام عربي قومي سيما في جانبي الإذاعة والتليفزيون من خلال اعتماد تخطيط استراتيجي لبرامج القنوات الفضائية العربية[2] وهكذا فقد تمكن الإعلام العربي من أن يواكب مساحات البث الفضائي في العالم بعد مدة من استقراره في أغلب دول العالم، حيث تداركت كثير من الدول العربية- على حد تعبير سلمان- خطورة البث الوافد من الدول الأجنبية، واتخذت لنفسها قنوات خاصة تبث فيها كل ما تراه ملائما لطبيعة فلسفتها، فقد فرض الوضع الاتصالي

1 - أحمد منور: **الغزو الإعلامي الغربي عبر البث التليفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية (منطقة المغرب العربي نموذجا)**، أبحاث ندوة عمان حول وحدة الثقافة العربية، م.س.ذ ص191-192.

* تتطلب جهودا كبيرة رسمية وعملية توجب توفر الإمكانيات التقنية والبشرية المؤهلة والمدربة، واعتماد موارد مالية قادرة على تحويل الخطط والبرامج إلى واقع ملموس، يضاف إلى ذلك توفير أرضية من المعلومات والدراسات سيما الخاصة بالجمهور المتلقي من حيث خصائصه، توجهاته ورغبات، على أن ترتبط كل الجهود في هذا الإطار بحركة الدول وبرامجها وخططها في عمليات تنمية المجتمع وموارده في الجوانب الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية والتعليمية، كي تتواءم معها وتتناسق من حيث الأداء والفعالية وصولا إلى الأهداف المرسومة التي هي في المحصلة أهداف المجتمع برمته.

2 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ. ص 80-81.

العالمي الجديد والمتجدد تحديات عديدة في غاية الصعوبة إلى درجة أن التليفزيونات العربية لم تتمكن من أن تتجاهلها على الإطلاق[1].

سعت الفضائيات العربية منذ انطلاقتها في عقد التسعينيات من القرن العشرين إلى احتلال موقع لها في الفضاء الإعلامي الجديد، هذا الفضاء الذي شهد تطورا سريعا في مجال تقنيات الاتصال، حيث شهد إطلاق عدة قنوات فضائية بطريقة متواصلة إلى درجة أن عمليات عدها أضحت مستحيلة، وفيما يأتي سرد تفصيلي لانطلاقة المحطات الفضائية العربية حسب التسلسل الكرونولوجي. فكيف كانت الانطلاقة؟

❖ تعتبر مصر أول من أطلقت قناة فضائية عربية حكومية، حيث بدأ بثها في نوفمبر 1990 وهي القناة الفضائية المصرية **ESC**، هذه القناة التي بدأ بثها 24 ساعة على 24 والتي أمكن التقاطها يومها في 20 دولة عربية، 27 دولة إفريقية، 23 دولة أوروبية و11 دولة آسيوية وبالتالي فهي تغطي 5/4 (أربع أخماس) العالم، ثم تمكنت مصر من إطلاق القمر الصناعي نايلسات NILESAT الذي انبثق عنه إنشاء مصر لعدة قنوات تليفزيونية فضائية متخصصة وعامة مثل:NILE TV، قناة النيل الدولية في أكتوبر 1994، ثم النيل للدراما في أكتوبر 1996، ليتلاحق إطلاق عدة قنوات فضائية متخصصة مثل: القنوات التعليمية، القناة الثقافية، قناة الطفل والأسرة، القناة الرياضية، المنوعات، إضافة إلى عدة قنوات أخرى مثل قناة هورس، نفرتيتي، المحور، التنوير، دريم ... وغيرها من القنوات التي منها ما هو مشفر ومنها ما هو مفتوح[2] ويعتبر الدليمي مصر نموذجا لمواجهة تحديات البث الفضائي الوافد حيث عملت بشكل مبكر على زيادة عدد قنواتها المحلية والإقليمية[3].

1- عبد الباسط سلمان :**عولمة القنوات الفضائية**.م.س.ذ ص 44.

2- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص136.

3- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 116.

❖ في *السعودية* بدأ رأس المال السعودي بإطلاق قناة تليفزيون الشرق الأوسط MBC في 1991، هذه القناة التي بدأت بثها الفضائي من لندن صوب الوطن العربي، أوروبا، أمريكا، أستراليا وشرق آسيا، وهي شركة تجارية تعود ملكيتها لمولين سعوديين هما محمد إبراهيم والشيخ وليد إبراهيم، وقد تمكنت هذه القناة من أن تكون أول قناة عربية غير عمومية*، وبحكم اعتمادها على شبكة كبيرة من المراسلين من مختلف أنحاء العالم والدول العربية ،واعتمادها على ألمع الوجوه العربية خاصة من مصر، لبنان، سوريا، الجزائر وتونس تمكنت من كسب جمهور واسع في البلاد العربية، الأمر الذي حفز رأس المال السعودي إلى المزيد من الاستثمارات في هذا المجال، حيث بادر الملياردير السعودي الشيخ صالح في أكتوبر 1993 إلى إطلاق سلسلة قنوات راديو وتليفزيون العرب ART من روما العاصمة الإيطالية، التي توسعت فيما بعد إلى عدة قنوات متخصصة هي: ART المنوعات، ART الحكايات، ART الرياضية، ART، ART العالمية، ART الأفلام، ART الطرب، ART الأطفال، ART أوروبا وغيرها. كما تم إنشاء قناة أوربت ORBIT في ماي 1994، وهي قناة عربية برأسمال سعودي تبث برامجها من أوروبا، وهي قناة مجهزة بأحدث التكنولوجيا الرقمية، تعود ملكيتها لشركة الموارد السعودية(1).

أما القنوات الفضائية الحكومية السعودية فقد عرفت هذه الأخيرة إطلاق 3 قنوات فضائية هي:Saudi-1 التي تبث برامجها باللغة العربية، Saudi-2بالإنجليزية، وقناة الإخبارية المتخصصة في الأخبار.

---

* وقد توسعت القناة لتصبح مجموعة كبيرة تضم عددا من القنوات المتخصصة في عدة ميادين فبالإضافة إلى MBC1 أصبح هناك: MBC2 ، MBC3، MBC 4 ، MBC+ ، MBC Maghrébia، MBC Action، MBC MAX، MBC persia، و قناة العربية.

1 - الحاج تيطاوني: جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر، م.س.ذ ص136-137.

ويرى الدليمي أن المكانة الدينية للسعودية ووجود المقدسات الدينية فرضت شروطا خاصة على البث التليفزيوني شكلا ومضمونا، حيث يغلب على برامجها بث البرامج الدينية، الاجتماعية، ونقل فروض الصلاة اليومية والجمعة والتراويح من مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أن قنوات MBC وART و ORBIT يفترض أنها تهدف إلى بث برامجها(من خارج البلاد العربية) للمساهمة في نشر الثقافة والحضارة العربية الإسلامية، وتوفير اتصال تليفزيوني يغطي المنطقة العربية فضلا عن مزج الثقافات وتبادل المعرفة في شتى الميادين[1].

- أما ***الكويت*** فقد بدأت تجربتها مع الفضائية الكويتية**KTV** وهذا في شهر جويلية 1992 عبر القمر عربسات (B-1) ثم عربسات (B-2)[2]وذلك ببث متواصل 24 ساعة على 24، حيث تقدم مزيجا من برامج القناة المحلية الأولى والرابعة للتليفزيون، وهي قناة دعائية تهدف إلى تغطية دور الكويت في المنطقة الخليجية والتعاون في دول مجلس التعاون الخليجي، وتشجيع السياحة الكويتية[3].
- في ***الإمارات*** بدأ البث مع إنشاء قناة دبي **DUBAI TV** الفضائية في أكتوبر1992 عبر القمر عربسات(A-2)، هوت بيرد2 HOTBIRD، كلاكسي7 GALAXY، أنتلسات INTELSAT باعتمادها البث باللغتين العربية بنسبة 70 % والإنجليزية 30% مع تركيزها على البرامج الإخبارية بالاعتماد على مراسلين من مختلف المناطق العالمية والعربية[4]. وفي عام 1995 أعلنت على أنها ثاني قناة في العالم بعد CNN استطاعت تغطية الخدمة

---

1 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص124-125.

2 - الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 137.

3- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 145.

4 - الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 137.

الإخبارية لأغلب أنحاء العالم، وهي الآن تحاول أن تطرح القضايا العربية بأسلوب مناسب إضافة إلى الترفيه، كما تحاول أن توسع من دائرة خيارات المشاهد العربي، بحيث لا يكون لقمة سهلة تفترسه القنوات الإعلامية الأجنبية سيما المحافظة على الأصول و التقاليد الإسلامية لدى العرب أينما كانوا[1]*.

كما تم إنشاء قناة أبو ظبي الفضائية**ABU DHABI TV** في نوفمبر 1992 عبر القمر عربسات (A-1)و (A-2) والتي بالرغم من انطلاقها بالتركيز على التغطية المحلية و الخليجية، أضحت منذ عام 2000 تعتمد على مراسلين في كل المناطق الساخنة مع اعتمادها على أحسن الكفاءات الصحفية في محاولة منها للتشبه بقناة CNN الأمريكية في مجال سرعة نقل الأخبار الساخنة[2].

يقول الدليمي أن هذه القناة تركز على قواعد أساسية قوامها أنها قناة عربية إسلامية تنطلق من الإطار المحلي إلى الأفق، و تلبي حاجات و اهتمامات المشاهدين في الإمارات وخارجها، تبعا لاختلاف البيئة والمحيط الثقافي والنطاق الإقليمي والمعتقد الديني والسياسي، لذا فإن أهم ما يميز قناة أبو ظبي –يضيف الدليمي- هو الاهتمام بالبرامج الفكرية والثقافية الجادة التي تخدم القضايا العربية وتعكس هموم المواطن العربي بمختلف فئاته واهتماماته ومستوياته العلمية والثقافية لتجسيد الهوية الثقافية للأمة العربية، حيث أظهرت دراسة لعدلي سيد محمد أن 80% من البرامج في القناة تنتج محليا حيث 35% منها عن طريق الإنتاج الخاص للبرامج والمسلسلات بمعدل مسلسل واحد شهريا، أما الباقي ويشكل 45% فينتجه تليفزيون الإمارات، ولا تشكل البرامج الأجنبية أكثر من 20% فقط من مجموع البرامج الثقافية أما برامج المنوعات فإنها لا تمثل إلا 15%[3].

---

1 – عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص143.

* توسعت هذه القناة فيما بعد إلى قناة دبي الرياضية، دبي الاقتصادية، سما دبي،DUBAI ONE التي تبث بالإنجليزية...

2- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 137.

3 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص136–137.

كما بادرت الإمارات إلى إنشاء قناة الشارقة الفضائية **SHARJAH TV** في أكتوبر1996 والتي تبث عبر القمر عربسات (A-2) ويوتلسات EUTELSATوهوت بيرد- HOTBIRD- 4[1]، حيث استقرت خريطة البث اليومي لتليفزيون الشارقة بعد أن جرى تجديد الهيكلة للبرامج على النحو التالي:

- البرنامج العام: مدته 20 ساعة يبدأ من السادسة صباحا حتى الثانية بعد منتصف الليل.
- البرنامج الديني: موجه باللغات الفرنسية، الإنجليزية والفارسية، مدته 4 ساعات من الثانية صباحا حتى السادسة صباحا أيضا.

وقد حرصت القناة على أن تجسد البرامج الخاصة والمحلية التي تقدمها القيم، الأهداف والسياسات العامة التي تعمل المحطة على توكيدها، واستطاعت القناة أن تزيد مساحة الإنتاج المحلي في برامج الأطفال حيث وصل إلى 90% من خارطة البث التي تصل إلى ساعتين يوميا، أما البرامج الدينية فهي تتوزع بين الأطفال والكبار فضلا عن القناة الدينية[2].

وقناة **عجمان الفضائيةAJMAN TV** التي بدأت بثها في مارس1998 عبر القمر عربسات (A-2) ثم نايلسات[3]، وتوجد لدى قناة عجمان قناة موسيقية تبث برامجها لمدة 3 ساعات يوميا ابتداء من منتصف الليل، وقناة للأطفال تبث 3ساعات يوميا أيضا، وقناة ثالثة للمرأة مدتها ساعتان، وقناة للشباب وتعمل هذه القنوات على تقديم البرامج الترفيهية التي تحمل المعلومة في الوقت ذاته، وتبث هذه القنوات برامجها من داخل القناة الأم ولكن في فترات مخصصة لها[4].

1- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 137.

2- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 141-142.

3- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 137.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 144-145.

❖ أما *تونس* فتم إدخال البث الفضائي بها في أكتوبر 1992 بإطلاق القناة الفضائية تونس7 أو TV7 عبر القمر أنتلسات INTELSAT 2، وهي قناة مفتوحة تركز في أغلب فترات بثها على الجانب الفني، الثقافي وبعض المواعيد الإخبارية والرياضية والأفلام والمسلسلات العربية[1]، حيث تصل نسبة الإنتاج البرامجي التونسي بالقناة إلى65%[2].

❖ *المغرب* بدأ الإرسال الفضائي مع انطلاق القناة الفضائية المغربية في 03 مارس 1993، ويعتبر المغرب سباقا في ولوج عالم القنوات الفضائية حيث أطلق القناة الفضائية MAROC2 M في 04مارس 1989 عبر القمر أنتلسات INTELSAT، والتي كانت تبث من مدينة طنجة، حيث انطلقت ببث لا يتجاوز 06ساعات يوميا ثم 20ساعة ليصل إلى البث المتواصل24ساعة على 24[3]. ومن أهم مصادر تمويل هذه القناة الإعلانات والاشتراكات الخاصة إضافة إلى الدعم المالي من فرنسا الذي كان يشكل نصف ميزانيتها باعتبار أن هذه القناة هي قناة مغربية فرنسية مشتركة، في البداية كانت تبث برامجها باللغتين العربية والفرنسية على مدى 15 ساعة، وأهم برامجها باللغة العربية يعتمد على ما تنتجه شركات الإنتاج العربية من أفلام ومسلسلات ومنوعات، وأما البرامج الأجنبية فهي منتقاة من القناة الفرنسية الأولى TF1[4].

❖ في *الأردن* بدأ البث مع **القناة الفضائية الأردنية J TV** في 01 فيفري 1993 عبر القمر عربسات (A-2) وبمعدل 18 ساعة يوميا، ليتحول إلى بث متواصل فيما بعد، بدأت هذه القناة باعتمادها على الإنتاج المحلي الأردني بنسبة

1- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 138

2- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 115.

3- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص138.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 114.

50% من مجمل ساعات البث، إضافة إلى برامج وأفلام ومسلسلات مصرية، سورية وأجنبية مدبلجة أو مترجمة، حيث تصل مساحة الدراما والمنوعات إلى أكثر من45%.

كما عرفت الأردن بروز قناة فضائية أخرى هي قناة **SAT 7** التي بدأت البث في مطلع 1997 من الأردن، وهي قناة تبث برامجها بالعربية وموجهة إلى مسيحي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[1].

❖ **في *الجزائر* بدأ البث مع إطلاق القناة الفضائية الجزائرية ALGERIN TV** في 20 أوت 1994 لتعطى تسمية أخرى لها هي **قناة الجزائر CANAL ALGERIE**، حيث عرفت هذه القناة الانطلاقة الرسمية في 01 أكتوبر1994 عبر القمر يوتلسات EUTELSAT ليصل بثها إلى 29 دولة نهاية 1994، و38 سنة 1997، و43 سنة 1998، في سنة 2001 وصل بث هذه القناة إلى كل الشرق الأوسط، روسيا، إفريقيا وأوروبا[2]، تقدم هذه القناة 85% من إنتاجها باللغة العربية والباقي بالفرنسية وتتضمن برامجها: المسلسلات ونشرات الأخبار باللغتين العربية والفرنسية، حيث تهدف هذه القناة إلى كسب التأييد العربي والعالمي في مواجهة المتطرفين، والاهتمام بالجالية الجزائرية وربطهم بوطنهم الأم من خلال تقديم برامج جزائرية تعرف بالجزائر قطرا عربيا وإسلاميا[3]*.

❖***موريتانيا*** عرفت لأول مرة البث الفضائي عبر **الفضائية الموريتانية TM** في ديسمبر1994، بمدة بث بدأت ب07 ساعات يوميا على القمر عربسات (B-2) من

1- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص138.

2- نفس الرجع السابق ص138-139.

3- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 114.

* وقد تم تدعيم البث الفضائي الجزائري في 05 جويلية 2001 بإطلاق **القناة الجزائرية الثالثة (A3 TV)** الموجهة إلى دول الوطن العربي، بالإضافة إلى عدة مشاريع لقنوات فضائية متخصصة أخرى تنتظر التحقيق.

الخامسة مساء وحتى منتصف الليل[1]، حيث تبث القناة برامجها باللغتين العربية والفرنسية في جهودها لنقل صورة إيجابية عن موريتانيا وثقافتها وتاريخها[2].

❖ *البحرين* بداية البث كانت من خلال قناة البحرين الفضائية **B TV** في ديسمبر 1994 عبر القمر عربسات (A-2) والتي كانت تبث برامجها على مدار 24 ساعة بقوة تصل إلى كل البلدان العربية وجزء من آسيا وإفريقيا وأوروبا، مع بث عدة برامج مأخوذة من قنوات: الفضائية المصرية BBC، CNNو MBC في سنواتها الأولى[3]. ويستخدم في البحرين نظام شبكة المايكروويف (Micro-Wave) الذي يمكن المشتركين في خدماته من مشاهدة نحو 20 قناة منها: قنوات شبكة CNN ART شبكة STAR ، دبي.. وتم زيادة قنوات جديدة للخدمة حيث يصبح مجموع هذه القنوات 30 قناة[4].

❖ أما *السودان* فقد افتتحت القناة الفضائية السودانية **SUDAN TV** في 30 جوان 1995 على القمر عربسات (D-1) والقمر أنتلساتINTELSAT 512، بتقديم برامجها على فترتين صباحية ومسائية[5]، وتتميز برامج القناة السودانية بالالتزام التام والكامل بالقيم العربية والإسلامية[6].

❖ في *سوريا* فبالرغم من التطور الكبير الذي عرفته الدراما التليفزيونية السورية، ورغم كثافة الإنتاج التليفزيوني السوري وهيمنته على كثير من ساعات البث في التليفزيونات العربية الأرضية والفضائية، إلا أن سوريا لم تعرف البث

1 -الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص139.

2 -عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 116.

3- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص139.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 133.

5- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص133.

6- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 116.

الفضائي إلا في جويلية 1995 على القمر عربسات (D-1) ثم انتقلت إلى عربسات(A-2)، من خلال إطلاق قناة سورية SYRIA TV بمعدل 16 ساعة بث يومي إلى غاية 2002، حيث تقدم برامج مختلفة تتميز بطبيعة ثقافية وسياحية إضافة إلى برامج التسلية والمنوعات، حيث يشكل الإنتاج الإعلامي والفني السوري النصيب الأكبر في الخريطة البرامجية للقناة[1]، كما ساهم رأس المال السوري من خلال رجل الأعمال سومر الأسد وشركاؤه في إنشاء قناة شبكة الأخبار العربية ANN في ماي 1997، والتي تبث عبر القمر يوتلسات EUTELSAT على مدار 24 ساعة، مع اتخاذ لندن مقرا لهذه القناة، وهي قناة متخصصة فقط في متابعة الأخبار وعرض الأشرطة على اختلاف مضامينها، فضلا على الاعتماد على الحوارات التليفزيونية في المجالات الثقافية، السياسية، الاقتصادية...[2].

❖ *لبنان* عرف البث الفضائي مع بداية القناة **الفضائية** اللبنانية **LBC** في أفريل 1996 عبر القمر عربسات(A-2) و هوت بيرد[3] HOTBIRD-2، وقد استطاعت هذه القناة أن تجد لنفسها مكانا ومكانة وسط عشرات القنوات الفضائية رغم حداثة عمرها، ويفسر الدليمي ذلك بالمنوعات اللبنانية المحببة لدى المشاهدين العرب، إضافة إلى المسلسلات المدبلجة (والتي تعد قناة LBC رائدة في هذا المجال)، لكن يعاب على هذه القناة –يضيف الدليمي- إنتاجها لبرامج تعتمد على العري والإسفاف، ويبرر مديرها العام "بيير الظاهر" ذلك بأن القناة تجارية وتستهدف الربح، ويتفاخر العاملون بها بأن قناتهم من بين قلة من القنوات التي تحقق أرباحا كبيرة[4]. بعدها تزايد عدد القنوات الفضائية اللبنانية مع ظهور أكثر من قناة خاصة وعامة منها: قنوات MTV ، LBC أنترناشيونال، تليفزيون لبنان، قناة

1- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 120.

2- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص139.

3- نفس الرجع السابق ص 140.

4- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص120.

NBN، قناة المنار التابعة لحزب الله اللبناني، قناة زين، وقناة المستقبل FUTURE TV هذه القناة التي تأسست في 15 مارس 1993، وهي شركة مساهمة رأسمالها 32 مليون دولار، ومعظم المساهمين فيها من كبار رجال الأعمال في لبنان منهم: رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري،وقد وجهت الكثير من الانتقادات لطبيعة البرامج التي تعرضها قناة المستقبل، لأنها تعرض الكثير من البرامج التي لا تتوافق مع طبيعة المجتمع العربي وخصوصياته، كما أن لقناة المستقبل علاقات مع شركات كبرى مثل (ديزني)، فالمستقبل هي القناة الوحيدة غير المشفرة في منطقة الشرق الأوسط التي تبث برامج ديزني[1].

وقد عرف لبنان توقيف البث التليفزيوني أرضا وفضائيا منذ فيفري 2001 بعد العجز الذي عرفه جراء المنافسة البشرية التي كان يجابهها أمام القنوات الخاصة، وكثرة الأعباء ليعيد إرساله بعد أقل من 06 أشهر بقرار من وزير الإعلام اللبناني"غازي العريضي" مع تقليص عدد عماله الذي كان يتجاوز 1550 عامل[2].

❖ *اليمن* كانت بداية الإرسال بإطلاق الفضائية اليمنية **YEMEN TV** في ماي 1996 عبر القمر عربسات، و هي القناة الرسمية لدولة اليمن التي يتوحد بثها مع البث الأرضي، مع تحمل هذه القناة تغطية كل النشاطات الثقافية، السياسية، الاقتصادية و... لليمن[3]حيث تتكون القناة الفضائية اليمنية من : تليفزيون عدن، إذاعات صنعاء وعدن المحلية ومعهد الإذاعة والتليفزيون[4].

❖ *ليبيا* بدأ البث بإطلاق **قناة الجماهيرية** في أوت 1996 من خلال الأقمار عربسات (A-2)، عربسات (B-2)، يوتلسات F113 و أنتلسات707، حيث بدأ البث ب09 ساعات يوميا ليصبح عام 2002 ما معدله 8 ساعة يوميا، مع ضمان

1- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 118-119.

2-الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 140.

3 -نفس الرجع السابق ص 140.

4 -عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص122.

وصول بثها إلى دول إفريقيا، كل الدول العربية، جنوب أوروبا كفرنسا وإيطاليا، كما يصل بثها إلى الباكستان[1]*. ونشأت حديثاً بعد سقوط النظام عدة قنوات فضائية.

❖ **قطر** عرفت هذه الدولة البث الفضائي في نوفمبر 1996 بفضل بداية بث قناة **الجزيرة JSC** لبرامجها لكل الوطن العربي، أوروبا، أمريكا، أستراليا وآسيا 24 ساعة على 24، وهي قناة غير حكومية مقرها الدوحة، تتميز بتخصصها في مجال الأخبار بتبني شعار "الرأي والرأي الآخر"، بالاعتماد على شبكة من المراسلين الصحفيين من خيرة الكفاءات الإعلامية في الوطن العربي، وقد تمكنت القناة في فترة وجيزة من لفت الانتباه وجلب جمهور واسع من كامل الوطن العربي والعرب في المهجر بأوروبا، أمريكا وحتى آسيا**.

كما أطلقت قطر فيما بعد **الفضائية القطرية QATAR TV** التي تبث برامجها عبر القمر عربسات وهوت بيرد[2].

❖ ***سلطنة عُمان*** تمتلك السلطنة قناة فضائية رسمية **الفضائية العُمانية OMAN TV** تبث برامجها عبر القمر عربسات (A-2)، وكانت البداية بـ19ساعة يوميا ثم ازدادت لاحقا، في شهر ماي 1998 تم التوقيع على اتفاق يتم بمقتضاه تخصيص قناة تليفزيونية على القمر المصري نايلسات101 لتليفزيون سلطنة عُمان، وفي 01 نوفمبر 1998 بدأ هذا التليفزيون بث مواده وبرامجه على مدار الساعة[3].

1- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 140.

* بعدها توالى إطلاق ليبيا لعدد من القنوات الفضائية.

** وقد توسعت القناة لتشمل عدة قنوات متخصصة أخرى كالجزيرة الوثائقية، الرياضية1و 2، الجزيرة أطفال، الجزيرة مباشر، الجزيرة التي تبث باللغة الإنجليزية...

2 -الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 140.

3 -عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص123.

❖ *العـراق* بدأ إرساله من خلال قناة العراق الفضائية IRAQ TV في جويلية 1998 ببث يومي يقدر ب06 ساعات يوميا ليصل عام 2001 إلى 16 ساعة عبر القمر نايلسات101، وتبث القناة برامجها باللغات العربية، الفرنسية والإنجليزية[1]. إضافة إلى أنه قد بدأت قناة العراق الفضائية ببث برنامج كردي لمدة 04 ساعات يوميا، وتوقف بث القناة نهائيا بعد أن تم تدميرها بالكامل أثناء العدوان الأمريكي على العراق في نهاية مارس 2003، ويلاحظ أن الفترة التي أعقبت احتلال العراق قد شهدت قيام عدد من القنوات الفضائية بدعم وتوجيه من إدارة الاحتلال لخدمة أغراضه نذكر منها: قناة البغدادية، العراقية، السومرية، الشرقية، البابلية، قناة بغداد، الزوراء، الزهراء، الكوثر...[2].

* كما عرفت باقي الدول العربية تباعا إطلاق مجموعة من القنوات الفضائية مثل **الفضائية الفلسطينية**، بالإضافة إلى مجموعة من القنوات المستقلة كقنوات الموسيقى، قنوات الأطفال، القنوات الدينية، القنوات السياسية، الثقافية، الاقتصادية، الدرامية، الرياضية...

أما بخصوص مضامين البث الفضائي العربي فحسب إياد شاكر البكري* فيمكن أن تتلخص فيما يلي:

- الترويج للدولة التي تمتلك القناة والنهضة الحضارية فيها.
- زيادة نسبة المشاهدين للقناة من خلال الانتشار في أكبر رقعة جغرافية.
- مواكبة التطور التكنولوجي الذي يحدث في أغلب البلدان المتقدمة من خلال الوجود على ساحة البث الفضائي.

1- الحاج تيطاوني: **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**. م.س.ذ ص 141.

2- عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص151.

* في كتابه "عام 2000 حرب المحطات الفضائية".

- حفظ وصيانة التقاليد العربية والإسلامية بعدم ترك المشاهد العربي الموجود في الخارج تحت سيطرة وسائل الإعلام الأجنبية منفردا، بل تقديم الجيّد له من البرامج العربية.
- السعي نحو جعل قناة عربية تستقطب كل المواطنين العرب، من خلال طرح قضاياهم واهتماماتهم والتواصل معهم لتقديم الثقافة والترفيه المناسبين.
- توطيد أواصر الأخوة العربية من خلال بناء جسر من التواصل مع المشاهدين في الوطن العربي.
- الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية المستوحاة من الشريعة الإسلامية.
- تجسيد الهوية الثقافية العربية والحفاظ على وحدتها وطرح البديل الثقافي والإعلامي الجماهيري[1].

ويمكن تقسيم القنوات الفضائية في المنطقة العربية إلى ثلاثة أنماط أوردها محمد عبد الوهاب وهي:

- **النمط الأول**: وهو الأكثر شيوعا تمثله القنوات الفضائية المملوكة ملكية حكومية، سواء كانت هذه القنوات معدة خصيصا للبث الفضائي أو قنوات محلية يتم بث إرسالها عبر الأقمار الصناعية إلى خارج الحدود.
- **النمط الثاني**: وتمتلكه القنوات المملوكة ملكية خاصة أو مشتركة عربية، ويتم إرسالها من خارج المنطقة العربية مثل: MBC سابقا، ART، أو من داخل المنطقة العربية مثل: تليفزيون المستقبل، LBC.
- **النمط الثالث**: وتمثله القنوات التي تبث إلى الوطن العربي من دول أخرى مثل: قناة الحرة، الخدمة العربية لهيئة الإذاعة البريطانية...[2].

بينما يعطي الجمّال تقسيما آخر للفضائيات العربية يعتمد على ثلاثة نماذج للاتصال السياسي على مستواها هي:

---

1 -عبد الباسط سلمان: **عولمة القنوات الفضائية**، م.س.ذ ص 51.

2 -عبد الباسط محمد عبد الوهاب: **استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتليفزيوني: دراسة تطبيقية وميدانية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2005 ص357.

❖ **النموذج التقليدي**: الذي تملكه الحكومات العربية وتديره بصورة مباشرة، وتدور أخباره وأفكاره وأطروحاته السياسية في إطار السياسات الحكومية الرسمية، وهو النموذج الغالب على معظم القنوات الفضائية الرسمية.

❖ **النموذج الإصلاحي**: وهو نموذج قنوات التليفزيون المملوكة للسلطة (الدولة)، وفيه تصبح سياسات الدولة مجرد مؤشرات توجيهية للتغطية والمعالجات الإخبارية والممارسات المهنية، وهذا النموذج واضح في القنوات التليفزيونية والفضائية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

❖ **نموذج التليفزيون الأمريكي**: وهو الشائع في قنوات الجزيرة والعربية ومختلف القنوات الفضائية السياسية والحوارية التي تعتمد هذا الأسلوب في طرح القضايا[1]. ولكن يُقال أنه رغم التنافس الكبير الحاصل بين الدول العربية في مجال إطلاق قنوات فضائية الذي قد لا يتناسب أحيانا مع إمكانيات بعض الدول المالكة لها أو مع حجم دورها على مسرح السياسة الدولية أو من حيث حجم الإنتاج المحلي الكافي لملء خارطة إرسالها اليومي، فنجدها تضطر للاعتماد على الإنتاج المستورد الذي لا يعبر عن هويتها ولا يعكس ثقافة المجتمعات التي من المفروض أنها لسان حالها وممثلتها.فهل هذا صحيح؟

هذا ما سنتبيّنه من خلال المبحث التالي والذي سيوضح المشهد الثقافي والإعلامي في الفضائيات العربية ومدى اعتماد هذه الأخيرة على المنتجات الثقافية الغربية المستوردة، وما تحمله من قيم ومضامين أجنبية غريبة عنا وعن ثقافتنا.

1 راسم محمد الجمّال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، م.س.ذ ص138.

المبحث الثالث

المشهد الثقافي والإعلامي في الفضائيات العربية

دخل العرب كما سبق وأوردنا مجال الاتصال الفضائي بشكل واسع منذ عقد التسعينيات من القرن الماضي، وتسابقت الحكومات العربية إلى إنشاء قنوات فضائية، وأولت هذا المجال -كما يقول الدناني- أهمية خاصة في إطار الاهتمام بتطوير وسائل إعلامها، حيث توالت عمليات إنشاء القنوات فانتشرت الفضائيات العامة والخاصة التي تبث برامجها من داخل الوطن العربي وخارجه، منها ما هو مشفر ومنها ما هو مفتوح*، وهي قنوات متعددة الأهداف والغايات منها ذات البرامج المتنوعة أو ما يسمى بالقنوات الجامعة وهي الأكثر عددا، ومنها المتخصصة في مجال الأخبار، الرياضة، الثقافة، الأفلام، المرأة، الطفل، التعليم...[1].

وهكذا أصبح -حسب الدليمي- الوطن العربي مغطى بعدد كبير من الأقمار الصناعية المباشرة، حيث تستخدمها قنوات البث الخاصة أو الحكومية، وازداد عدد الفضائيات العربية خلال السنوات الأخيرة، وظهرت معطيات ومفاهيم جديدة أخذت تتشكل عبر شاشات التليفزيون في ملايين المنازل العربية في عصر الأقمار الصناعية التي اقتحمت الحدود وألغتها، ومع إطلاق الجيل الثالث لأقمار عربسات أتيحت للفضائيات العربية فرصة الدخول في مجال الإرسال الرقمي الذي دفع إلى إعادة صياغة الخطاب الإعلامي ليكون متنوعا ليساهم في تأصيل الهوية

---

* تعتمد معظم القنوات على نظام البث المفتوح، وعدد قليل منها تعتمد على نظام البث المشفر، وبث هذه القنوات مفتوح على بعض السواتل، ومشفر عندما يكون ضمن باقة من القنوات.

1 - عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 128.

الحضارية للمواطن العربي، ويعزز قدرته على التعامل مع الواقع الجديد تعاملا مدركا وليسهم أيضا في تبصير الرأي العام العالمي بقضاياه المصيرية العادلة[1].

وأضحت تكنولوجيا الاتصال متوفرة بين أيدينا، وأضحى المواطن العربي قادرا على امتلاك المحطات الإذاعية والتليفزيونية، وأصبحت هذه المحطات من الكثرة بحيث لم نعد-كما يقول أبو عرجة- نعرف أسماءها أو نتذكر الجهات التي تمتلكها، وأصبح العديد من هذه المحطات يحيّرك أمام الهدف منها أو الرسالة التي أنشئت لكي تقدمها لجمهورها[2]، خصوصا إذا علمنا أن الفرد يقضي- حسب إحصائيات مركز زايد للتنسيق والمتابعة- جزءا كبيرا من وقته أمام شاشة التليفزيون في متابعة المادة الإخبارية، الترفيهية أو الثقافية المطروحة عليه في إطار التدفق الإعلامي الكبير[3].

بعض الباحثين أمثال علي شمو يعتبرون القنوات العربية ظاهرة إيجابية ومحمّدة بالرغم من الملاحظات التي أبداها ويبديها الكثير من المراقبين والمهنيين والاجتماعيين بل و المستهلكين لبرامجها حول الهوية والمضمون والأسلوب التي تقدم به خدماتها...[4].

لكن قبل ذلك لابد من التمييز أولا بين الفضائيات المتخصصة وبين الفضائيات العامة، وبين الفضائيات التي أُعدّت في الأصل لتكون قنوات فضائية وبين القنوات الأرضية التي تحولت إلى قنوات فضائية تبث البرامج نفسها تقريبا أو أحيانا مع حذف البرامج التي لا تملك القنوات الأرضية حقوق بثها فضائيا.

طبعا ينبغي وقبل أي تقييم لدور الفضائيات العربية بما لها وما عليها أن نشير إلى أن هذا التقييم نسبي استنادا إلى الملاحظة السابقة حول أصناف

---

1 - عبد الرزاق محمد الدليمي: **عولمة التليفزيون**، م.س.ذ ص 106.

2- تيسير أبو عرجة: **قضايا ودراسات إعلامية**، دار جرير، الطبعة الأولى، الأردن، 2006 ص21.

3-مركز زايد للتنسيق والمتابعة: **الثقافة العربية في ظل التحديات المعاصرة**، الإمارات العربية المتحدة، 2001. ص59.

4- علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص 237.

الفضائيات، وحتى لا نقع في خطأ التعميم، وإنما هي مجموعة من الملاحظات العامة التي قد تنطبق على قناة وتستثني أخرى.

والبداية تكون مع الدور الإيجابي الذي تلعبه القنوات الفضائية العربية، حيث أن هذه الأخيرة تتمتع ببعض الميزات أهمها:

1- تعتبر القنوات الفضائية العربية أحدث وسائل الإعلام الحضارية في الدول العربية التي تمتلكها وتعبر عن سياستها، كما تعتبر لسان حالها خارج حدودها إلى عالم مفتوح وبلا حواجز تنشر أخبارها وتعلم عن أنشطتها المختلفة، وتركز على كل أحداثها ومناسباتها إيجابية كانت أو سلبية، تبرز سلوكياتها، تدافع عن شرعيتها كما تهاجم خصومها وتعرض وجهة نظر دولها في كثير من القضايا والمشكلات الإقليمية والعالمية[1].

2- أوجدت هذه الفضائيات نوعا من المعرفة المتبادلة بين الدول العربية، وأمكن عن طريقها الإلمام بمعلومات ثرية وغزيرة عن الدول والشعوب العربية وذلك من خلال المشاهدات الحية التي ترسم صورة حقيقية للمشاهد عن البلد شعبا، لغة، لهجة، ثقافة، أرضا، ماءا، أنهارا، وديانا، ينابيع، زراعة، ثروة، معادنا، فنونا، أدبا، غناء، عمرانا، طريقا، ريفا، حضرا، اقتصادا، مناخا، أشكالا، سينما، أزياء، ثروات حيوانية، معدنية، فنونا شعبية، فنونا جميلة، مسرحا وكل ما يمكن أن يراه الإنسان رؤية العين وهو جالس أمام التليفزيون[2].وهي بذلك تسهم في ترسيخ ما أسماه مهنا بـ " المشروع الثقافي العربي" من خلال تعزيز التعبير باللغة العربية الفصحى وبالصياغة التي تضمن سلامة التركيب وجودة الأداء [3].

---

1 - بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006 ص104-105.

2 - علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص 239.

3- محمد نصر مهنا : **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلاميـــة والمعلوماتيـــة**، م.س.ذ ص371.

3- الحصول على المعلومات عن الأقطار العربية مباشرة ومدعومة بالصورة وبالمشهد الحقيقي الماثل أمام المشاهد، والقضاء على دور الوسيط والناقل غير الأمين[1] وهذا ما أتاحته الطبيعة التعددية الإعلامية التي تتسم بها هذه القنوات الفضائية[2].

4- البرامج السياسية والفكرية القائمة على الحوار المباشر بين الأطراف الموجودة في البلد الواحد، وبين تلك الموجودة في مناطق أخرى عبر وحدات المؤتمرات التليفزيونية التي تتيح لكل مشترك في الندوة أن يرى ويتحدث إلى صاحبه وكأنهم في مكان واحد...، أي حققت نوعا من التواصل العضوي والوحدة الفكرية، ومكنت كل العرب من المشاركة بالرأي عبر الاتصال المفتوح والمباشر مع أعضاء الندوة أو الحوار[3].

5- توحيد نقل المناسبات الهامة وتقليل التكلفة مع هيئات التليفزيون في البلاد العربية كالأولمبياد الدولية والإقليمية، كأس العالم، البطولات العربية القومية منها والإقليمية... وفوق كل ذلك نقل الشعائر الدينية من مكة المكرمة أثناء أشهر رمضان و مواسم الحج إلى بيت الله الحرام[4].

6- أضافت إلى لهجات بعض الشعوب العربية كلمات وتعبيرات ومصطلحات مقتبسة من لهجات دول عربية أخرى اعتاد المشاهد على سماعها من خلال متابعته للمسلسلات والبرامج الدرامية التي بدأت تنتشر في القنوات العربية ويتابعها المواطنون العرب[5].

1- علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص239.

2- بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، م.س.ذ ص 105.

3- علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص239.

4 -علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص240.

5 -نفس المرجع السابق ص 240.

7- تعد القنوات العربية بمثابة التراث المنطقي للأمجاد العربية التاريخية الغابرة، فهي تعمل على دعم التلاحم وتعزيز التضامن بين المجتمعات العربية في الخارج، حيث تعكف هذه القنوات على أن توفر للمغتربين العرب والجاليات العربية مناخا ثقافيا واجتماعيا يحقق لهم التواصل مع أوطانهم كي لا يفقدوا هويتهم العربية وشعورهم بالانتماء إلى الوطن العربي الكبير، كما تعمل القنوات العربية على النهوض بدور فعال ورئيس في رسم التوجهات والرؤى الصحيحة للجاليات العربية في الخارج بغية حمايتها من الأفكار الراديكالية ومخاطر الازدواجية الثقافية والفكرية، كما استطاعت أن تحافظ على اللغة العربية لدى الجيل الثاني والثالث وكذا الأول من المهاجرين[1].

8- تنص المادة الأولى من النظام الداخلي للجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية* على أن الهدف الرئيسي من إنشاء هذه اللجنة هو إحداث إطار ملائم لتنسيق جهود الفضائيات العربية الحكومية والخاصة وسائر المنظمات والمؤسسات والأجهزة الإعلامية المعنية بقضايا البث التليفزيوني المباشر من خلال أقمار الاتصال، وما يتصل به من سياسات اتصالية، ومن ثم رسم استراتيجيات وخطط واضحة لآليات التعاون والتكامل بين مختلف الأطراف تحقيقا لأهداف الإعلام العربي قوميا ودوليا ومن أهمها:

- إثراء شخصية الإنسان العربي والإسهام في الحفاظ على هويته الوطنية والقومية.

---

1 - بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، م.س.ذ ص 106.

* تنفيذا لقرار مجلس وزراء الإعلام العرب في دورته ال 28، عقدت اللجنة العربية للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية اجتماعها التأسيسي الأول في تونس يوم 1995/12/22 بحضور ممثلي13 قناة فضائية عربية منها: (المصرية، السعودية، الأردنية، السودانية، المغربية، الكويتية، الجزائرية، التونسية، السورية و اليمنية) ومن القنوات الخاصة:قناة MBC فضلا عن مندوبين عن جامعة الدول العربية ، منظمة الأليسكو (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) و عربسات .

- تعميق الروابط القومية بين أبناء الأمة العربية.
- تحقيق التفاعل الثقافي بين المواطن العربي وبين ثقافات العالم المختلفة.
- تعميق انتمائه الوطني والقومي ومعايشته وفهمه لقضايا وطنه وأمته العربية.
- دعوة الشبكات الفضائية العربية التي تعيد بث بعض برامج القنوات الأجنبية إلى انتقاء أفضل القنوات التي تساعد على رفع المستوى الثقافي للمشاهد العربي، والتي لا تتعارض في مضمونها مع القيم العربية الإسلامية[1].

9- استحوذت على غالبية المشاهدين العرب وشغلتهم عن متابعة القنوات الدولية الأخرى وذلك لـ:

- كثرتها وتعددها حيث وفرت خيارات مناسبة للمشاهد العربي.
- استعمالها للغة الأم، فهي سهلت بذلك على أكثرية المشاهدين التلقي ودون عناء للأخبار بالعربية السهلةl'arabe standard، والبرامج الأخرى لهجاتها بدأت تعتاد عليها الأذن وبمرور الزمن أصبحت مفهومة عند غالبية المشاهدين كالمسلسلات السورية، الخليجية...
- تنوع برامجها فالأسرة العربية في المنزل العربي تجد فيها متسعا للمشاهدة، خاصة النساء، الأطفال والذين لا يجدون في البرامج الأجنبية حاجتهم بالنظر إلى حاجز اللغة الذي يحول بينهم وبين الاستفادة منها[2].

10- إن الفضائيات العربية هي الحدث الأهم طوال عقود مضت خصوصا بالنسبة للمثقف، حيث أتيح له التحدث على الهواء مباشرة وبحرية تامة والتعبير عن قناعاته وتوجهاته إلى الجماهير بحرية، وأنها استطاعت أن تكشف تعري الحكومات العربية، حيث أصبح بإمكان الرأي العام أن يعرف كثيرا مما كانوا يتكتمونه من قبل، يستمع لوجهات النظر التي كان يتم إسكاتها وإخراسها على التليفزيونات المحلية، كما أتاحت الفرصة لبعض الأصوات التي

1- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 102.

2 - علي محمد شمو: **تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص 240.

تقول كلاما عاقلا ومتزنا وجذابا أن تظهر للناس وتخاطبهم، تلك الأصوات التي تغفل عنها التليفزيونات والمنابر الرسمية[1].

وهكذا فقد لعبت القنوات الفضائية العربية دورا إيجابيا في استقطاب المشاهد العربي –على حد رأي شمو- وفي الحد من إقباله على مشاهدة البرامج الفضائية الأجنبية... وحققت طفرة كبرى في الإعلام العربي خلقت من خلالها نوعا من التواصل الثقافي، الاجتماعي والفكري بين الدول العربية لم يكن موجودا من قبل ولم تستطع أي وسيلة أخرى أن تحققه[2].*

ولكن بالرغم من الإيجابيات العديدة للقنوات العربية المباشرة، والدور البارز الذي لعبته في كسر السياج المحيط بكل دولة عربية، والانسياب الحر إلى كل مكان في الوطن العربي من خلال منفذ واحد هو القمر العربي (عربسات) وبجودة عالية في الصوت والصورة[3]،وإذا كانت الحكومات العربية قد أنفقت أموالا طائلة في سبيل إنشاء هذه القنوات الفضائية التي تبث برامجها إلى خارج الحدود الوطنية وباللغة العربية، بحثا عن تحسين صورة بلدانها والتعريف بها وهو هدف مشروع، فقد آن الأوان أن توجه هذه الحكومات تفكيرها وأموالها نحو الاهتمام بحاجات المشاهد العربي، وفهم واستيعاب أهمية هذه الفضائيات وتوظيفها التوظيف الأمثل .

---

1 – **ديمقراطية الخلاعة الفضائية**، شبكة النبأ المعلوماتية،
http://www.annabaa.org/nbanews/43/257.html

2- علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص 241.

* فالسينما كانت محدودة وقاصرة وتنساب من جهة واحدة، والراديو كان وسيلة هامة في الماضي عندما كانت الظروف السياسية في المنطقة العربية تعتمد عليه في توصيل الأفكار السياسية عبر التعليق، التحليل، الأخبار... ولكن الاهتمامات الإنسانية الأخرى بين الشعوب لم تكن تجد بين القائمين على أمرها ما تستحق من عناية- وهو موقف رهين بظروفه ويزول بزوالها- والمتغيرات الآن في الساحة العربية تدعو إلى الالتفات نحو التليفزيون المباشر عبر الفضاء للاعتماد عليه في التواصل بين الشعوب العربية.

3- علي محمد شمو:**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، م.س.ذ ص 241.

❖ فهل سياسة وبرامج قنوات البث الفضائي العربي تلبي الطموحات المنشودة للإعلام العربي؟ ❖هل تترجم تطلعات الأمة ؟

❖ هل تراعي في مضامينها ما يريده المشاهد العربي أو ما يتطلبه؟

❖ أم أنها سخرت لأهداف ورغبات أنظمة الحكام التي تمول نشاطها؟

هذا ما سيتم معرفته من خلال تحليل بعض مظاهر مضامين البث الفضائي العربي واستعراض بعض الملاحظات:

*- **قلة الإنتاج**: إن أخطر ما يواجه الفضائيات العربية –على حسب رأي شمو- هو مشكلة الإنتاج والاعتماد بالتالي على البرامج المستوردة سواء من الدول العربية أو من السوق العالمية الغربية[1]، فإذا ألقيت نظرة على الوضع الراهن لآليات النظام الفضائي العربي عبر القنوات الفضائية، ستجد أن أغلب هذه القنوات تقوم بعرض ثقافات لشعوب غير عربية أكثر من عرضها للثقافة العربية بمكوناتها المختلفة، ولما تعيشه الشعوب العربية في العصر الحديث منها عرض درامي أو ثقافي من مسلسلات وبرامج متنوعة هو غالبا من إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول في أوروبا الغربية مثل فرنسا وبريطانيا[2]، حيث تعتمد بعض الفضائيات العربية على الإنتاج المحلي بنسبة تتراوح بين 30% و 100% من البرامج التي تبثها على قنواتها، أما بالنسبة للبرامج المستوردة فنجد أن القنوات تستورد برامج عربية بنسبة 0.5 % و55 % في حين تتراوح نسبة البرامج الأجنبية بين 01 % و 65% [3].

والجدولين التاليين يوضحان نسب البرامج المبثة في الفضائيات العربية الحكومية والخاصة والمتخصصة:

1 - عبد الملك الدناني:**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 131.

2- نسمة أحمد البطريق: **الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي**، م.س.ذ ص47.

3 – عبد الملك الدناني:**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 132.

الفضائية العربية	نسبة البرامج المحلية (%)	نسبة البرامج المستوردة (%)	
		العربية	الأجنبية
الفضائية المصرية 1	100	-	-
الفضائية المصرية 2	99	01	-
القناة السعودية 1	53	47	-
القناة السعودية 2	73	-	27
قناة الإمارات الفضائية	40	40	20
قنـاة أبو ظبي	70	20	10
الفضائية التونسية	65	35	-
قناة دبي الفضائية	-	70	30
الفضائية الكويتية	65	31	04
الفضائية الأردنية	55	35	10
الفضائية المغربية	64	22	14
الفضائية الجزائرية	66.26	25.66	8.08
الفضائية الموريتانية	-	-	-
الفضائية البحرينية	40	50	10
قناة النيل الدولية	100	-	-
الفضائية السودانية	80	10	10
الفضائية السورية	95	-	05
الفضائية اللبنانية	60	10	30
الفضائية اليمنية	60	30	10
الجماهيرية الليبية	90	10	-
الفضائية العُمانية	50	45	05
الفضائية الفلسطينية	50	49	01
قناة قطر	60	30	10
قناة العراق الفضائية	100	-	-
CANAL ALGERIE	34	12	54
قناة جيبوتي	-	-	-
قناة عجمان	42	22	39

الجدول رقم (01) يوضح أهم قنوات البث الفضائي العربية الحكومية ونسب برامجها[1]

1 – عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 133-134.

الفضائية العربية	نسبة البرامج المحلية (%)	نسبة البرامج المستوردة (%)	
		العربية	الأجنبية
قناة M2 المغربية	-	-	-
قناة MBC	50	15	35
قناة المستقبل	60	-	40
قنوات ART	90	10	-
شبكة ORBIT	-	-	-
قناة الجزيرة	80	08	12
قناة LBC	82	05	13
قناة الشارقة	70	25	05
قناة النيل للأخبار	100	-	-
النيل للدراما	98	-	02
شبكة ANN	40	50	10
قناة اقرأ	75	20	05
النيل للرياضة	98	-	02
النيل للثقافة	97	-	03
النيل للأسرة والطفل	98	-	02
النيل للمنوعات	99	-	01
النيل التعليمية	100	-	-
النيل للمعلومات	100	-	-
قناة المستقلة	-	-	-
أبو ظبي الرياضية	-	-	-
دبي للدراما	-	-	-
دبي الاقتصادية	50	-	50
قناة المنار	75	25	-
قناة المجد	-	-	-
قناة NBN	-	-	-
قناة BBC العربية	-	-	-
قناة زين (ZEN*)	-	50	50
قناة العربية	70	20	10

الجدول رقم (02) يوضح أهم قنوات البث الفضائي العربية الخاصة والمتخصصة ونسب برامجها[1]

* هذه الفضائية أول قناة عربية مشتركة بين مدينة دبي للإنترنت وتليفزيون المستقبل اللبناني، وتوجه معظم برامجها إلى الشباب.

1- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 135-136.

أما فيما يخص مضمون الإنتاج الذي تبثه القنوات الفضائية العربية، فنجد:

* **الدراما:** لا تزال بعض الفضائيات العربية تعتمد بصورة كبيرة على إنتاج الفكر الغربي والمؤسسة الغربية لسد الفراغ فيما تقدمه يوميا أو أسبوعيا من برامج، فقد بدأت الدراما التليفزيونية ولا سيما المأخوذة من القنوات الأجنبية الوافدة إلى الوطن العربي تشكل خطرا حقيقيا على الإنسان العربي، خصوصا إذا علمنا- يضيف الدناني- أن بعض الفضائيات العربية تعتمد بشكل كبير في بثها على الإنتاج الأجنبي الذي يصل حجمه في كثير منها إلى80% [1].

وفي هذا الصدد يقول حوّات أنه إذا كان الإنتاج التليفزيوني العربي يمثل قرابة النصف في بعض البلدان مثلا (مصر و سوريا) في حين يكاد يقارب الثلث من جملة البث التليفزيوني في بلدان عربية أخرى مثل (تونس والجزائر)، فإنه في بلدان أخرى مثل اليمن لا يصل الإنتاج المحلي إلى 10% وهو إنتاج رديء في نفس الوقت.

وبشكل عام فإن أكثر من ثلثي الإنتاج التليفزيوني العربي مستورد من دول غربية، في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة 40%، تليها فرنسا08% ، ثم بريطانيا 05%، اليابان 4.5 % وألمانيا 03%، فضلا عن استيرادها لبعض الأفلام والمسلسلات التليفزيونية من الهند وأمريكا اللاتينية وغيرها من دول العالم النامي[2]، حيث على الرغم من ازدياد عدد قنوات البث الفضائي العربي- الحكومية والخاصة- إلا أنه لم يواكبه زيادة في حجم الإنتاج السينمائي العربي الذي تراجع حسب الدناني بشكل كبير في عام 1998، إذ لم يتجاوز(33) فيلما مصريا، يقابلها إنتاج أجنبي مكثف. هذا إضافة إلى أن الفضائيات العربية تحتاج إل 66 ألف ساعة بث سنويا وهي لا تملك سوى 15% منه

1- نفس المرجع السابق ص 157.

2- علي محمد حوّات: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي، م س.ذ ص89.

بما يعادل 10آلاف ساعة تقريبا ، وبالتالي فهي تضطر إلى شراء الباقي (56 ألف ساعة) من شركات غربية[1].

ويُرجع بن جدو* ذلك إلى أسباب مادية حيث يقول:"... أعتقد أن المشكلة الأساسية في استيراد البرامج بدلا من إنتاجها هو أن الفضائيات تشتريها بثمن زهيد بينما كلفتها باهظة لو قامت بإنتاجها ، ويعني ذلك أنه إما أن الإمكانيات المالية للفضائيات محدودة أو أنه ليس لها قرارا بالإنتاج[2].

أما فيما يخص الإنتاج المحلي فنلاحظ أنه في أغلب الفضائيات العربية تحتل الأخبارالسياسية المكانة المرموقة مع أولوية مطلقة للأخبار المتعلقة برئيس الدولة الحالي*[3].

هذه الأهمية للبرامج الإخبارية ترجع –حسب حوات- إلى محدودية تكاليفها واعتبارا للأبعاد السياسية المسيطرة التي أصبحت تزكم الأنوف، تصم الآذان و تثير السخط[4].

وباقي الإنتاج المحلي العربي فهو لا يمثل سوى (1.4- 5 %) حيث تقوم الفضائيات بتقديم بعض المواد العربية غير الكافية في بعض الأحيان لعرض وتحليل

---

1 – مركز زايد للتنسيق والمتابعة: **الثقافة العربية في ظل التحديات المعاصرة**، م.س.ذ ص65.

* غسان بن جدو: مدير إقليمي ومقدم برامج في قناة الجزيرة /لبنان.

2 – عزي عبد الرحمن وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 2004. ص159.

* غالبا ما يخصص له نصف الوقت، الأمر لا يتعلق بتقديم أخبار حقيقية بل بعرض الشخصيات التي يتم استقبالها طوال اليوم، والتنقلات في الداخل والخارج وإرضاخ المشاهد لصور مملة، كاستعراض القطع الموسيقية لدى المغادرة والعودة من السفر، وتحيات عدد كبير لا ينتهي من الذين يحيّون القائد لدى مغادرته الوطن وتحيات الذين يستقبلونه لدى الوصول.

3- فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، م.س.ذ ص 119.

4- علي محمد حوّات: **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، م.س.ذ ص 89.

وتفسير لواقع الأحداث العربية، فبرامج المرأة مثلا -حسب البطريق- إضافة إلى برامج الشباب والأسرة العربية تنعدم تماما في بعض القنوات، وإن وجدت فهي استعراض لفقرات من برامج لا تمثل الواقع، كل ذلك في مقابل نقل أحداث فنية أو رياضية غالبا ما تكون مباريات لكرة القدم[1]، أما باقي البرامج الأخرى فيمكن أن نعتمد تقسيم الجمّال إلى الفئات التالية:

- **برامج حوارية**: تتجاهل عن عمد القضايا والمشكلات الملحة للشباب العربي، وتدور حول موضوعات تافهة مثل: تدني مستوى الأغنية العربية، أوضاع كرة القدم المحلية، حوارات مع الممثلين والراقصات، وتقديمهم باعتبارهم قدوة للشباب.
- **برامج التسلية والترفيه**: ويغلب عليها أغاني الفيديو كليب الهابطة في كلماتها، ألحانها وأصوات مؤديها، والتي تعرض بأسلوب الاستثارة الجنسية الرخيصة تشير إلى الإسفاف و الانحطاط الأخلاقي وانعدام الذوق والإبداع الذي أصبح مرادفا لإعلام ثقافة الشباب، كما تركز برامج الشباب الجادة -على قلتها- على طلاب الجامعات باعتبارهم يمثلون الشريحة الواعية والقادرة على التحرك سياسيا وتتجاهل بقية شرائح الشباب، حيث تتعمد هذه البرامج تسطيح وعي الشباب بالقضايا العامة والمشكلات المجتمعية[2].

حيث يقول عارف العبد* أن تعاطي الفضائيات العربية مع قضايا الشباب مازال خجولا ومتخلفا، ويعود ذلك حسبه إلى صلته بالثقافة فقد كانت تجربة قناة "زين ZEN" الفضائية التجربة الوحيدة التي قدمت نفسها على أنها فضائية شبابية (كارثية) ومن حسن حظ الشباب أنها قد توقفت والسبب الرئيسي في توقفها هو مستواها المنحدر[3].

---

1 - نسمة أحمد البطريق: **الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي**،م.س.ذ. ص 47.

2- راسم محمد الجمّال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، م.س.ذ ص 156.

* مدير أخبار تليفزيون لبنان، ومدير أخبار تليفزيون المستقبل سابقا ومدير تحرير مركز دراسات الوحدة العربية سابقا/ لبنان.

3- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 206.

ويحدد بن جدو هذه المشكلة في نظرة المحطات الفضائية العربية إلى مشاكل الشباب وقضاياهم والتي وصفها بالسطحية والاستهلاكية كونها لا تتصور قضايا الشباب خارج الموسيقى، الرقص وما شابه ذلك، بينما أن للشباب قضايا حقيقية غائبة عن اهتمام الفضائيات، وهذا يشير إلى أن الشباب العربي على درجة كبيرة من الوعي بينما تقدم له الفضائيات العربية مادة استهلاكية تافهة[1]. وتوافقه في الرأي ياسمين عبد الله** حيث تقول:"...إن الفضائيات العربية تطرح قضايا الشباب بشكل مبسط جدا تغيب عنه المشكلات الحقيقية، فنحن بحاجة إلى برنامج مفتوح خاص بالشباب يتيح لهم الحديث عن تجاربهم، آرائهم ..." وتستأنف قائلة:"...أعتقد أن برنامجا أو سلسلة برامجية حول المخدرات التي تفشت كموضة في أوساط الشباب ستجذبهم أكثر مما تفعله برامج ترفيهية أو غنائية أخرى، خصوصا وأن لهذه الفئة فضولا كبيرا لمعرفة ما يجهلونه." [2]

ويفسر الجمّال ذلك بأن النظم الإعلامية الحكومية العربية لا تتعامل مع قضايا الشباب و مشكلاته من منظور سياسي بحث، فهي لا تهدف إلى تثقيفه، تنشئته أو تربيته على نحو تهيئته لدوره في المجتمع، لكنها تستهدف ترويضه عقليا ونفسيا بما يخدم توجهات هذه النظم نفسها[3].

وهنا يصل بنا الحال إلى الجزم كما قال بن حالة بأن الوضعية الحالية تميز بفائض في القنوات العربية وبعرض قليل التنوع، المشهد التليفزيوني العربي إذا يتميز بعرض تليفزيوني وفير ورديء، لا يوجد فيه مجال واسع للخلق والتجديد، الشبكات البرامجية مشكّلة أساسا من حصص بلاتوهات (Talk -Shows) إعادة بث

1- نفس المرجع السابق 204-205.

** مقدمة برامج في القناة الفضائية المصرية /مصر.

2- عزي عبد الرحمن وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 207.

3- راسم محمد الجمّال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، م.س.ذ ص 157.

الحفلات الغنائية، الأفلام الخيالية، الأخبار(المراقبة جدا) والتي لا تعكس سوى وجهة النظر الرسمية[1].

ويؤكد ذلك مهنا حيث يقول أن المضمون الثقافي الذي تطرحه الفضائيات العربية وتستند إليه يظل حبيس التصور الضيق للسلطة الفعلية في البلدان العربية...حيث يمكن القول بأن ما تقدمه الفضائيات العربية الرسمية لا يعتبر خدمة عامة لأنها في الواقع لا تعكس آراء المواطنين العرب بما يحقق إشباعاتهم المعرفية، بل تمثل آراء النخبة السياسية[2]. ويعود بن حالة للتأكيد بأن الوطن العربي بلا شك قد حقق تطورا ملحوظا على المستوى التكنولوجي بفضل قاعدة البث عبر الأقمار الصناعية عربسات و نايلسات، لكن هذا الوطن العربي الذي تستثمر دوله في التقنيات بشكل واسع، يسجل تأخرا مخزيا فيما يتعلق بمسألة الإنتاج والإبداع[3].

ويربط بعض الباحثين هذان المتغيران ببعضهما فنجد مثلا الدناني يقول أن كثرة الفضائيات العربية (الحكومية والخاصة) وزيادة ساعات البث ترتب عنه إنتاج وتداول مسلسلات وبرامج عربية ذات مضامين ترفيهية ينتج أغلبها في مصر وسوريا ولبنان، لكنها تتسم بالسطحية في معظمها ومحاولات تقليد صناعة الترفيه الأمريكية، فضلا عن قلة الإنتاج العربي من حيث (الكم) فإن هناك أوجه قصور كثيرة من حيث (النوع)، إذ تغلب عليه النزعة القطرية أو المحلية، مضمونا ولغة، كما أن أجواء الإنتاج العربي لا تتوفر فيها القدر الكافي من الحرية لتصوير المشكلات أو التعبير عنها، مما يحول دون إنتاج أعمال راقية[4].

---

1 - فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، م.س.ذ ص119-120.

2 - محمد نصر مهنا: **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية**، م.س.ذ ص382-383.

3 - فؤاد بن حالة: **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، م.س.ذ ص135.

4 - عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 158.

أيضا لاحظ الدناني أن هناك حالة غير طبيعية تعيشها بعض الفضائيات العربية تبدو مظاهرها في حالة الطرب والفرح التي تحتاج إلى إعادة النظر في برامجها من قبل المهتمين بالبث الفضائي العربي خاصة وأننا لا نريد أن تكون نظرة الغرب إلينا بوصفنا مخلوقات راقصة يأخذها الطرب حتى في أحلك الأوقات التي تمر بها الأمة العربية وأكثرها حرجا، إضافة إلى ترويجها المبتذل إلى أنماط هابطة من الغناء: لا تحترم ذوق المتلقي وتداعب غرائزه وسلوكياته، بعيدة كل البعد عن أي ذائقة جمالية، فنجد مثلا نموذج الأغنية العربية التي تبث من خلال بعض الفضائيات العربية قد تغيرت مضامينها كثيرا وأصبح ما يقدم يركز على مظهر المرأة، زينتها وعُريّها، فهبطت قيمة المرأة العربية كإنسانة عاملة، منتجة، لها كيانها، احترامها وحقوقها[1].

فكما قال البحراني:"... ما زال الإعلام العربي مهزوزا بهز راقصاته، وضعيفا يحتضر على فراش الموت، وخاويا إلا من أشعار شعبية ومسابقات أقرب ما تكون إلى التفاهة والسخافة...إنه خطاب يبغي إفراغك من شيئين: عقلك وجيبك!! "[2]. أما فيصل القاسم فيرى أن هذا العدد الهائل من الفضائيات العربية تغريبي بامتياز، ولا يوجد له مثيل في أي ثقافة أخرى، وكأنه مطلوب منا أن نتحول إلى أمة من الراقصين والراقصات، وهو أمر ألمح إليه البروفيسور والإعلامي الأمريكي المعروف عبد الله شلايفر حيث قال: "إن التأثير الإعلامي الأمريكي حوّل العرب إلى أمة من الراقصين على طريقة مايكل جاكسون "[3].

هذا الأمر دفع بعمرو ناصف* إلى الجزم بأن التعامل بموضوعية والالتزام مع القضايا المصيرية هو آخر هموم معظم الفضائيات العربية[4].

1- نفس المرجع السابق ص 136-137.

2- بشير البحراني: **قراءة في واقع الإعلام العربي**،

http://www.annabaa.org/nbanews/62/442.html ، 2006/04/06.

3 - فيصل القاسم: **الإعلام العربي بين العوربة والعولمة**، م.س.ذ

* مقدم برامج سياسية في تليفزيون المنار /مصر.

4 - عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشـية)**، م.س.ذ ص 183.

وهنا وفي ظل قلة الإنتاج وزيادة عدد القنوات الفضائية العربية بأنواعها وتزايد ساعات الإرسال وارتفاع درجة التنافس وتوسيع النشاطات والاختصاصات، فإن هناك عدة عوامل تحد من زيادة حجم الإنتاج السينمائي العربي حددها الدناني في:

- افتقاد الكثير من الإنتاج العربي إلى المضمون الجيد الذي يستمد من العمق الحضاري للأمة العربية، بالإضافة إلى النمطية التي ترافق الفضائيات العربية على الدوام.
- عدم وضوح الأهداف والوظائف وقلة الإنتاج البرامجي العربي تؤدي غالبا إلى استحالة وضع خطة برامجية شاملة ومتوازنة قادرة على تحديد نسب متوازنة للمواد والبرامج المختلفة حسب أولويات المجتمع العربي وتنميته، وتجنب الإفراط في اهتمامات على حساب اهتمامات أخرى*.
- برامج بعض الفضائيات العربية غالبا ما تكون مهيأة للمشاهد للاستهلاك المحلي (القطري)، وغير قابلة لإعادة عرضها على المشاهد العربي والأجنبي، إما أنها تهم مجتمعاً محلياً ضيقاً كقضايا وأخبار القطر الذي تبث منه القناة الفضائية إرسالها، أو أنها تروّج لسياسة النظام الذي يموّلها[1].

من الجدير بالذكر هنا أن سياسة الرقابة العربية على المواد المستوردة قد بلغت شوطا كبيرا من "التطور" منذ انطلاقة البث التليفزيوني عام 1960 في مصر، إذ تم اختزال مفهوم المحظور هنا إلى أضيق الحدود، بل إن الثقافة المنحلة والإباحية أصبحت تُعرض بشكل سافر دون أن تمر على أي مقص للرقيب، فقد بات من الممكن لهذه القنوات وغيرها بث الأفلام والمسلسلات والبرامج التي تروّج للجنس والإباحية بكل صراحة ودون أي حرج[2].

---

* في اجتماعات الدورة ال 25 لوزراء الإعلام العرب الذي عقد بالقاهرة عام 1999، أقر الوزراء العرب دعم وتطوير الإنتاج الإعلامي في مجالاته المختلفة، فضلا عن اعتماد إنتاج مسلسل عربي عن الحضارة العربية تقدّر تكاليفه بأكثر من مليون دولار أمريكي ولكن هذا المشروع لم ير النور وظل حبرا على ورق.

1 - عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 160-163.

2- أحمد دعدوش: **الإعلام الفضائي العربي: العلمانية في قعر ديارنا**، http:/www.alqlm.com/index.cfm ?method=home.con &content ID=266، 2008/04/06.

- ❖ **السعي وراء الربح المادي:** يقول الدجاني** كل الفضائيات العربية تفتقر إلى الصدقية، والكل يشك بها، فالربح المادي هو الذي يقف خلف تكاثرها من دون أن ينف ذلك وجود فضائيات لأهداف سياسية لا ربحية، ذلك أن معظم الفضائيات هي من النوع الترفيهي الذي يعتمد بصورة كاملة على شراء البرامج الغربية المنتجة، أو على إنتاج يقوم على تقليد سيئ للغرب، وكل ذلك هدفه الربح ولا شيء غير ذلك، وجميع هذه الفضائيات لا تخدم مجتمعاتها حيث يصرّح بأنه يشك في وجود فضائية عربية واحدة تضع تلك الخدمة ضمن خطة أهدافها[1].

ويواصل: "...إن الهدف من إنشاء الفضائيات هو تحقيق ربح مادي أو سياسي وليس خدمة المواطن، فلا نجد مفهوم التخطيط الإعلامي الذي يحتاج إليه العمل الثقافي، ولذلك ينظر القائمون على هذه الفضائيات إلى الثقافة بشكل سطحي، أو على أنها ليست أمرا مهما، فضلا على أن الاهتمام بها يحتاج إلى دعم مادي أكبر، ومن هنا يجد هذا الباحث أن معظم البرامج الثقافية المنتجة تتميز بالهبوط "، ليخلص في النهاية إلى أن الثقافة في الفضائيات العربية شيء ثانوي، كونها لا تؤمن أصلا بمفهوم المسؤولية الاجتماعية، وحاصل ذلك أنها تعمل ما تريده وبراحة تامة[2].

أي أن تأسيس معظم الفضائيات العربية لم يكن نتيجة لوجود حاجة موضوعية وملحة لتوصيل صورة البلد إلى الخارج، ولم توجد أيضا بدافع إدراك الحكومات أو النخب العربية لأهمية إنتاج وبث الصور كرهان ثقافي وحضاري، وإنما تأسست الكثير من هذه المحطات بدوافع محلية صرفة، لا تختلف كثيرا عن دوافع تأسيس المحطات التقليدية المحلية، بالرغم من اتساع الإطار الجغرافي والبشري لذلك تسابقت الدول العربية إلى إنشاء قنوات تتميز بأساسيات وخطط

** أستاذ الإعلام وباحث في الجامعة الأمريكية ببيروت/ فلسطين .

1 - عزي عبد الرحمن وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 173.

2 - نفس المرجع السابق. ص 198-199.

برامجية شاملة وعدم وضوح الأهداف وإهمال الجمهور وعدم الأخذ برأيه وحاجاته بعين الاعتبار[1].

وحول هذه المسألة يقول الإعلامي عايد المناع:"...لم يتغير خطابنا الإعلامي في الألفية الثالثة عنه في مطلع ومنتصف القرن العشرين الماضي، فمازال هذا الخطاب عاطفيا وتحريضيا ومفتقدا إلى الموضوعية" مشيرا إلى أن ما يحدث على القنوات الفضائية العربية هو الشاهد على ذلك. ومن ناحيته أكد الإعلامي عبد الباسط عبد الجليل* :"...إن الخطاب الإعلامي العربي لا يملك أهدافا وثوابت تتمتع بمصداقية وعليه لا توجد إستراتيجية واضحة أو حتى رؤية للأمد القصير"[2].

فباستثناء المضامين الإعلامية الجديدة التي تبثها القنوات الفضائية الإخبارية والقنوات الفضائية المستقلة التي تبث من خارج الوطن العربي، يجنح الخطاب الإعلامي القومي الذي تبثه وسائل الإعلام العربية إلى التعبير عن الإحباط، خيبة الأمل، وعدم القدرة على طرح بدائل للاستجابة القومية للتحديات التي تواجه الدول العربية فنجد مثلا:

1- غياب الواقع العربي سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا، فهناك العديد من القضايا المحورية التي لا تلقى الاهتمام الكافي مثل القضايا البيئية، قضايا المرأة، التعليم، التربية، الشباب...[3] أو بعبارة أخرى تجميل الوجه القبيح للحضارة الغربية فكما يقول حمدي قنديل:" المعروف أن القردة هي التي تقلد الإنسان، ولكن إنسان العالم الثالث اختار أن يقلد قردة أوروبا!!"[4] ويذهب الدجاني إلى

---

1 – بوقرة رضوان: بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية، م.س.ذ ص 106.

* أستاذ في جامعة الكويت.

2- الخطاب الإعلامي العربي...مبالغة مفرطة، تسرّع بوعود الانتصار وتغذية لعواطف الجمهور، http://www.annabaa.org/nbanews/19/111.html، 2008/04/06.

3- نسمة أحمد البطريق: الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي،م.س.ذ. ص49.

4- ختام محمد : الفضائيات العربية نعمة أم نقمة؟، م.س.ذ

أبعد من ذلك حيث يرى أن الفضائيات العربية بدلا من أن تنتج برامج تتوجه إلى مشكلات مجتمعاتها، فغنها تعمد إلى تقليد الفضائيات الأجنبية، وتتبنى من خلال ذلك أولوياتها فتصبح مشاكل الغرب مشاكلها كالإرهاب، التلوث البيئي، وما شابه ذلك بينما التلوث الحضاري- الثقافي هو الأخطر، فالفضائيات تتبنى شيئا فشيئا النظرة الأمريكية والغربية في طرحها[1]، فإذا كان الإعلام في الغرب يركز وربما يصطنع قصصا تراجيدية يخاطب فيها مشاعر شعبه والشعوب الأخرى وفي كل الأحوال، فإن إعلامنا ببغائي بطبعه، فإذا اهتم الإعلام الغربي بالضحايا الأبرياء في فرجينيا، اهتم الإعلام العربي بهم، وعندما اهتم الإعلام الغربي بقضية البحارة البريطانيين الذين اعتقلتهم إيران في مياهها الإقليمية في شهر مارس 2007 اهتم إعلامنا بتلك القضية، بينما الأسرى العرب في السجون الإسرائيلية في سلة المحذوفات الخاصة بالإعلام العربي... تقليد سياسي واجتماعي وثقافي وفني لكل ما يفرزه الإعلام الغربي بدون مراعاة للواقع المحلي وقيمه*[2].

ويواصل الدجاني قوله بأن الفضائيات العربية لا تتعامل مع القضايا القومية انطلاقا من منظور ملتزم بهذه القضايا، بل إن منظورها قطري تطغى عليه التبعية للمنظور الأمريكي، بحكم تأثر كل النظم العربية بالأمريكيين[3].وهنا نقف أمام ملاحظة مهمة أوردها فيصل القاسم حول هذه المسألة حيث أنه لو ظل الاستنساخ محصورا في دائرة الصيغ والأطر لقلنا أن تركيبة البرامج الغربية مغرية

1- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 150.

* فمثلا أخذت إحدى محطات التليفزيون العربية قبل فترة ولمدة تزيد عن الشهرين، على عاتقها تقديم تقرير في كل ليلة يتابع المستجدات اليومية في قضية وفاة ممثلة أفلام إباحية أمريكية ثرية، وعن مأساة ابنتها الرضيعة التي يتنازع في المحاكم أكثر من رجل –عاشر الأم– على أبوتها، وكل يدّعي أنه الأب الحقيقي لها طمعا في الشهرة والمال.

2- بشير البحراني: **قراءة في واقع الإعلام العربي**، م.س.ذ.

3- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 183.

ومن الصعب مقاومة اقتباسها، لكن المشكلة أننا بتنا نعالج قضايانا السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية من منظور غربي، فالبرامج الإخبارية السياسية مثلا غدت نسخة طبق الأصل عن البرامج الغربية ذات الشكل الديمقراطي من حيث تناول الموضوعات[1].

وبالتالي، ولأن هذه القنوات عملت على عكس الواقع الغربي بدلا من تغييره، فهذا الواقع هو الذي رسم صورتها وحددها كما يلي:

- إعلام ركيك، لا عقلاني وتبريري، يحرص على إشاعة الامتثالية للسلطة أكثر من حرصه على تعزيز الهوية والثقافة، يستخدم القيم الثقافية لتحقيق أهداف فئوية متباينة ويحرص على أمن الدولة أكثر من حرصه على أمن مواطنيه[2].

2- غياب الثقافة العربية الأصيلة وعدم تناولها وتفسيرها في المضمون الثقافي والإعلامي مثل الكتب، السينما الجادة، المسرح، الفنون الشعبية المتقنة، في مقابل التركيز على بعض البرامج السهلة مثل الفيديو كليب، المسلسلات التي تصل إلى 40٪ من مجموع عدد ساعات الإرسال[3]. وفي نفس الصدد يلاحظ مصطفى المسناوي* أن التعامل العربي مع التليفزيون أو مع الفضائية يتم وكأنه مجرد وسيلة ترفيهية، فكثير من البرامج "الترفيهية" تتميز بارتفاع مستواها التقني والجمالي الجذاب، لكن عند العودة إلى موضوع المضمون المقدم نلاحظ أن مشاهدتها مضيعة للوقت[4]. فالأداء النمطي يجعلك إما زاهدا في الرسالة الإعلامية وإما قلقا حائرا تدفعه غريزة المشاهدة وغليان الدم في المخ لتقليب كل

1- فيصل القاسم: **الإعلام العربي بين العوربة والعولمة**، م.س.ذ

2- بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، م.س.ذ ص 107.

3- نسمة أحمد البطريق: **الإعلام والمجتمع في عصر العولمة :دراسة في المدخل الاجتماعي**،م.س.ذ. ص49.

** أستاذ السمعي-البصري في جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء/ المغرب.

4- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 177.

العجين الفضائي ، وليس أمامك سوى حلين إما غلق الجهاز أو الاستسلام الكسول والمستلب للوجبات السريعة الساخنة التي تصلك أو بالأحرى تغزوك وتقتحمك دون إرادة منك...إنها ديمقراطية قصف العقول ونفي كافة الأشكال لتسييد النمطية[1].

ويستأنف المسناوي قائلا بأن استقبال البث الفضائي في الوطن العربي في هذا السياق تتميز بغزو شامل لصورة الآخر غير العربي، كما تبرز مشكلة تتمثل – حسبه- في طبيعة أو نوعية البث في الفضائيات الموسيقية، فهي تبث الأغاني التي تحولت لديها إلى صور، رقص، نغم أو لحن لم يتعود عليه جيلنا، كما أن أغانيها- وهذا هو الأخطر- تزاوج ما بين الألحان الجديدة والألحان الأجنبية الصاخبة، الأمر الذي انعكس على اهتماماتهم بالقضايا القومية العربية، ماعدا في بعض اللحظات الاستثنائية مثل لحظة الحرب على العراق أو الانتفاضة في فلسطين[2].

أما ما تبقى من المساحة الزمنية المخصصة للبث فتوزع على بقية البرامج التي لا تحظر بالاهتمام الكافي وباختيار الوقت المناسب، والمساحة الزمنية الكافية لتحقيق أهدافها كالبرامج الثقافية، الدينية، العلمية والصحية التي تمر مرور الكرام[3].

ويعود حسن الزياتي* لفكرة أن الفضائيات العربية لم تستطع بلورة مفهوم إعلامي خاص بها، إذ يشكل الإعلام الغربي إلى حد بعيد مصدر ما يتم تداوله فيها**، وهذا ما أوقع الإعلام العربي في فخ الرؤية السيكولوجية الأمريكية

1 – ديمقراطية الخلاعة الفضائية، م.س.ذ

2- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 187-188.

3- عبد الملك الدناني:**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 152.

* أكاديمي وباحث في الجامعة الأمريكية بالشارقة/ تونس.

** بالإضافة إلى الإعلانات، المسابقات، اللقاءات مع نجوم الفن، بالأخص الفنانات العاملات في مجالات الفنون المختلفة، ناهيك عن أطروحات الأبراج، التنجيم وأقوال العرافين.

الإعلامية للآخر[1]. وأُعتبر الإعلام الفضائي العربي يعاني من أزمة هوية حادة في ظل العولمة الإعلامية بسبب استناد ثقافة العاملين بها لثلة معايير وقيم غربية لا صلة لها بالثقافة العربية الإسلامية، ولا تراعي خصوصيات الثقافة الوطنية للشعوب العربية، بالإضافة لدخول مستثمرين عرب في هذا المجال همهم الأول والوحيد تحقيق فوائد تجارية ربحية دون اعتبار للجانب المعنوي[2].

ويعلل عمرو ناصف ذلك بالقول:"...إن معظم فضائياتنا ابتليت بما ابتليت به الأحزاب العربية من ناحية الابتعاد عن الجماهير والجهل بمشاكلها الحقيقية أو ما يسمى إعلاميا باضطراب الأجندة الإعلامية، وهنا نقع في فخ المعادلة الإعلامية الكلاسيكية من ناحية خلطها بين ما يريده هذا الجمهور، وبين ما يحتاج إليه، وتراهن للاستسهال على ما تظن أن الجمهور يريده من ناحية نوعية الأغاني، المسلسلات، وتخفيف نسب البرامج الثقيلة والجادة، بينما الفضائيات التي تلعب على وتر ما يحتاجه الجمهور قليلة ولا تكاد تتجاوز 05 أو 06 قنوات فقط "، بعدها يتساءل: **كيف نكسب الجمهور؟** هذه هي المسألة الأساسية في الفضائيات، ويستغرب في ذات الوقت للشعبية الغريبة التي تتمتع بها الفضائيات المهتمة بما يريده الجمهور، رغم كل ما فيها من تسطيح[3].

وحول هذه النقطة يقول وزير الإعلام اليمني "حسين العواضي" : "إن الفضائيات العربية لم تصل بعد إلى الطموح الذي ينشده المشاهد العربي لأنها أسرفت كثيرا في برامج التسلية...، كما أن بعضها يساهم بشدة في نشر أفكار ومغريات غربية، وكرست برامجها المختلفة لخدمة أهدافها الجديدة، ويأتي في

1- عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 196.

2 - **الفضائيات العربية تكرس الثقافة الغربية وتقوّض اللغة العربية...دراسة تطالب بوضع حلول جذرية**، http://www.annabaa.org/nbanews/15/47.html. .2008/03/17 ،

3 -عزي عبد الرحمان وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 174.

طليعة هذه البرامج قنوات: LBC، MBC، ORBIT، NILE TV، المستقبل وغيرها من الفضائيات العربية الأخرى التي تبث الإعلانات والدعاية وتعرض المنتجات الغربية، وتنشر ثقافة المسلسلات المدبلجة التي يزيد عدد حلقات المسلسل الواحد منها عن 100 حلقة"[1].

3 - لا تزال صورة العربي المتداولة في الفضائيات العربية محكومة بالتنميطات الأمريكية التي تركز بشكل أساس على عناصر صورة الراقصة الشرقية، والفتاة الشامية الجميلة، وصورة الإرهابي العنيف، والمليونير الخليجي الذي لا يعرف أين يصرف ثروته وأمواله الطائلة[2].

4- لقد مر الإعلام العربي بتجارب كثيرة كان يغلب على معظمها الفشل، بسبب غياب التخطيط والمتخصصين والافتقار إلى إستراتيجية واضحة، إضافة إلى عدم ضخ الأموال الضرورية للإنفاق على الحملات الإعلامية خاصة فيما يتصل بالقضايا القومية، وما تتطلبه هذه القضايا من يقظة واستمرارية وقدرة على الإقناع، سيما على الساحة الغربية التي كانت دائما ساحة غير مؤيدة لأمتنا، حضارتنا ومشروعنا الاستقلالي التحرري، فمما أعاق الإعلام العربي ومسيرته هو أنه كان ضحية للخلافات السياسية العربية، حيث لم تنجح الدول العربية في جعله بمنأى عن هذه الخلافات، بل تم توظيفه في خدمتها، وتأجيج نيرانها، فنجده اليوم إعلاما مشغولا جدا بالأمور الصغيرة، المصالح الفئوية، والقطرية الضيقة[3].

5- يفتقر الأداء الفضائي العربي إلى حد كبير إلى الحرية بمفهومها الليبرالي، وما هو موجود منها محكوم بأجندة الفضائية، وموجه لأهداف معينة، فمفهوم

1- عبد الملك الدناني: **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، م.س.ذ ص 153-154.

2 - بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، م.س.ذ ص 107-108.

3- تيسير أبو عرجة: **قضايا ودراسات إعلامية**، م.س.ذ ص19-20.

الحرية في النظام الإعلامي العربي محكوم بثلاثة أنواع من الرقابة يجب التمييز بين مستوياتها هي الرقابة الأجنبية، السياسية والذاتية.

تأثيرالنوع **01**: في الأداء الفضائي ليس مباشرا، وإن أخذ في الآونة الأخيرة بعض الأشكال المباشرة في الضغوط.

بينما تأثير النوع **02**: يطال الإعلامي كما المتلقي الذي يعبّر عن تشكيكه في صدقية القناة في استطلاعات الرأي العام المختلفة.

أما تأثير النوع **03**: فيتعلق بالسياسات العامة للدولة، بما في ذلك الرقابة العامة على المضامين غير السياسية التي تثير مسألة التدخل الداخلي قياسا على التدخل الخارجي[1].

6- اعتماد العديد من الفضائيات العربية على استعمال المبالغة والخطب الرنانة بهدف الاستهلاك المحلي، مما جعل البرامج العربية تبقى رغوا ودعاية لا تقنع إلا السّذج، عاجزة لا تستطيع مواجهة البرامج التي تظهر في القنوات الأجنبية[2].

7- بعض القنوات العربية لا تعطي حق الاتصال وحرية التواصل، مما يؤدي إلى ضيق هامش الحريات، وتوجيه البرامج وإعدادها بمعزل عن الاهتمام برأي المتلقي، وهذا لا يتيح عقد الصلة معه، أو إنعاش الحوار معه، حيث يشعر المتلقي أحيانا بوجود جدار أو غلالة بينه وبين المرسل، مما لا يفسح المجال لمناقشة مشاكل المجتمع مثلا[3].

ومما يؤسف له أن الانتماء إلى الكيانات القطرية والسيادات الوطنية والإعلاء من شأن القادة المحليين وتركيز سلطتهم والإشادة بانجازاتهم، أصبح الوظيفة الأساسية للإعلام العربي، وجسّد بامتياز السمات السلبية في إعلامهم،

---

1 - بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، م.س.ذ ص 107.

2 - عبد الباسط سلمان:**عولمة القنوات الفضائية**،م.س.ذ. ص58.

3 - محمد نصر مهنا : **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية**، م.س.ذ ص375.

وكتحصيل حاصل اتجه قادة العرب إلى إيلاء الأهمية العظمى لأمن أنظمتهم أكثر من أمن الأمة وشخصيتها

وقضاياها المصيرية*... فلا وجود لإستراتيجية إعلامية عربية للدفاع عن الذات ومواجهة التحديات الخارجية.

قال عبد الرحمان الراشد*: "... إن الإعلام العربي تحوّل من بقرة حلوب تخدم المجتمع إلى حصان شارد يريد البعض أن يكبحه". وردّ عليه عبد الفتاح طوقان:"... الإعلام العربي ليس ببقرة ولا حصان، إنه إعلام مصاب ب << الفلات فووت>> أي القدم المفلطحة، التي لا تسمح له بالسير لمسافات ويُعفى صاحبها من الخدمة العسكرية في بعض الدول، ومن لم يصب بالفلات فووت الإعلامي أطلق الرصاص على رجليه بنفسه ليعفى من الخدمة"[1].

وفي نهاية هذا التقييم نوّد الانطلاق من هذه الملاحظات لطرح ثلاثة تساؤلات عن الفضائيات العربية من خارجها، أي من ناحية علاقاتها بالثقافة والمجتمع وهي:

❖ **هل من الضروري أن يكون لدينا في الوطن العربي كل هذا الكم من الفضائيات؟**

يوحي هذا الكم بظاهرة التعددية، لكن هذه التعددية في النهاية ليست إلا تعددية للواحد، ففي فضائياتنا لا تتم تلبية جميع رغبات المشاهدين، بمعنى

---

* ولعل أفضل الصور المعبرة التي تترجم ذلك نجدها في النجاح منقطع النظير لاجتماعات وزراء الداخلية العرب، والإهمال الشديد لوزراء الإعلام أو الثقافة (اجتماعاتهم)، أو حتى مساعديهم على الرغم من وجود القيم والقضايا المشتركة والتاريخ المشترك والحاضر والتطلع نحو المستقبل المشترك!!!.

* في محاضرته في مؤتمر "الإعلام العربي في عصر العولمة"، والذي جمع في أبو ظبي الإعلاميين الكبار من الدول العربية.

1- عبد الفتاح طوقان: **الإعلام العربي المسطح**، http://old.amin.org/views/uncat/2005/jan/jan161.html .2008/04/06 ،

أن المشاهد يرى الشيء نفسه على مستوى المجالات الإخبارية أو الدرامية في القنوات التي ينتقل بينها.

- ❖ **يتعلق بتجربة المشاهدة:** بمعنى استهلاك التليفزيون لوقت المواطن العربي بغض النظر عما يبثه، وتحوّله إلى بديل عن السينما والمسرح والعلاقات الاجتماعية، فتحوّلت الفضائيات هنا من نافذة على الحياة إلى بديل عنها، حيث تمارس الصورة المرئية إغراءا كبيرا لدينا بسبب عدم توّطد الثقافة المكتوبة في مجتمعاتنا، حيث انتقلنا مباشرة من عصر الثقافة الشفهية إلى عصر الثقافة السمعية البصرية متجاوزين عصر الثقافة المكتوبة.
- ❖ **يتمحور حول عشوائية التواصل بين المشاهد والفضائيات:** بمعنى أن المشاهد يفتح التليفزيون ويقلّب بين القنوات من دون معرفة برامجها، الأمر الذي يؤدي إلى تشتت الفرجة وعشوائيتها وعدم اعتناء الفضائيات العربية بالمتلقي، وكأنها تتحدث عبر الفضاء دون أن تعرف بالضبط ماذا سيكون رد فعل هذا المتلقي؟ وما هي نتائج عملها عليه؟[1].

خصوصا مع ما أسماه الجمّال عن حالة البث الفضائي العربي ب "**سوق عُكاظ الفضائي**"، هذا السوق –سوق عُكاظ- الذي اشتهر به العرب في جاهليتهم: عارضون كثيرون، خطباء كثيرون، وشعراء كثيرون ويبقى المواطن العربي هو السيّد في الحكم، الاختيار والتقدير[2].

أو ما أسماه أبو عرجة بـ "**الزحام الفضائي**" الذي يفيد أقلّه ويدخلنا معظمه في متاهات السطحية والعبثية، والذي لم نستطع أن نحكم عليه من زاوية واحدة فعلا، حيث كانت له إيجابياته المعلومة وسلبياته الكثيرة فإن حالة إعلامية تتشكل، لم يكن لدينا دراية بحجم ما ستحمله إلينا مما هو ماثل أمامنا، هذا الزحام الفضائي الذي يقدم إعلاما جديدا، فيه نقلة نوعية كبيرة على صعيد الخبر

1 -عزي عبد الرحمن وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، م.س.ذ ص 153-154.

2- راسم محمد الجمّال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، م.س.ذ ص 136-137.

والصورة، البرنامج الحواري، المواد الخفيفة والترفيه الذي سار إلى أبعاد واسعة من الإثارة[1].

وهكذا فالإعلام الفضائي العربي يعيش تحديات كبيرة في ظل ما يسمى بعصر العولمة أو لنقل الأمركة الإعلامية والثقافية، لكن في نهاية هذا الفصل لابد من التنويه عن ملاحظة استوقفتنا لوقت طويل، وهي تستدعي التأمل في فحواها وتقليبه ذات اليمين وذات الشمال، هذه العبارة أوردها الجمّال حيث يقول: **"يُلاحظ أن أكثر القنوات الفضائية ابتذالا محسوبة على أكثر الأنظمة العربية محافظة!!"**[2].

فما معنى هذا ؟.

1 -تيسير أبو عرجة: **قضايا ودراسات إعلامية**، م.س.ذ ص21.

2- راسم محمد الجمّال: **الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، م.س.ذ ص156.

ملخص الفصل الثالث:

في هذا الفصل الأخير حددنا وسائل الإعلام في القنوات الفضائية العربية وقد عالجنا هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث أساسية هي: المبحث الأول تطرقنا فيه إلى دوافع نشأة هذه القنوات الفضائية العربية مقسمين هذه الدوافع إلى قسمين: أولا وجود القنوات الفضائية الأجنبية بالمنطقة العربية والتأثيرات السلبية التي مارستها على المشاهدين العرب وعلى مختلف الأصعدة، والدافع الثاني هو إنشاء الشبكة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) والتطور الواضح الذي عرفه نظام عربسات بإطلاق أجيال جديدة منه ثم إنشاء مؤسسات عربية أخرى للاتصالات الفضائية.

بعدها يأتي المبحث الثاني والذي استعرضنا فيه مراحل تطور القنوات الفضائية العربية في مختلف الدول العربية على أساس الترتيب الكرونولوجي: مصر، السعودية، الكويت، الإمارات، تونس، المغرب، الأردن، الجزائر، موريتانيا، البحرين، السودان، سوريا، لبنان، اليمن، ليبيا، قطر، سلطنة عُمان والعراق، كما شرحنا قليلا أهم المضامين التي يقدمها البث الفضائي العربي وأهم التقسيمات والأنماط التي يمكن أن تُصنف بها الفضائيات العربية.

وأخيرا نصل إلى المبحث الثالث المتعلق بالمشهد الثقافي والإعلامي في هذه القنوات العربية مبرزين الدور الإيجابي والسلبي الذي تلعبه هذه القنوات، حيث حددنا هذا الأخير(أي السلبيات) في بعض الملاحظات وهي: قلة الإنتاج، السعي وراء الربح المادي، ...مدعمين ذلك ببعض الملاحظات والشهادات لعدد من المختصين والمهتمين بمجال السمعي البصري خاصة منهم المهتمين بالبث الفضائي العربي وذلك في ظل الزحام الفضائي أو سوق عكاظ الفضائي الذي تشهده الساحة الإعلامية العربية في وقتنا الراهن.

لنختم هذا الفصل بملاحظة تصلح أن تكون إشكالية لدراسة جديدة في هذا المجال، وهي: " **لماذا تُحسب أكثر القنوات الفضائية العربية ابتذالا على أكثر الأنظمة العربية محافظة؟** ".

المصادر والمراجع

أ- الكتب:

أ- 1- الكتب باللغة العربية:

1- أبو إصبع (صالح): **تحديات الإعلام العربي: دراسات الإعلام: المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية**، دار الشروق، الطبعة الأولى، الأردن، 1999.

2- أبو عرجة (تيسير): **قضايا ودراسات إعلامية**، دار جرير، الطبعة الأولى، الأردن، 2006 .

3- إسماعيل حسن (محمود): **مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2003.

4- الباهلي عبد العزيز (محمد): **التليفزيون والمجتمع**، مكتبة المسار، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، 1990.

5- الببلاوي (حازم): **علم المستقبل: على أبواب عصر جديد**، دار الشروق الطبعة الثانية، مصر، 1983.

6- البطريق أحمد (نسمة) :**الإعلام والمجتمع في عصر العولمة: دراسة في المدخل الاجتماعي**، دار غريب، مصر، 2004.

7- البيطار (نديم): **هل يمكن الاحتكام إلى الولايات المتحدة في النزاع العربي الإسرائيلي؟**، دار بيسان، الطبعة الثانية، لبنان، 2000 .

8- الجابري عابد (محمد): **المسألة الثقافية**، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 1994 .

9- الجمال محمد (راسم): **الاتصال والإعلام في العالم العربي**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مصر، 2006.

10- الجندي (أنور): **الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية**، مكتبة الأنجلو- مصرية، مصر، 1961.

11- الجويلي(الطيب): **البث الإعلامي عن طريق الأقمار الصناعية و الإعلام العربي**، دار المسيرة، الطبعة الأولى، لبنان، 1991.

12- الحلواني (ماجي): **مدخل إلى الإذاعات الموجهة**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، مصر، 1983 .

13- الدليمي عبد الرزاق (محمد):**عولمة التليفزيون**، دار جرير، الطبعة الأولى، الأردن، 2005 .

14- الدناني (عبد الملك) :**البث الفضائي العربي وتحديات العولمة الإعلامية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2006 .

15- الصادق (رابح):**الإعلام والتكنولوجيا الحديثة**، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

16- العايد عبد الله (حسن): **أثر العولمة في الثقافة العربية**، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 2004.

17- العقاد (ليلى): **علم الاجتماع الإعلامي ومناهج البحث الإعلامي**، المطبعة الجديدة، سوريا، 1986 .

18- العوا سليم (محمد) وآخرون: **خصائص الثقافة العربية الإسلامية**، دار السلام، الطبعة الأولى، مصر، 2006 .

19- العياضي(نصر الدين):**وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع:آراء ورؤى**، دار القصبة، الجزائر، 1998.

20- الميلي (محمد): **حق المعرفة وحق الأمل**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان، 2000 .

21- الندوي أبو الحسن (علي): **الصراع الفكري بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار الهدى، الجزائر، 2006 .

22- الهادي محمد (محمد): **أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية**، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، مصر، (د.ت).

23- الهاشمي هاشم (مجد): **الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل**، دار المستقبل، الأردن، 2001.

24- بناسي (أحمد): **دراسات في الإسلام واللغة العربية**، تقديم: أبو عمران الشيخ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2004.

25- بن حالة (فؤاد): **صدمة الاتصال الشمولي: الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي**، ترجمة: أحمد عظيمي، منشوراتANEP، الجزائر، 2005.

26- بوجلال (عبد الله)وآخرون: **القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري**، دار الهدى، الجزائر، (د.ت).

27- تار (زولتان): **النظرية الاجتماعية ونقد المجتمع (الآراء الفلسفية والاجتماعية للمدرسة النقدية)**، ترجمة وتعليق: علي ليلة، المكتبة المصرية، مصر، 2004 .

28- حجازي عبد الواحد (محمد): **الثقافة العربية ومستقبل الحضارة**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2000.

29- حجازي (مصطفى): **حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، المغرب، 1998.

30- حنفي طه (محمد): **أبناؤنا ولغة الكوتشي والكتشاب**، سلسلة سفير التربوية، العدد 22، دار سفير، مصر، 1997.

31- حوات علي (محمد): **الإعلام الصهيوني وأساليبه الدعائية**، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، مصر، 2001.

32- حوات علي (محمد): **العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، مصر، 2002 .

33- حوات علي (محمد): **قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر: مخاطر الغزو الثقافي والإعلامي في الوطن العربي**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، مصر، 2005 .

34- خريسان علي (باسم): **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، لبنان، 2001 .

35- خليل (حامد): **الحوار والصدام في الثقافة العربية المعاصرة**، دار المدى، الطبعة الأولى، سوريا، 2001 .

36- ديفلر (ملفين) و روكيش بول (ساندرا): **نظريات وسائل الإعلام**، ترجمة: كمال عبد الرءوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، مصر، 1999.

37- ذهبية محمود (محمد): **الإعلام المعاصر**، دار أجنادين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، 2007 .

38- ريفرز (وليام) وآخرون: **الاتصال الجماهيري والمجتمع المعاصر**، ترجمة: أحمد طلعت البشبيشي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005.

39- زيان عمر (محمد): **البحث العلمي: مناهجه وتقنياته**، دار الشروق، الطبعة الرابعة، السعودية، 1983 .

40- سلمان (عبد الباسط): **عولمة القنوات الفضائية**، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، مصر، 2005 .

41- شلبي (كرم): **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الشروق، الطبعة الأولى، مصر، . 1989.

42- شمو علي (محمد):**تكنولوجيا الفضاء وأقمار الاتصالات**، دار القومية العربية للثقافة والنشر، مصر، 1999 .

43- صبور صادق (محمد): **مستقبل الحضارة الإنسانية**، دار الأمين، الطبعة الأولى، مصر، 2001.

44- ضاهر (مسعود): **مجابهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني: دراسة في الثقافة المقاومة**، منشورات المجلس القومي، الطبعة الأولى، 1989 .

45- عبد الحميد (محمد): **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، عالم الكتب، الطبعة الثانية، مصر، 2000 .

46- عبد الغني سعيد (أمين): **الثقافة العربية و الفضائيات: رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي**، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2003.

47- عبد الوهاب محمد (عبد الباسط): **استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتليفزيوني: دراسة تطبيقية وميدانية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2005.

48- عريفج (سامي) وآخرون: **مناهج البحث العلمي وأساليبه**، دار مجدلاوي، الطبعة الثانية، الأردن، 1999 .

49- عزي (عبد الرحمان): **الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية: بعض الأبعاد الحضرية**، دار الأمة، الجزائر، 1995 .

50- علي (نبيل): **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، 2001.

51- عيساوي (أحمد) وآخرون: **الثقافة الوطنية وتحديات العولمة**، شركة مزوار للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.

52- عيسوي (عبد الرحمان):**الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي**، دار النهضة العربية، لبنان، 1984 .

53- فوكوياما (فرانسيس): **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، مصر، 1993.

54- فيلشس(لورينزو) :**التليفزيون في الحياة اليومية**، ترجمة: وجيه سمعان عبد المسيح، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

55- قايدي (علي)، بن عزوز (يزيد): **دليل الباحث المبتدئ: تقنيات تحضير البحوث العلمية والمذكرات والرسائل الجامعية**، مراجعة: بلقاسم بروان، دار cogito، الجزائر، (د.ت).

56- ليلة (علي): **شبابنا آمالنا: الثقافة العربية والشباب**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، مصر، 2003.

57- مراد (عبد الفتاح): **موسوعة البحث العلمي وإعداد الرسائل والأبحاث والمؤلفات : انجليزي- فرنسي- عربي- شرعي**، دون دار نشر، مصر، 1999 .

58- مركز زايد للتنسيق والمتابعة: **الثقافة العربية في ظل التحديات المعاصرة**، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

59- مصباح (عامر): **علم الاجتماع: الرواد والنظريات**، دار الأمة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005.

60- مهنا نصر (محمد): **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية**، المكتبة الجامعية، مصر، 2003 .

61- نجم عبد العاطي (طه): **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005.

62- ندا منصور (أيمن): **دراسات في الاتصال الكوني**، دار النهضة العربية، مصر، 2005.

63- هنتغتون (صمويل): **صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**، ترجمة: طلعت الشايب، دار سطور، الطبعة الثانية، مصر، 1998.

64- هويدي (فهمي): **تزييف الوعي**، دار الشروق، الطبعة الثانية، مصر، 1992.

65- ياسين (السيد): **الكونية والأصولية وما بعد الحداثة: أسئلة القرن الواحد والعشرين**، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، مصر، 1996.

أ- 2- الكتب باللغة الأجنبية:

1- Bertrand (Jean –Claude) : **Les medias aux états unis**, Que sais je?, Presses universitaires de France, Paris, 1987.

2- Breton (Philippe) et Proulx (Serge): **L'explosion de la communication : la naissance d'une nouvelle idéologie**, édition la découverte, Paris, 1993.

3- Chomsky (Naom) et Mc chesmey (Robert): **Propagande, médias et démocratie**, les éditions El hikma, Algérie, 2000.

4- Dahmani (Mohamed): **L'occidentalisation des pays du tiers monde : mythes et réalités**, o.p.u et économica, paris, 1989.

5-. Dennis (Everette) et Merrill (John):**Les médias en question,** traduit par : Dominique Walter, Nouveaux Horizons, 1993.

6- Lazar (Judith): **Sociologie de la communication de masse,** édition Armand colin, Paris, 1991.

7- Merlet (Philippe) et autres: **Le petit Larousse**, édition Malesherbes, Italie, 2003.

8- Naef (Silvia) et autres : **Quelques aspects du débat sur la sécularisation des pays musulmans**, Le Défi du fondamentalisme islamique : regards sur l'occidentalisation, édition Labor et Fides, Suède, 1988.

9- Warnier (Jean Pierre): **La mondialisation de la culture**, édition la découverte, Paris, 1999.

2- **المجلات والدوريات:**

1- إبراهيم (حيدر): **العولمة وجدل الهوية الثقافية**، العولمة ظاهرة العصر، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 28، العدد 02، الكويت، 1999.

2- الحديثي (نزار): **سياسة التغريب في الوطن العربي**، مجلة أوراق عربية، مركز الدراسات العربية، المملكة المتحدة البريطانية، 1980.

3- الخطيب (حسام): **أي أفق للثقافة العربية وأدبها في عصر الاتصال والعولمة؟**، العولمة ظاهرة العصر، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 28، العدد 02، الكويت، 1999.

4- الخموسي الحناشي (محمد): **واقع الثقافة العربية والتحديات الإمبريالية الراهنة**، أبحاث ندوة عمان حول وحدة الثقافة العربية، منشورات الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الطبعة الأولى، الأردن، 1995.

5- العزاوي جواد (قيس): **الإعلام العربي وقضايا الهوية والثقافة**، الإعلام العربي الأوروبي: حوار من أجل المستقبل، مركز الدراسات العربي- الأوروبي، دار بلال، الطبعة الأولى، البحرين، 1998.

6- العياضي (نصر الدين): **عن مفهوم الثقافة الجماهيرية**، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 14، الجزائر، 1996.

7- بن إبراهيم (الطيب): **قراءة مختصرة لكتاب: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثامن، الجزائر، 2005.

8- بوبعيو (حكيمة): **واقع العولمة وأبعادها : دراسة في المتغيرات**، منتدى الأستاذ، المدرسة العليا للأساتذة، العدد الثالث، الجزائر، 2007.

9- بوعلي (نصير): **العولمة : الأبعاد والانعكاسات الثقافية**، التحديات المعاصرة: العولمة الإنترنت، الفقر، اللغة، مخبر علم اجتماع الاتصال، الجزائر، 2002.

10- بولكعيبات (إدريس): **من عولمة الثقافة إلى ثقافة العولمة**، التحديات المعاصرة : العولمة، الإنترنت، الفقر، اللغة، مخبر علم اجتماع الاتصال، الجزائر، 2002.

11- حافظ (صلاح الدين): **الحوار الثقافي الإعلامي في إطار التواصل لا الصدام مع الغرب**، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

12- حجازي مجدي (أحمد): **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية: رؤية نقدية من العالم الثالث**، العولمة ظاهرة العصر، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 28، العدد 02، الكويت، 1999.

13- شريف (مصطفى): **تحليل نقدي لكتاب"صدام الحضارات"**، **شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات**، أعمال الملتقى الدولي، الجزء الأول، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003.

14- عزي (عبد الرحمان): **الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية**، مجلة المستقبل العربي، العدد 321، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة 28، لبنان، 2005.

15- عزي (عبد الرحمان) وآخرون: **العرب والإعلام الفضائي: الفضائيات العربية وقضايا الأمة (حالة نقاشية)**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، لبنان، 2004.

15- علوان حسين (حسين): **العولمة والثقافة العربية**، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، دار مجدلاوي، الطبعة الثانية، الأردن، 2002 .

16- فكرة (سعيد): **أسس الحوار الحضاري: شروطه ومقوماته**، حوار الحضارات تواصل لا صراع، أعمال الندوة التي نظمتها جامعة الدول العربية، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

17- محمد علي (حسن): **استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية الغنائية**، مجلة الإعلام المعاصر، العدد

18- منوّر (أحمد): **الغزو الإعلامي الغربي عبر البث التليفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية (منطقة المغرب العربي نموذجا)**، أبحاث ندوة عمان حول وحدة الثقافة العربية، منشورات الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الطبعة الأولى، الأردن، 1995.

19- هايمر ميرز (جون) ، والت (ستيفن): **اللوبي الإسرائيلي وسياسة أمريكا الخارجية** ، مجلة المستقبل العربي، العدد 327، السنة 29، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2006 .

3- المذكرات والرسائل الجامعية:

1- العتيبي بن حمد سلمان: **العولمة والدعاية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002.

2- بن عودة مهني (عديلة): **تصورات إعلامية ثقافية بين الغرب والمشرق العربي من الإعلام المترجم حول قضايا الأصولية، الصهيونية والسامية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة الجزائر، 2006.

3- بوعلي (نصير): **أثر البث التليفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري: دراسة تحليلية وميدانية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2003.

4- بوقرة رضوان: **بنية الأخبار في القنوات الفضائية العربية: قناة الجزيرة نموذجا، دراسة وصفية تحليلية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006 .

5- بومعيزة (السعيد): **أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006 .

6- تيطاوني (الحاج): **جمهور وسائل الإعلام في عصر العولمة وواقع مشاهدة القنوات الفضائية في الجزائر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002 .

7- تيغزة زهرة: **الهيمنة العالمية الأمريكية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2003 .

8- راشدي كمال: **عولمة الاتصال وأثرها على السيادة الثقافية لدول العالم الثالث**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في القانون الدولي والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002 .

9- صدقي (رشيد): **أثر التليفزيون في تكوين ثقافة المراهقين:دراسة ميدانية بالجزائر**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدبلوم العالي في علم المكتبات، جامعة الجزائر، 1993.

10- طوبال (إبراهيم): **الإنترنت، الثقافة والمجتمع: دراسة سوسيولوجية ميدانية لاستخدام الإنترنت في الفضاء العمومي " الميدياتيك"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2003.

11- عقبي (نصيرة): **جمهور التليفزيون ونظرية الاستعمالات والإشباعات: دراسة مسحية في الاستعمال والإشباع على عينة من الأسر في الجزائر العاصمة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2003 .

12- عميرات عبد الحكيم: **التنمية ومشروع التغريب: قراءة تحليلية سوسيولوجية لبعض المعاني الكامنة في فكرة التنمية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004 .

13- فويال (راضية): **العولمة الثقافية ومفهومها ضمن الركن الثقافي لجريدة الخبر اليومية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2003 .

14- مخداني (نسيمة): **الطلبة الجامعيون بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001.

15- هوادف (عبد الله): **السياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل في إطار الصراع العربي الإسرائيلي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 2002.

4- أ- مواقع الإنترنت باللغة العربية:

1- أبو بارقي: **من أساليب الغزو الفكري التغريب أو الاستغراب (تحليل ودراسة)**، www.true-islam.net/montada/index.php,showtopic=8014

2- أبو عزام: **منتديات المنشاوي**، www.minshawi.com/vb/showthread.php?t=1343

3- أبو هنية (حسن): **نسيج الإنسان الفاسد**، www.alghad.jo/?news=3225

4- أبو هيف (عبد الله): الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به،
http://www.annabaa.org/nba63/qazo.htm

5- أحمد أمين (حسين): المصلحون والدعوة إلى التغريب،
http://www.acccentre.com/arab/info2.asp ?key=24

6- آل أحمد (جلال): قراءة في كتاب نزعة التغريب، عرض مجتبي العلوي،
http://www.annabaa.org/nba53/qeraa.htm

7- الأنبا موسى (نيافة): الشباب..والإنترنت،
http://www.cyuegypt.com/cyc/youth_more.asp?subjectid=62

8- البحراني (بشير): قراءة في واقع الإعلام العربي،
http://www.annabaa.org/nbanews/62/442.htm

9- البشر بن فهد (بشر): أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة،
www.saaid.net/mktarat/almani/33.htm

10- التمني (علي): الضلال التغريبي يخترق مجلات وملاحق تزعم الإسلامية، المجلس العلمي،
http://Majles.alukah.net/Showthread.php?p=113220

11- الحسن حمد عبد الله (عبد العزيز): وسائل الإعلان: وصف نظري للعلاقة والتأثير،
http://www.ecoworld-mag.com/detail.asp?InNewsItemID=178682

12- الخطيب بن شحات (محمد): دور المدرسة في التربية الإعلامية (المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية)،
http://www.meduconf.com/uploader/PDF/tuesday2_02.doc

13- الربيعو تركي (علي): في الخواء الثقافي وظاهرة انتشار المسوخ: تأملات من عصر العولمة، http://www local.taleea.com/archive/column-details.php ?aid=16&cid=4342&ISSUENO=1718

14- الرفاعي (عبد الجبار): مفهوم التحيز والتمركز المعرفي في التفكير الديني الإيراني المعاصر، www.ahewar.org/debat/show.art.asp ?aid=106346

15- الريحاني سعيد (محمد): الأغنية العربية المصورة: الكائن والممكن،
ttp://misralhura.jeeran.com/freevoice/archive/2006/10/111720.htm

16- السرجاني (خالد): الاختراق الأمريكي للصحافة: قراءة في المشهد الثقافي،
http://F-alturki.net/fahd/content/view/98/1/

17- العبد الله (بشاير): التغريب وتأثيره على الثقافة العربية،
www.alsakher.com/vb2/showthread.php?t=84741

18- العلوي (مجتبى): قراءة في كتاب الثقافة العربية وعصر المعلومات،
http:www.annabaa.org/nba57/qraafekitab.htm

19- العودة بن فهد (سلمان): أدواء التغريب،
http://islamtoday.net/pen/show articlescontents.cfm?id=64&catid=8954

20- الفردي حسين (صالح): أثير التغريب في الفضاء المحلي،
www.26sep.net/articles.php?lng=arabic&id=1475

21- الفرس عبد الحميد (كامل): المقننون المقولبون،
http://www.local.taleea.com/archive/column-details.php?aid=16&cid=4342&ISSUENO=1718

22- القاسم (فيصل): الإعلام العربي بين العوربة والعولمة،
www.eljazeeratalk.net/forum/showthread.php?t=727

23- القرني بن محمد (عوض): بعض ملامح العلمانية الوافدة،
http :www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb.htm

24- القيسي سعود (ليث): التحديات المعاصرة وآثارها على سلوك الشباب الدعوي،
http://islamtoday.net/questions/Show_articles_content.cfm?id=71&catid=73&artid=10622

25- المسيري (عبد الوهاب): معالم الخطاب الإسلامي الجديد،
www.islamonline .net/iol-arabic/qadaya/art1.asp

26- أوسي (هوشنك) : صناعة الثقافة وتحديات العولمة ،
http://www.syriakurds.com/2007/adab/adab5.htm
27- باخضر سعيد عمر (حياة): تغريب المرأة المسلمة ،
www.lahaonline.com/index-live dialouge.php ?id=20
28- جمال الدين (علي): هل كان يقرأ المستقبل أم يصنع الحاضر؟ صمويل هنتغتون: ملامح العصر الجديد ، -http://www.al
majalla.com/ListNews.asp?NewsID=1264&MenuID=15&& Ordering=2
29- حبيب (رفيق): التحديث بين التغريب والتجديد ،
www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=208 1728issueno=9151
30- خوجة (لطف الله): منابع التغريب،
www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=88 17
31- دعدوش (أحمد): نقد الفكر المعاصر،
www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&content id=208
32- دعدوش (أحمد): الإعلام الفضائي العربي:العلمانية في قعر ديارنا ،
http:/www.alqlm.com/index.cfm ?method=home.con &cont ent ID=266
33- رحيم محمد (سعد): المجتمع الاستهلاكي: الأسطورة وصناعة الزائف،
www.kassioun.org/index.php?d=34&id=811
34 - رضا (عادل):استمساخ الشرق،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=49993
35- زيدان (رغداء): محب الدين الخطيب وعمله في مقاومة التغريب،
http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=prin t&sid=1997

36- زين العابدين (سهيلة): **الأدب المكشوف وأثره على المجتمع**،
www.lahaonline.com/index.php?option=content&id=2273&task=view&sectionid=1

37- سلامة (سوزان): **التغريب والغزو الثقافي والفكري**،
www .adabhome.com/vb/showthread.php?t=1408

38- شعيب (عبد اللطيف): **المسيحيون ورسوم الكاريكاتير التجديفية: الحق في انتهاك المقدس**، www.qantara.de/webcom/Show_article.php/_c-471/_nr-367/i.html?PHPSESSID=5

39- طه (ممدوح): **التغريب بين التحديث و التغريب** ،
http:www.diwanalarab.com/spip.php ?article4667

40- طوقان (عبد الفتاح): **الإعلام العربي المسطح**:
http://old.amin.org/views/uncat/2005/jan/jan161.html

41- عارف (نصر): **الثقافة: مفهوم ذاتي متجدد**،
http://www.Islamonline.net/iol-arabic/dowalia/mafaheem-18.asp

42- عباس (محمد): **الجماعات الوظيفية**،
www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb/gma3at.htm

43- عبد الخالق (عبد الرحمان): **هل في اليمن صحافة صفراء؟**،
www.anaween.net/index.php?action=Showdetail&id=831

44- علوش (إبراهيم): **إذاعة سوا إذاعة تشويش عالهوا**،
- www.r7ab.com/vb/Showthread.php?t=10551

45- علي (إيناس): **الفيديو كليب: ظاهره رقص وغناء وباطنه تغريب وإغواء**،
http://www.eshraka.com/ar/modules.php?name=News&file=article&sid=1301

46- فرقاني (جازية): **مصطلح التغريب بين الماهيّة والدلالة**،
http:www.awu-dam.org/esbou1000/1069/isb1069-017.htm

47- محمد (ختام): القنوات الفضائية العربية نعمة أم نقمة؟،
http://www.annabaa.org/nbanews/50/293.html

48- محمد (ختام): الفضائيات... ضيف فضولي في المنازل،
http://bshra.com/magazine/85/index.html

49- مراد محمد (بركات): العولمة وظاهرة الهيمنة،
http://alwai.com/topics/view/article.php?sdd=97&issue=448

50- مسكين (حسين): الثقافة في زمن العولمة،
www.Fikrwanakd.aljabriabed.net/n73_02.zenadin.html

51- منغمين تشمي (ليلى): القراءة الصينية ل" صدام الحضارات" عند صمويل هنتغتون،
www.albadeeliraq.com/new/print.php?kind=culture&id=2736

52- وطفة أسعد (علي): في سؤال الهوية :صورة الإنسان في عصر العولمة،
www.almualem.net/maga/awla06.html

53- يوسف حسن (محمد): التغريب في ديار الإسلام،
www.saaïd.net/arabic//ar189.html

❖ مواقع الإنترنت مجهولة الكاتب (Anonymes):

54- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة،
www.saaid.net/mktarat/almani/33.html

55- إعلامنا سلاح دمار شامل: وسائل الإعلام والغزو الفكري،
http://I3lam06.jeeran.com/archive/2006/11/117396.html

56- الإنترنت سلاح ذو حدين،
http://www.fadak.org/MOSHARAK/521.html

57- التأثيرات السلبية للفيديو كليب على الأسر العربية،
http://www.al-khayma.com/youth/video+clips_15022007.html

58- الجيل الغربي الجديد واللاوعي الثقافي،
www.annabaa.org/nbanews/23/082.html

59- الخطاب الإعلامي العربي...مبالغة مفرطة، تسرّع بوعود الانتصار وتغذية لعواطف الجمهور، http://www.annabaa.org/nbanews/19/111.htm

60- الفضائيات العربية تكرس الثقافة الغربية وتقوّض اللغة العربية..دراسة تطالب بوضع حلول جذرية،
http://www.annabaa.org/nbanews/15/47.html

61- المحور الثالث: دور المؤسسات الإعلامية في تعزيز استقرار وسلامة الأسرة،
http://www.adpolice.gov.ae/safety/pivot-3.html

62- بروتوكولات حكماء علمون،
http :www.khayma.com/alhkikh/arab/taghreeb.html

63- تقرير واشنطن: فوكوياما: بداية التاريخ و نهايته،
www.babil.info/printversion.php?mid=10006

64- ثقافة الطفل والمؤثرات من حوله،
www.meshkat.net/new/contents.php?catid=6&artid=6221

65- ديمقراطية الخلاعة الفضائية،
http://www.annabaa.org/nbanews/43/257.html

66- محمد الزمان النورسي: منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية،
www.odabasham.net/show.php?sid=3402

67- من هي الدولة العربية الأكثر ثقافة حاليا؟،
http://abdi3.jeeran.com/archive/2007/12/416770.html

68- مفهوم الشباب، http://www.ebnmasr.net/forum/t=37851.html

69- مفهوم الشباب،
http://www.shbabmisr.com/print.asp?EgyxpID=10942

70- نقد فكرة نهاية التاريخ من بنائها الداخلي،
www.hajr.us/hajrvb/showthread.php?t=40277798

http://www.islamdoor.com/k/377/html -71

4- ب- مواقع الإنترنت باللغة الفرنسية:

1- Bourdeloie(Hélène) : **La conjonction de la technique et la culture des médias de masse**,
http://composite.org/v1/2001.1/articles/bourde.htm

2- Dhilly (Olivier) **: La critique des industries culturelles par l'école de Frankfort**,

http://www.clemi.org/formation/conferences/ecoledeFrankfort.htm

3- **http://fr.wikipedia.org/wiki/culture_de_masse.**